الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة
Emir Abdelkader University of Islamic sciences
Constantine

كلية:	أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية	Faculty:	
قسم:	الدعوة، الإعلام والاتصال	Departement:	

عنوان المطبوعة

Title of the Dissertation

☑ مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة:	☑ السداسي: الثالث
الثانية ل م د Academic Pedagogical Publication Addressed to:	Semester:

☑ الميدان:	علم الاجتماع العام	Domain:	
☑ الشعبة:		Field or subfield:	
☑ التخصص:	صحافة	Specialization:	
إعداد الأستاذ(ة):	جمال حواوسة	Submitted by:	

اعداد الأستاذ(ة): جمال حواوسة Submitted by: ----------

السنة الجامعية (Current Academic Year): 1432-1431هـ/ 2011-2010 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
– قسنطينة –

كلية أصول الدين والشريعة
والحضارة الإسلامية
قسم الدعوة والإعلام والاتصال

مطبوعة مقياس:

علم الاجتماع العام

إعداد الأستاذ

أ / جمال حواوسة

السداسي الثالث

السنة الثانية تخصص صحافة (ل.م.د)

1431-1432هـ/ 2010-2011 م

الفهرس

مقدمة

الفصل الأول: علم الاجتماع، مفهومه ونشأته وعلاقته بالعلوم الأخرى.

تمهيد

أولاً- مفهوم علم الاجتماع.

ثانياً- نشأة وتطور علم الاجتماع.

ثالثاً- علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى.

خلاصة

الفصل الثاني: علم الاجتماع، أغراضه وميادينه ومناهجه الدراسية.

تمهيد

أولاً- أغراض علم الاجتماع.

ثانياً- ميادين وفروع علم الاجتماع.

ثالثاً- مناهج البحث في علم الاجتماع.

1- المنهج التاريخي.

2- المنهج الوصفي.

3- منهج المسح الاجتماعي.

4- المنهج التجريبي.

5- المنهج الاحصائي.

6- منهج دراسة الحالة.

7- المنهج المقارن.

8- منهج القياس الاجتماعي.

خلاصة

الفصل الثالث: ابن خلدون وعلم الاجتماع.

تمهيد

أولاً- تأسيس ابن خلدون لعلم الاجتماع.

ثانياً- طلب العلم عند ابن خلدون.

ثالثاً- منهج وعبقرية ابن خلدون في دراساته الاجتماعية.

رابعاً- نظرية ابن خلدون في الدولة.

1- أسباب نشوء الدولة.

أ- المجتمع البدوي.

ب- المجتمع الحضري.

2- أجيال الدولة.

3- أطوار الدولة.

خلاصة

الفصل الرابع: النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية والمعاصرة.

تمهيد

أولاً- مفهوم النظرية السوسيولوجية وعناصرها ودورها في علم الاجتماع.

1- مصطلح النظرية الاجتماعية.

2- معنى النظرية السوسيولوجية.

3- عناصر النظرية.

4- دور النظرية في علم الاجتماع.

ثانياً- الإسهامات السوسيولوجية للرواد الأوائل.

1- أوجست كونت.

2- فريدريك لوبلاي.

3- كارل ماركس.

4- هربرت سبنسر.

5- إميل دوركايم.

6- ماكس فيبر.

ثالثاً- النظرية السوسولوجية المعاصرة والنسق المرجعي لعلم الاجتماع.

1- الاتجاه الوضعي.

2- الاتجاه الوضعي المحدث.

3- الاتجاه التفاعلي الرمزي.

4- الاتجاه البنائي الوظيفي.

5- الاتجاه الاثنوميثودولوجي..

6- الاتجاه الفينومينولوجي.

7- اتجاه الصراع الاجتماعي.

8- الاتجاه النقدي.

مقدمة:

إن تدريس أي علم من العلوم ليس بالمهمة السهلة، فتقديم أي علم يعني تعريف الطالب بطبيعة هذا العلم والخصوصية التي يتميز بها عن غيره من العلوم الإنسانية الأخرى. فلكل علم نظرياته العلمية وموضوعاته التي يهتم بها، والمفاهيم التي يستخدمها والمنهج الذي يستخدمه الباحث في جمع مادته العلمية، والتي عادة ما تختلف عن العلوم الأخرى.

والحقيقة أن علاقة أي طالب بأي علم من العلوم تعتمد أساساً على الطريقة التي يقدم بها المدرس هذه المادة. فكثيراً ما نقابل في حياتنا العملية طلبة يكرهون مادة علم الاجتماع أو علم النفس أو الأنثروبولوجيا لأن الطريقة التي درسوا بها هذه المادة والمراجع التي استعانوا بها لم تكن مشجعة أو في المستوى المطلوب، بل يشوبها الكثير من الغموض وعدم الوضوح، مما يجعلهم يتجنبون هذه المادة أو لا يستطيعون استيعاب مضمونها.

إننا نعيش اليوم في عالم يشهد تغيرات سريعة وسوف يشهد تغيرات جوهرية في الكثير من دول العالم في القرن القادم أهمها انفتاح العالم ثقافياً واقتصادياً على بعضه البعض بدرجة أكبر، مما نتج عنه ظهور عدة مشكلات أهمها على الإطلاق المشكلات الاجتماعية.

ومن ثم فنحن بحاجة ماسة لحلول لمثل هذه المشكلات، وهذا يتأتى بالدراسات الاجتماعية المتعمقة في مجتمعاتنا العربية التي أصبحت ضرورة ملحة، كحاجة الدول الأوروبية إلى الدراسات الاجتماعية في نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر عندما أحس عالم الاجتماع الفرنسي أوجست كونت A. Comte (1798- 1857) بالمشكلات الاجتماعية والفوضى التي عمت المجتمعات الأوروبية نتيجة للثورة الفرنسية والثورة الصناعية في بريطانيا. فظهر علم الاجتماع في ذلك الوقت ليجيب على التساؤلات والإشكالات المطروحة آنذاك، وكان الهدف منه إعادة بناء المجتمع ليتناسب مع الظروف الجديدة، ومحاولة دراسة مؤسساته ونظمه الاجتماعية والكشف عن المشكلات التي يعاني منها وأسبابها. وقد استطاع علم الاجتماع في فترة وجيزة أن يثبت وجوده كعلم مستقل يُدرس في معظم جامعات العالم ويستفاد منه في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وآمل أن تسهم هذه المطبوعة بما فيها من مادة علمية في مساعدة الطالب على فهم علم الاجتماع وتكوين الحس الاجتماعي لديه.

وهذه المطبوعة مُقسمة إلى أربعة فصول، وهذا حتى يسهل على الطالب استيعابها وفهمها، حيث يضم الفصل الأول علم الاجتماع، مفهومه ونشأته وعلاقته بالعلوم الأخرى، والفصل الثاني أغراض وميادين ومناهج البحث في علم الاجتماع، والفصل الثالث يتناول العلامة والمفكر العربي ابن خلدون وعلاقته بعلم الاجتماع، أما الفصل الرابع والأخير فيشمل النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية والمعاصرة، وفيه الحديث عن أهم الاتجاهات السوسيولوجية الغربية، نشأتها وروادها أو منظريها وآرائها الاجتماعية.

الفصل الأول: علم الاجتماع، مفهومه ونشأته وعلاقته بالعلوم الأخرى.

تمهيد:

قبل أن ندخل إلى علم الاجتماع مبتدئين بضبط مفهومه وتحديد أغراضه وميادينه ومناهجه على ضوء النظريات والمفاهيم المختلفة، يجب أن نشـــير إلى أن علم الاجتماع هو توجه أكاديمي جديد نســـبياً تطور في أوائل القرن التاســـع عشـــر ويهتم بالقواعد والعمليات الاجتماعية التي تربط وتفصل الناس ليس فقط كأفراد، لكن كأعضاء جمعيات ومجموعات ومؤسسات، وهو آخر العلوم نشأة وظهوراً، وبهذا الاعتبار آخر علم دخل مناهج التعليم، حيث دُرس في أمريكا عام 1876 وفي فرنســـا عام 1889 وفي انجلترا عام 1907 وفي الســـويد عام 1947...الخ، وأخذت بقية الدول بعد الحرب العالمية الثانية بإدخال هذا العلم إلى مناهج التعليم في الجامعات، واتســـع مجاله وتطور بشكل سريع مع التغيرات السريعة الحاصلة في المجتمعات البشرية.

أولاً– مفهوم علم الاجتماع: Sociology

يجمع غلب المختصـــين في علم الاجتماع على أن ليس من الحكمة التربوية أن يبدأ بحث تمهيدي في علم الاجتماع بتعريف هذا العلم وذلك لأسباب كثيرة أهمها وعلى رأسها صعوبة إيراد تعريف شامل لهذا العلم نظراً للمشاكل والخلافات الموجودة بين مدارس علم الاجتماع ورجاله حول تعريف هذا العلم نفسه، وحول تحديد موضوع بحثه[1].

وقبل تعريف علم الاجتماع نتحدث عن مفهوم ((المجتمع)) Society الذي هو مادة علم الاجتماع. فلفظ المجتمع إنما يطلق على نظام له وجود واقعي، وله أسس وأركان محددة. وبمعنى أدق إن المجتمع لا يطلق إلاّ على التشكيلة الاجتماعية التي لها نظرية حول الوضع الشرعي أو القانوني للجماعة والمنزلة الاجتماعية والحقوقية للأفراد. وفي ضوء طبيعة ذلك الوضع تصاغ العلاقات الاجتماعية المناسبة.

وليس هناك تعريف محدد وقبول لمصـــطلح المجتمع، لأن الاســـتخدامات الثلاثة الشـــائعة له تشـــير إلى جوانب هامة من الحياة الاجتماعية.أ– فالمعنى العام يعني مجموع العلاقات الاجتماعية بين الناس. ب– أو هو كل تجمع للكائنات الإنســـانية، من الجنســـين، ومن كل المســـتويات العمرية يرتبطون معاً داخل جماعة اجتماعية لها كيان ذاتي ونظمها وثقافتها المتميزة. ج– أو أنه النظم والثقافة التي تتحقق عند جماعة من الناس وهذا التعريف وثيقة الصلة بالتعريف السابق، وهما يشيران إلى عنصرين أساسيين في التحليل السوسيولوجي، أن الإنسان يعيش في جماعات، وأن سلوك الناس يتأثر بالمعايير والقيم[2].

وإذا كان المجتمع جماعة من الناس لهم ثقافة مشتركة ومتميزة، فإن ما يميز علم الاجتماع عن سائر العلوم الاجتماعية هو اتخاذه هذه الجماعات البشـــرية مركزاً في بحوثه ونظرياته، فعلم الاجتماع أحد فروع علم الســـلوك الإنســـاني التي تحاول اكتشـــاف العلة والمعلول في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. فهو يتناول دراســـة العادات والأعراف، والتركيبات والمؤســـســـات الاجتماعية الناشـــئة من التفاعل بين الناس. ويحاول دراسة القوى التي تستطيع أن تكتنف تلك العادات والأعراف والمؤسسات الاجتماعية أو تضَّعفها. وبمعنى آخر، فإن علم الاجتماع يدرس الطبيعة الإنسانية للمجتمع وأساليب الحفاظ على تركيبته الثقافية والسياسية، باعتبار أن أهم ما يميز السلوك الإنساني عن سلوك بقية الكائنات هو طبيعته الاجتماعية.

---

[1]– زهير عبد المالك، **علم الاجتماع لطلاب الفلسفة**، منشورات مكتبة الوحدة العربية، بغداد، العراق 1967، ص ص 11– 12.

[2]– محمد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2006، ص 416.

وجاء في قاموس علم الاجتماع للدكتور محمد عاطف غيث أنه على الرغم من اتفاق علماء الاجتماع المحدثين على أن علم الاجتماع يعني الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، أو الفعل الاجتماعي للكائنات الإنسانية، إلا أن هناك عدم اتفاق حول طبيعة المنهج العلمي المستخدم في دراسة الظواهر الاجتماعية، والمفاهيم الرئيسية لعلم الاجتماع، ونطاق الظواهر التي تشكل موضوع الدراسة فيه[1].

ولاشك أن تنظيم المؤسسات الاجتماعية يلعب دوراً رئيسياً في صياغة شكل أفعال الإنسان على ساحة المجتمع. فمهمة علم الاجتماع تتلخص باكتشاف الطرق التي تستخدمها المؤسسات الاجتماعية على الفرد، وطبيعة تفاعله مع الآخرين. ومثال ذلك: التركيبة العائلية، التي تعتبر من أهم الحقول الدراسية في بحوث علم الاجتماع، والتركيبة الاقتصادية والسياسية ونحوها. ومع أن منشأ علم الاجتماع كان ولا يزال غربيّاً في إطاره العام، وتركيبته العلمية والثقافية كانت ولا تزال مأخوذة من التقاليد والأعراف الغربية، إلاّ أن ارتباط مبادئ علم الاجتماع بالفلسفة الأخلاقية يجعلنا ننظر – وبتحفظ – من زاوية العلم الذي يدعو إلى التماس الارتكاز العقلاني في تنظيم المؤسسات الاجتماعية.

وتنسب كلمة سوسيولوجي Sociology إلى كل من أوجست كونت الفرنسي، وجون ستيوارت مل البريطاني، فأوجست كونت أول من استخدمها في فرنسا، ولكن جون ستيوارت مل استعمل المصطلح في الفترة ذاتها في كتابه الموسوم: علم المنطق المنشور عام 1843[2] ، وعلم الاجتماع لديهما يعني الحقيقة والمنهاج اللذين يجب إتباعهما في دراسة المجتمع.

وفي الحقيقة يعتبر أوجست كونت أول من طلق مصطلح علم الاجتماع Sociology عام 1839، حيث تعني: Socio المجتمع، و logy الدراسة على مستوى عالي من **التخصص والتجريد**. وهو العلم الذي يدرس النظم الاجتماعية على الحالة التي بدت فيها التطورات التي حدثت لها فيما بعد[3].

ويُعرف علم الاجتماع أيضاً على أنه دراسة تفاعل الجماعات الإنسانية وتأثيرها على أنظمة المجتمع عامة والسلوك الفردي خاصة[4].

ومن هنا فإن علم الاجتماع له هدفين رئيسيين، **الأول**: فهم ديناميات حياة الجماعة الاجتماعية ووظائفها وكيف تتغير، و**الثاني**: فهم تأثير الجماعات على السلوك الفردي والجماعي.

وعلم الاجتماع أيضاً علم يدرس الظواهر الاجتماعية المتعلقة بالجماعات البشرية، ويعتبر أوجست كونت المؤسس الغربي له، غير أن كثيراً من الباحثين يعتبرون عبد الرحمن بن خلدون أحد أقدم الرواد في تأسيس هذا العلم

من خلال مقدمته الشهيرة التي تناول فيها ما سماه بـ: العمران البشري الذي هو دراسة لطبائع وأحوال الاجتماع الإنساني.

ويشير مفهوم هذا العلم أيضاً إلى دراسة الظواهر الاجتماعية كدراسة تفسيرية وتحليلية من أجل الوصول إلى قواعد وقوانين اجتماعية[1].

وهناك عدة تعاريف لعلم الاجتماع قدمها مجموعة من علماء الاجتماع البارزين:

---

[1]– المرجع نفسه، ص 418.

[2]– صلاح الدين شروخ، **مدخل في علم الاجتماع**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر 2005، ص75.

[3]– محمد أحمد بيومي، **أسس وموضوعات علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دون سنة ص24.

[4]– محمد أحمد بيومي، **علم الاجتماع الديني**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1982، ص47.

[1]– فاروق مداس، **قاموس مصطلحات علم الاجتماع**، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2003، ص184.

1- أوجست كونت A. Comte : علم يهتم بدراسة المجتمع.

2- إميل دوركايم E. Durkheim : علم يهتم بدارسة البناء الاجتماعي وما به من مؤسسات.

3- سوروكن K. Sorokin : دراسة الخصائص العامة المشتركة بين أنواع الظواهر الاجتماعية.

4- ماكس فيبر M. Weber : علم شامل يحاول الوصول لفهم تفسيري للفعل الاجتماعي.

5- أوجبرن Ogburn ونيمكوف Nimkoff: الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية.

6- جونسون Jonson: علم يدرس الجماعات الاجتماعية من حيث صور أو نماذج تنظيمها الداخلي والعمليات التي تميل إلى استمرار أو تغيير هذه الصور التنظيمية والعلاقات بين الجماعات.

7- هربرت سبنسر H. Spencer : علم يصف ويفسر نشأة وتطور النظم الاجتماعية مثل الأسرة.

8- لانديس Landis: هو علم أو دراسة نشأة تطور وتنظيم ووظائف المجتمع الإنساني.

ويحدد «اليكس انكلس» ثلاث طرق لتعريف علم الاجتماع وهي:

1- الطريق التاريخي: وذلك من خلال دراسة الكتابات السوسيولوجية الكلاسيكية للوقوف على رأي المؤسسين لعلم الاجتماع. فالعاطفة واحترام التراث تدفعاننا للاستعانة بالطريقة التاريخية التي من خلالها نستنشق حكمة الأجيال السابقة.

2- الطريق الامبريقي: من خلال دراسة الأعمال السوسيولوجية المعاصرة والموضوعات التي يوجهون إليها أكبر اهتماماتهم.

3- الطريق التحليلي أو النظري: من خلال تحديد موضوع علم الاجتماع وموقعه بين العلوم الأخرى.

وعموماً من خلال تصنيف لتعريفات علم الاجتماع نجد أن هناك ثلاثة أنواع أو تصنيفات مميزة لهذه التعريفات:

1- التعريف حسب وجهة نظر العلماء.

2- التعريف حسب المداخل الهامة لعلم الاجتماع.

3- التعريف حسب الموضوعات والقضايا.

ثانياً- نشأة وتطور علم الاجتماع:

نشأ علم الاجتماع كغيره من فروع المعرفة الإنسانية بين أحضان الفلسفة، وظل الفلاسفة يشيرون إلى ظواهره وموضوعاته من خلال تناولهم لقضاياهم الفلسفية، وظل على هذه الحال إلى أن أصبح علم مستقل بذاته، له مجالاته الخاصة وقوانينه ومناهجه العلمية. واستطاع العلماء المحدثون الوصول إلى نتائج وقوانين أمكن صوغها في صور كمية، بل ومعادلات رياضية ورسوم بيانية تعبر عن الحياة الاجتماعية برمتها وبأدق النتائج.

ولمعرفة تطور التفكير الاجتماعي يجب الرجوع إلى الفلسفة واستعراض تاريخها، ومحاولة تتبع الحقائق الاجتماعية فيها. ولهذا فإن كثيراً من المفكرين يرون أن بدء التاريخ للدراسات الاجتماعية يقترن بدراسة الفلسفة اليونانية باعتبارها أول صورة للتفكير الإنساني المنظم، غير أن التسليم بهذا الرأي يهضم عظمة الفلسفة الشرقية، وهي سابقة في ظهورها التاريخي على فلسفة اليونان، فبلاد الشرق كانت التربة الخصبة والأصيلة التي نبتت فيها بذور الفلسفة، ثم انتقلت إلى بلاد اليونان حيث نمت وازدهرت[1].

[1]- مصطفى الخشاب، **دراسة المجتمع**، مكتبة الانجلو المصرية، 1974، ص ص 21- 22.

غير أن هذه الأفكار الفلسفية للشرق القديم كانت أشبه بتأملات فلسفية ينقصها النزعة التحليلية، كما أنها كانت مفككة غير مرتبطة بنظام معين، بعكس فلاسفة اليونان الذين استطاعوا فيما بعد أن ينظموا معارفهم تنظيماً منهجياً موضوعياً، وهنا كان تفوقهم على فلاسفة الشرق القديم واضح جداً.

ويمكن أن نلقي نظرة على الموضـــوعات الاجتماعية التي خلفها مفكران كبيران من اليونان كانت لآرائهما وزن كبير، وتأثرت بهما مجتمعات غربية ومجتمعات إسلامية، هذان المفكران هما أفلاطون وأرسطو.

1- أفلاطون (428- 347 ق.م):

لم يكن اهتمام أفلاطون موجهاً إلى الإنسان كفرد فحسب، بل أيضاً ككائن اجتماعي يعيش في ظل نظام سياسي معين، ولهذا فقد كان من الضروري أن يفسر السلوك الفردي للإنسان، وكذلك الصورة الاجتماعية والسياسية لنشاطه في علاقاته مع الآخرين، غير أن أفلاطون كأستاذه سقراط كان يعتبر النفس أسمى من الجسد، بل يعتبرانها حاصلة على الوجود الحقيقي، أما البدن فوجوده ثانوي وغير مؤكد.

فالنفس أبدية أزلية لبساطتها وعدم فسادها وتذكرها المعاني، وهي تلحق بالجسم في العالم الأرضي، ويرى أفلاطون أن النفس تأتي إلى العالم الحسي وهي طاهرة نقية، وأن هبوط النفوس إلى الأرض يتم حسب ضرورة عالمية، فالجسم مطية مؤقتة للنفس، وهو الذي يعطل قواها الروحية النبيلة ويوجهها وجهة غير أخلاقية لأنه مصدر الشرور والآثام، ولهذا فالنفس تشقى بهذا الوجود الأرضي، وتعود فتحاول الانطلاق من محبسها لتصعد إلى العالم المعقول، ولذلك فإن خير الأفعال هو ما يساعد النفس على الوصول إلى العالم الأسمى وأفضل النظم السياسية هي ما يهيئ النفس لهذه الحياة الروحية ويكفل لها السعادة التي تستهدفها من ممارسة حياة الفضيلة والحكمة.

والفضائل عند أفلاطون أربع، وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، ووظيفة العدالة أن تحفظ النظام والتناسب بين الفضائل الثلاث الأولى. فالحكم فضيلة العقل والعفة فضيلة النفس الشهوانية، وأما الشجاعة فهي وسط بينهما وهي فضيلة النفس العصبية، فإذا ما تحقق التوازن أي العدالة بين قوى النفس وفضائلها حصلت النفس على السعادة. وهذه العدالة هي حالة باطنية عقلية أخلاقية تتجاوب مع النظام في العالم المحسوس، ويبدو فيها جمال النفس في سيطرتها على شهوات ورغبات الجسد. فأسمى الملذات هي فضيلة العقل أي الحكمة، وفيها يكمن خير الإنسان وسعادته. فالجسم هو سجن النفس ومحبسها ولا مناص لها من التحرر من أغلاله والانطلاق إلى العالم الأعلى إلا بالتطهر والمجاهدة أي باتزان النفس وممارستها للفضائل والحكمة[1].

2- أرسطو (384- 323 ق.م):

تلميذ أفلاطون جاءت كتاباته في الفلسفة الاجتماعية أكثر واقعية ووضعية، وأدق طبيعة من أستاذه بل يرى البعض أنها أدق ما احتوته الفلسفة القديمة بوجه عام. وقد أورد أرسطو معظم آرائه الفلسفية والاجتماعية في كتابه ((السياسة)).

ومن أهم الأفكار الاجتماعية الجديدة التي أوردها أرسطو قوله بأن الإنسان مدني بطبعه، وأنه يستحيل على الإنسان أن يحيا ويعيش منفصلاً على المجتمع، والدولة وجدت لتنظم حياة الناس في المجتمع وتشرف عليهم، وتطبق التشريعات بهدف تحقيق العدالة والمساواة، وأرسطو يقر الأسرة التي حاول أفلاطون أن ينفيها عن طبقتي الجند والحكام، وهو يصنف الحكومات إلى نوعين: حكومة صالحة

---

[1]- محمد علي أبو ريان، **تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون**، دار المعرفة الجامعية، ط5، مصر 1973، ص 267.

وأخرى فاسدة[2].

ومن هنا نجد أن أرسطو تحدث عن بعض مسائل علم الاجتماع وعالجها منهجياً، إلا أنه لم يدرس هذه المسائل بصورة مستقلة، ولكنه كان يدرسها على اعتبار أنها مدخل لنظرية الدولة، ولذلك يعتبر أرسطو أول من توصل إلى ضرورة قيام علم السياسة، رغم أنه بشر بموضوعات في صميم علم الاجتماع.

وإذا كان السفسطائيون قد ذهبوا إلى أن تكوين المجتمعات الإنسانية إنما تقوم على التعاقد بين الأفراد وليس على أساس طبيعي غريزي، فإن أفلاطون كان يرى على العكس من ذلك أن الإجماع البشري حاجة طبيعية لا تحتاج إلى إرادة التعاقد بين بني البشر، ذلك لأن الفرد لا يمكن أن يحيا إلا في مجتمع سواء كان هذا المجتمع هو الأسرة أو المدينة، والمجتمع المثالي هو الذي يطابق النظام الطبيعي في البساطة والصلاح، ولكن مثل هذا المجتمع لا يوجد لأن المجتمعات تقوم على نظم فاسدة متدهورة. ويقول أفلاطون إن المجتمعات تطورت من البساطة إلى التعقيد، فيقول إن المجتمع الطبيعي كان يتألف من عدة أسر مجتمعة معاً بقصد إشباع حاجاتها الأولية من مأكل وملبس ومسكن، ولكن الإنتاج سرعان ما يتزايد ويتحسن ويصبح أكثر مرونة بفضل تطبيق نظام تقسيم العمل فيشيع التخصص وتتمايز الحرف و المهن، فيظهر في هذا المجتمع البسيط حدادون وصناع الأحذية ونجارون ورعاة، ولكل منهم عمله الخاص به. ولما كان مثل هذا المجتمع لا يستطيع أن يكفي ذاته بذاته من حيث السلع الاستهلاكية، لذلك فهو يتجه إلى الاستيراد، ومن ثم فهو مساق إلى تصدير منتجاته لكي يغطي أثمان ما يستورد من سلع، وتظهر الحاجة حينئذ إلى وسطاء يقيمون سوقاً للتبادل التجاري ويكون نقداً للتعامل على أساسه، وهكذا يظهر التجار صغارهم وكبارهم، ويلزم هذا المجتمع أيضاً طائفة من الإجراء والعمال الذين يساندون المقيمين في عملياتهم بعد أن يتزايد الإنتاج. وكذلك يتطلب الوضع الجديد تشكيل قوة عسكرية من الجنود المحترفين للدفاع عن المجتمع وحمايته من غدر المجاورين له. ويستمر هذا المجتمع في حياته البسيطة ولكن سرعان ما تزداد حاجات الأفراد وتتشعب مطالبتهم، فتحدد أنواع الأطعمة والشراب فيتحول الناس عن الغذاء النباتي، وكذلك تظهر الثياب الفاخرة، والحلي العاجية والذهبية، وتزدهر الفنون الكبرى كالرسم والموسيقى والشعر والمسرح والرقص، ويحتاج الناس إلى الخدم، وهذا التضخم في المطالب يولد رغبة في التوسع وفي إجراء التغيرات السريعة، فتتداخل النظم ويتفشى الفساد نتيجة للتكالب على الرفاهية المبالغ فيها، ويكون نتيجة لذلك أن يتعقد نظام المجتمع ويرى فيه الانحلال ويصبح مجتمعاً غير طبيعي[1].

وانتقل ركب العلم والحضارة إلى أيدي العرب والمسلمين مع بزوغ فجر الإسلام الذي كان له أكبر الأثر في دعوة المسلمين إلى المساهمة في الكشف عن حقائق هذا الكون، والبحث في طبيعة العلاقات الإنسانية والمبادئ التي تسير عليها المجتمعات في نشأتها ونموها وانحلالها. ومن هنا أنطلق المفكرون المسلمون في الدراسة والتمحيص، وكان الإنسان من بين الموضوعات التي اتجهوا إليها بالبحث والدراسة على اعتبار أن الإسلام كرم الإنسان على سائر المخلوقات.

وانتهت الدراسة بالمسلمين من التوصل إلى وضع أسس علم الاجتماع الحديث على يد العلامة ابن خلدون الذي اسماه بـ: ((علم العمران البشري)). وقد سبق ابن خلدون في دراسة الفلسفة الاجتماعية الفارابي (872- 950 م) الذي ولد بتركستان، وانتقل إلى

---

[2]- أحمد رأفت عبد الجواد، **مبادئ علم الاجتماع**، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة 1982، ص 8.

[1]- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ص276.

بغداد ليشتغل فيها بالمنطق والفلسفة والعلوم، ثم رحل إلى دمشق وتوفي بها في سن الثمانين، وجاءت بحوثه الاجتماعية في كتابين هما: ((كتاب السياسة المدنية))، و ((كتاب المدينة الفاضلة)) اللذان تختلط فيهما أفكاره الفلسفية مع آرائه الاجتماعية. وقد حاول في كتابه الأخير أن ينشئ مدينة فاضلة على غرار مدينة أفلاطون. ويؤخذ عليه أنه تأثر تأثيراً كبيراً بآراء فلاسفة اليونان أفلاطون وأرسطو وأنه حاول أن يخرج أو أن يوفق بين آرائهما وبين الآراء الإسلامية فجانبه الصواب في كثير من هذه المحاولات.

إن الفكر الاجتماعي القديم المعروف في كل الحضارات شيء وبناء ونشأة علم الاجتماع شيء آخر، فالفكر الاجتماعي كأي فكر آخر هو مجموعة أحكام متعددة وكثيرة مهما كان التصنيف الذي نعتمده في دراستها، وبالتالي فإن الفكر الاجتماعي يجمع في ثناياه بين الأحكام التقديرية وبين الأحكام التقويمية، وبين الأحكام التحليلية والأحكام التركيبية...وتختلط فيه المعرفة الساذجة بالمعرفة الحدسية غير المبرهن عليها. كما يسود هذا الفكر في معظم الأحيان النزعة الذاتية المتأثرة بالايدولوجيا، والأديان والأعراف والتقاليد والعادات...الخ على نحو لا يحقق المطالب العلمية.

تطلب الانتقال من الفكر الاجتماعي إلى علم الاجتماع إيجاد شيء يمكن ملاحظته، وقياسه، والتجريب عليه، على نحو ما يتم في العلوم الطبيعية، كما تطلب- في دراسة الظاهرة الاجتماعية تنظيماً لمعرفتها على نحو مخصوص يتناسب مع مطلب العلم من جهة، ويميز العلم الجديد من غيره مما قد يلتبس عليه[1].

وفي الحقيقة أن تاريخ علم الاجتماع هو نتاج مجموعة من العلماء والمفكرين سواء كانوا عرب مسلمين أو غربيين، وقد كان طموح علم الاجتماع أن يتطور بشكل متوازي لتطور العلوم الطبيعية كالكيمياء والفيزياء والطب، إلاّ أن ذلك الطموح لم يتحقق لاختلاف المباني التي استندت عليها العلوم الاجتماعية قياساً بالعلوم الطبيعية. بل إن العلوم الاجتماعية- في بعض مراحلها المتقدمة سلكت مسلك الأداة التنفيذية للاستعمار الأوروبي في فهم سلوك المجتمعات غير الأوروبية وتفاعلاتها الاجتماعية وعقائدها الدينية. وكل ذلك النشاط كان يهدف إلى غاية غير نبيلة تمثّلت في السيطرة على تلك الشعوب سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً.

كما ارتبطت دراسة الأحداث الاجتماعية بظهور الأزمات الاجتماعية وكل ما يتعلق بها، فكلما تعدت الحوادث نطاق المألوف أو تباعدت عنه، كلما استدعى ذلك الوقوف عند تلك التغيرات والتقلبات التي تلفت الانتباه، لا تلك الأحداث العادية المستقرة التي لا تحتاج إلى حلول. وعلم الاجتماع أو السوسيولوجيا كما يُعرّفه «غاستون بوتول»: «هو العلم الوحيد الذي ما زال يتتبع – منذ نشأته- دراسة موضوع ما زال في طريق التطور السرمدي، وارتبطت كل خطوة من خطواته الكبرى بقلق اجتماعي كبير».

ومن أهم التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي واكبت ظهور علم الاجتماع في الغرب تلك العمليات والتناقضات وأشكال النمو الاجتماعي الذي انهارت في نهايته دعائم النظام الاجتماعي والاقتصادي القديم (النظام الإقطاعي)، وصعود نظام جديد – النظام الرأسمالي الصناعي-. كما أدت التطورات الفكرية والثقافية والاجتماعية التي شهدها القرنان السابع عشر والثامن عشر إلى ظهور مجموعة من العلماء المتخصصين الذين سعوا إلى تحديد ماهية علم الاجتماع وفصله عن الفلسفة باعتبارها العلم الأول الذي كان مهيمناً على العديد من العلوم الاجتماعية، فظهرت مجموعة من آراء علماء الاجتماع الأوائل الذين تناولوا موضوعات هذا العلم ومجالاته المختلفة.

---

[1]- صلاح الدين شروخ، مرجع سابق، ص 71.

هذا ولا شـك أن التوجه الحديث لعلم الاجتماع في جمع المعلومات عن المشـاكل الاجتماعية وتحليلها، كان قد نقل ذلك العلم من مرحلة التحليلات الذهنية إلى مرحلة العلم التجريبي. فبفضـــل التقنية الحديثة في جمع المعلومات عن الأفراد والمجتمعات، والمنظمات، والشعوب، أصبح علم الاجتماع قادراً – إلى حد ما– على التنبؤ العلمي بسلوك المجتمعات أو الأفراد المتوقع حدوثه عقب أحداث خاصة وقعت كالثورات والانتفاضـات والحروب ونحوها. فعلم الاجتماع يدرس سـلوك الأفراد في المدن ذات الكثافة السـكانية الكبيرة عن طريق طبيعة توزيع الثروة الاجتماعية. فيدرس قيمة الأراضـي، والتوزيع العرقي للأفراد في المدينة، ومسـتويات التخلف العقلي بين الناس، وتحلّل الأسـرة، ومسـتويات الجريمة ونحوها، وبعد جمع المعلومات عن كل تلك القضـايا الاجتماعية، يبدأ بتحليلها وبناء الاسـتنتاجات المسـتنبطة على ضـوئها. إلاّ أن التغير المسـتمر في أسـاليب جمع المعلومات والمنهجية العلمية، يجعلنا دائماً نتردد في حمل النتائج المسـتخلصـة من البحوث التجريبية لعلم الاجتماع على سـبيل القطع أو على صـورة المسـلّمات العقلية. فلا بد لنا من حمل تلك النتائج على أسـاس أنها أفضـل المعلومات والتحليلات المتوفرة لنا لفهم النظام الاجتماعي والمؤسـسـات الملحقة به. وللتعرف على النشـأة الحقيقية لعلم الاجتماع لابد لنا أن نعرف إسهامات كل من ابن خلدون، ومجموعة من بناة علم الاجتماع المعاصر أمثال أوجست كونت ودوركايم وماكس فيبر... الخ.

رابعاً– علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى:

السـوسـيولوجيا أحد العلوم التي تتميز عن العلوم الطبيعية (مثل البيولوجيا أو الفيزياء أو الكيمياء) من جهة، وتتميز أيضـاً عن علوم الآداب والفنون (مثل الأدب والموسيقى والفن) من جهةٍ أخرى. وجميع السوسيولوجيين (الباحثون في علم الاجتماع) يتعاملون مع السلوك البشـــري، ومع العلاقات والتفاعلات التي تحدث بين الناس في الجماعات. هذا التأكيد على التفاعل يعتمد على الفكرة التي تقول بأننا لا يمكن أن نفهم العلاقات الإنسانية بواسطة دراسة الأفراد، كما أننا لا يمكن أن نفهم الماء عبر دراسة الهيدروجين والأوكسجين، فالجماعات لها مميزاتها التي تختلف عن مميزات أعضائها، المتنوعين، فهؤلاء الأعضاء لهم طبيعتهم الخاصة بهم والتي يجب دراستها بمفاهيمها الخاصة. إن هذا التفاعل والاجتماع يمكن أن يأخذ صيغاً عدة، مثل الزواج والمناقشة، والشغب، والتصويت والانتخاب، والمفاوضات الصعبة، والدرس الموسـيقي. إذ ليس مهماً ماهية الصـيغة التي يأخذها التفاعل والاجتماع، بل إن الجانب الأكثر أهمية هو كيف يأخذ المشـتركون في عملية التفاعل كل الآخرين بالحسبان.

يقول كل من Mavis Hiltunen و John Berry (1978)[1] إن العلوم الاجتماعية المتنوعة هي جميع التخصـــصـــات الأكاديمية التي تتعامل مع الناس في بيئاتهم الاجتماعية، مثل الأنثروبولوجيا والسـوسـيولوجيا والتاريخ والاقتصـاد وعلم السـياسـة (وحتى الجغرافية تعد من وجهة النظر هذه من العلوم الاجتماعية). إن هذه التقسيمات لا تبرز ضرورتها المنطقية كما هو الحال خلال صيرورتها أو تسلسلها التاريخي. فعلى سبيل المثال تحول (الاقتصاد السياسي) إلى (علم الاقتصاد) عندما وقعت المجتمعات الرأسمالية تحت تأثير أفكار العالم الكبير آدم سميثAdam Smith وفلسـفته في عدم التدخل في الحريات الشـخصـية، وبخاصـة في الشـأن الاقتصـادي للأفراد (دعه يعمل دعه يمر). أما في الوقت الحاضر فغالباً ما يكون من المستحيل الفصل والتحديد فيما إذا كانت المشكلة في السياسة الاقتصادية هي مشكلة في علم الاقتصاد أم في علم السياسة.

[1]- Mavis Hiltunen Biesanz, John Berry Biesanz . **Introduction to Sociology**, (1987), p p 17-19.

وعلى الرغم من إن جميع العلوم الاجتماعية تدرس السلوك الاجتماعي البشري، وإن اهتماماتها غالباً ما تتداخل، فالعلوم الاجتماعية على تنوعها لها منظوراتها وتأكيداتها المختلفة، على حياة الجماعة. فالأنثروبولوجيا تهتم بدراسة التشابهات والاختلافات البيولوجية والسلوكية بين الشعوب المختلفة في العالم. إن الباحثين في الأنثروبولوجيا الطبيعية يركزون على الجوانب البيولوجية، أما الباحثين في الأنثروبولوجيا الثقافية (الاجتماعية) فإنهم يركزون على الجوانب السلوكية. تقليدياً يبحث الباحثون في الأنثروبولوجيا الثقافية عما يميز الجماعة (من خلال حاجتها إلى اللغة والملابس)، ولكنهم يملكون أيضاً نقل حقل دراستهم إلى المجتمعات المتحضرة الأكثر تعقيداً. ويرتبط علم الاجتماع بكثير من العلوم التي تساعده على تحقيق أغراضه، وأهمها الوصول إلى القوانين الاجتماعية، فنجده يرتبط بجميع العلوم الإنسانية كعلم النفس والتاريخ والجغرافيا والانثربولوجيا، ويرتبط من ناحية أخرى بالعلوم الاجتماعية الخاصة كعلوم الاقتصاد والسياسة والأخلاق...الخ. ويمكن أن نحدد علاقته بهذه العلوم على النحو التالي:

1- علاقته بالتاريخ:

التاريخ دراسة ماضي الإنسان من تعاقب الأحداث. إنه فن أدبي أكثر منه علماً اجتماعياً، إذ أن المؤرخ يملك حق اختيار وترتيب البيانات الثمينة المدونة طبقاً للطريقة التي يدرك بها مؤشرات وعلاقات تلك البيانات. وعليه يمكن للمختصين أن يختصوا ببقعةٍ جغرافية أو بمرحلة زمنية، أو بمقتربٍ قائم على مجموعة من الحقائق المختارة، مثل التاريخ السياسي أو الاقتصادي أو تاريخ الأفكار أو تاريخ الأشكال الأدبية. وبصورةٍ متزايدة، فالمؤرخون يعتمدون على بيانات ونظريات العلوم الأخرى بغرض فهمٍ أكبر لمشكلاتهم، بالمقابل فإن العلوم الأخرى تستخدم البيانات التاريخية.

إن المفكر الاجتماعي يرجع إلى مختلف فروع الدراسات التاريخية كتاريخ الآداب والفلسفة والقوانين والنظم والفنون...لأن هذه الفروع تعكس لنا حياة الأمم، وتصور لنا عاداتها وتقاليدها وأعراقها، والعبادات والعقائد التي كانت تعتنقها. كما يحتاج علم الاجتماع إلى الرجوع إلى تاريخ الوقائع الحربية والثورات والانقلابات...ذلك أن الإلمام بمثل هذه المعلومات التاريخية يمكن الباحث الاجتماعي من معرفة القوى المحركة لهذه الحروب والثورات. ومن جانب آخر فإن المؤرخين يمكن أن يستفيدوا من النظريات الاجتماعية ويصححوا الوقائع في ضوء ماتقرره القوانين التي تسير عليها ظواهر الاجتماع الإنساني.

ومع تحول فيبر أكثر وأكثر في اتجاه علم الاجتماع الجديد نسبياً - في ذلك الوقت - حاول توضيح علاقته بعلم التاريخ الأكثر رسوخاً. بالرغم من أن فيبر شعر أن كل مجال بحاجة للآخر، كانت رؤيته أن مهمة علم الاجتماع هي توفير الخدمات الضرورية للتاريخ. فقد ذكر أن علم الاجتماع يؤدى فقط مهمة متوسطة. شرح فيبر الفرق بين التاريخ وعلم الاجتماع "يحاول علم الاجتماع صياغة مفاهيم نموذجية ونظم مهمة للعمليات الميدانية. هذا يميزه عن التاريخ الذي يتوجه نحو التوضيح والتحليل السببي لأفعال الفرد، البنيات والشخصيات التي لها أهمية ثقافية. بالرغم من هذا التمييز الواضح جداً فإن فيبر استطاع الدمج بين الاثنين في أعماله. كان علم اجتماعه متجهاً نحو تطوير مفاهيم واضحة تمكنه من القيام بالتحليل السببي للظواهر التاريخية. يمكننا أن نعتبر فيبر عالم اجتماع تاريخي[1].

1- عادل بلعمري، **ماكس فيبر: المنهج في العلاقة بين التاريخ وعلم الاجتماع**، موقع الحوار المتمدن: www.ahewar.org، العدد: 2924، 2010/02/21.

وإذا كان المؤرخ يهتم بدراسة الماضي ولا يبحث في الأسباب (باستثناء فلاسفة التاريخ)، فإن عالم الاجتماع يهتم بالبحث عن العلاقات المتبادلة بين الأحداث التي وقعت وأسبابها. ويذهب علم الاجتماع بعيداً في دراسة ما هو حقيقي بالنسبة لتاريخ عدد كبير من الشعوب ولا يهتم بما هو حقيقي بالنسبة لشعب معين، والمؤرخون لا يهتمون كثيراً بالأحداث العادية التي تتخذ شكلاً نظامياً كالملكية أو العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة كالعلاقة بين الرجل والمرأة مثلاً، بينما هي محور اهتمامات علم الاجتماع. إلاّ أن هذه الاختلافات لم تمنع الكثير من المؤرخين من كتابة تاريخاً اجتماعياً يعالج الأنماط الاجتماعية والسنن والأعراف والنظم الاجتماعية الهامة. ويعتبر أي بحث سوسيولوجي بحثاً تاريخياً بمعنى ما، طالما أن سجلات علماء الاجتماع تتناول أشياء حدثت أو أمكن ملاحظتها من قبل. غير أن مصطلح ((علم الاجتماع التاريخي)) عادة ما يطبق على دراسة الوقائع الاجتماعية التي ترجع إلى أكثر من خمسين سنة. ولذلك فإن كل الوقائع الاجتماعية التي ترجع إلى القرن التاسع عشر يشار إليها على أنها وقائع تاريخية.

وإذا كان التاريخ يهتم بدراسة حوادث فريدة وذات نوعية خاصة من أجل ذاتها فقط، فإن علم الاجتماع على العكس من ذلك تماماً يركز على دراسة تطور مبادئ السلوك الإنساني العمومية، ولكنه يهتم بالأحداث الخصوصية إذا كانت لها دلالة سوسيولوجية، أي مرتبطة بهذه المبادئ العامة. ولذلك فإن التاريخ يختلف عن علم الاجتماع فإنه علم فردي، أي نظام وصفي أولي يتجه التفسير فيه إلى الظواهر الفريدة والفردية[1].

2- علاقته بالاقتصاد:

يتبادل علم الاجتماع وعلم الاقتصاد الاستفادة فيما بينهما بدرجة كبيرة، فموضوع علم الاقتصاد كما هو واضح، جهود الإنسان في الحصول على الثروة واستغلالها وتوزيعها. وهذه الجوانب الثلاثة الرئيسية لعلم الاقتصاد ذات علاقة مباشرة بعلم الاجتماع، أي ببعض الظواهر الاجتماعية، مثال ذلك علاقة توزيع الثروة بمشكلة الفقر ومسألة توزيع الثروة وعلاقتها بالنمو الاجتماعي. وهناك جوانب أخرى يدرسها علم الاجتماع وهي ذات علاقة وطيدة بعلم الاقتصاد منها على سبيل المثال مسألة الهجرة والكساد الاقتصادي والأزمات وانخفاض المستوى الاقتصادي، ودور التقاليد الاجتماعية في عرقلة نمو الاقتصاد وازدهاره...الخ.

ويعتبر الإنتاج والتوزيع في مقدمة اهتمامات علم الاقتصاد، لذلك يصب اهتمامه على علاقات ومتغيرات اقتصادية خالصة كالعلاقة بين العرض والطلب وارتفاع الأسعار وهبوطها... الخ، ولكن بالرغم من تضييق مجال علم الاقتصاد إلاّ أن ذلك أعطاه قدرة على معالجة ظواهره بطريقة منظمة، وحدد مصطلحاته ومقاييسه ومبادئه الأساسية بدقة متناهية، بل إن قدرة هذا العلم على تحويل النظرية الاقتصادية إلى التطبيق العملي جعله مساهماً أساسياً في رسم السياسات العامة. وبالرغم من ذلك فإن التشابه بين علمي الاقتصاد والاجتماع نجده في طابع التفكير، فالاقتصادي كالاجتماعي يهتم بالعلاقات بين الأجزاء والسيطرة والتبادل والمتغيرات، ويستعين بالطرق الرياضية في تحليل بياناته.

كما أن علم الاقتصاد يشدد على نشاطات الناس كما تتمثل في استخدامهم لبيئتهم في إنتاج البضائع والخدمات، وكيف يتم توزيعها واستهلاكها من قبلهم. ومن هنا يقول جوزيف شمبيتر J. Scumpeter وهو أحد علماء الاقتصاد في عصرنا الحاضر: إن علم الاقتصاد يجب أن يرجع إلى علم الاجتماع للتعرف على طبيعة ومضامين الظواهر الاجتماعية[1].

---

[1]- محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 200.

[1]- زهير عبد المالك، مرجع سابق، ص43.

وحينما يقوم رجال الاقتصاد بدراسة العلاقات الاجتماعية المتضمنة في السلوك الاقتصادي، فإن هذا العمل تكون له أهمية بالنسبة للتحليل السوسيولوجي. ولذلك فإن معظم أعمال تورستين فبلن Thorestein Veblen مثل كتابه عن "نظرية طبقة الأعيان" يمكن أن يكون مفيداً لعلم الاجتماع ومفيداً أيضاً للاقتصاديات. هذا ويبرز عالم الاجتماع عند دراسته للسلوك الاقتصادي الإطار الاجتماعي والثقافي الذي يتم فيه النشاط الاقتصادي، كما أن التحليل السوسيولوجي يركز على صور التنظيم الاجتماعي، وأنساق الأدوار المرتبطة، ونماذج المعايير والقيم التي تتحكم في النشاط الاقتصادي لمجتمع معين. ويهتم عالم الاجتماع كذلك بدراسة العلاقة بين النظام الاقتصادي ومظاهر التنظيم المجتمعي الأخرى، وخاصة من خلال تتبع تغيرها المصاحب في مجتمع بعينه[2].

3- علاقته بالديموغرافيا:

الديموغرافيا أو ما يسمى بعلم السكان Demography تهتم بالسكان من حيث الحجم وما يطرأ عليه من تغير، وأسلوب حدوث هذا التغير سواء عن طريق زيادة معدلات المواليد أو الوفيات أو الهجرة، كذلك يدرس هذا العلم تقسيم السكان إلى جماعات فرعية عديدة عن طريق الجنس، والعمل، والمركز الزواجي وما يحدث في هذه البناءات من تغيرات ...[3]. وهو علم إحصائي يهتم بتوزيع وتركيب السكان ونموهم والمواليد والوفيات والهجرات والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية إلى غير ذلك.

ويرى البعض أن ظهور الديموغرافيا كعلم يرجع إلى عام 1662 حينما حاول جون غرانت في مؤلفه: " ملاحظات طبيعية وسياسية على قوائم الوفيات" صياغة تعميمات تتعلق بالسكان، وذلك حين أوضح أن نسب الوفيات ترجع إلى أسباب معينة ودائمة[4].

ويهتم علماء الديموغرافيا في المجتمعات التي تخضع فيها الخصوبة إلى ضبط إنساني رشيد اهتماماً بالغاً بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسيكولوجية التي تؤثر في الخصوبة الفردية. وهذا يعني أن علماء السكان يهتمون بالضبط الاجتماعي للإنجاب مثلهم مثل علماء الاجتماع، كما يهتمون بدراسة نماذج الزواج. وقد تزايد الاهتمام في الوقت الحاضر بدراسة اتجاهات ودوافع تنشئة ورعاية الأطفال لتفسير تباين معدلات الخصوبة في المجتمعات المختلفة، وهذا أيضاً من اهتمامات علم الاجتماع، ولاسيما علم الاجتماع السكان.

ومن المسلّم به أن فكرة تأثير حجم السكان على طبيعة الظواهر الاجتماعية فكرة قديمة في علم الاجتماع، فقد أشار إليها كل من مالتيس Maltas وإميل دوركايم E. Durkheim فالديموغرافيا تُقدم تفسيرات ترتكز على الخصائص البيئية للمشاركين، باعتبار أن هذه البيئة تنطوي على أعداد معينة للسكان، والديموغرافيا تحدد ما هو اجتماعي في ضوء السلوك الموضوعي، فضلاً عن كونها تسعى إلى كشف العلاقات الموضوعية التي تظهر في عمليات التحضير والإنتاج الاقتصادي، والأنساق السياسية والأنساق التربوية، كما تهتم بالأنماط الذاتية للسلوك مثل القيم الثقافية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الديموغرافيا تنقسم إلى ثلاثة أقسام وكلها لها علاقة وطيدة بعلم الاجتماع:

أ- الديموغرافيا الصورية Demography Formal : تهتم بتحليل إحصاءات السكان، وما يطرأ عليها من ذبذبات في ضوء مبادئ رياضية.

---

[2]- محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 132.

[3]- المرجع نفسه، ص 110.

[4]- المرجع نفسه، ص 111.

ب- الديموغرافيا الكبرى Demography Macro : فرع من علم السكان يهتم بدراسة أعداد كبيرة من السكان، أو المجتمعات المحلية الكبرى أو القبائل أو المدن...ومعظم الدراسات الديموغرافية تندرج ضمن الديموغرافيا الكبرى.

ج- الديموغرافيا الصغرى Demography Micro : فرع من الديموغرافيا يهتم بدراسة الأفراد والجماعات الصغيرة. ولهذا توجه اهتمامها إلى دراسة السلوك الفردي أكثر من الاهتمام باتجاهات الجماهير.

4- علاقته بالسياسة:

السياسة Politics مصطلح يشير إلى العمليات التي ينطوي عليها السلوك الإنساني والتي يتم عن طريقها إنهاء حالة الصراع بين "الخير العام" ومصالح الجماعات. وغالباً ما يتضمن ذلك استخدام القوة أو أية صورة من صور الكفاح. وقد يقتصر استخدام المصطلح على الإشارة إلى العمليات التي تظهر داخل الإطار النظامي للدولة[1].

وعلم السياسة يبحث في أصل وطبيعة وأشكال ووظائف الدولة، وأن الدولة كما هو معروف إحدى المؤسسات الاجتماعية التي يهتم بها علم الاجتماع بدراستها ومعرفة دورها في تحقيق الضبط الاجتماعي داخل المجتمع، وكذا فإن علم الاجتماع يهتم بدراسة الرأي العام الذي له علاقة وطيدة بعلم السياسة من حيث أن الأول هو مادة تكون الأحزاب والمنظمات والتغيرات والحركات الاجتماعية[2].

والتكيف السياسي مع المجتمع هو سيرورة ترسيخ المعتقدات والتمثلات المتعلقة بالسلطة وبمجموعات الانتماء. فليس هناك من مجتمع سياسي يكون قابلاً باستمرار للحياة من دون استبطان حد أدنى من المعتقدات المشتركة المتعلقة في آن واحد بشرعية الحكومة التي تحكم، وبصحة التماثل بين الأفراد والمجموعات المتضامنة. يهمُّ قليلاً أن تكون هذه المعتقدات ثابتة أولاً في حجتها، إذ يكفي أن تنتزع الانتماء. فدراسة التكيف السياسي مع المجتمع يجب أن يُنظر لها من مظهر مزدوج كيف يمكن بمساعدة تصورات ملائمة عرض هذه المعتقدات والمواقف والآراء المشتركة بين كل أعضاء المجموعة أو جزء منها ؟، وكيف يمكن التعرف على سيرورات الترسيخ التي بفضلها يجري عمل التمثل والاستبطان ؟. ومن هنا، نجد أن علم الاجتماع يهتم بدراسة كافة جوانب المجتمع بينما علم السياسة يكرس معظم اهتماماته لدراسة القوة المتجسدة في التنظيمات الرسمية. فالأول يولي اهتماماً كبيراً بالعلاقات المتبادلة بين مجموعة النظم (بما في ذلك الحكومة)، بينما الثاني يهتم بالعمليات الداخلية كالتي تحدث داخل الحكومة مثلاً، كما يهتم علم السياسة بدراسة الحياة السياسية والحكومة وتوزيع القوة في المجتمع، فهو يتعلق بالمحافظة على النظام الاجتماعي، وأيضاً تحقيق التغير الاجتماعي بواسطة الإصلاح المخطط أو بواسطة الثورة.

وقد عبَّر ليبست lipset عن ذلك بقوله: «يهتم علم السياسة بالإدارة العامة، أي كيفية جعل التنظيمات الحكومية فعالة، أما علم الاجتماع السياسي فيعنى البيروقراطية، وعلى الأخص مشكلاتها الداخلية». ومع ذلك فإن علم الاجتماع السياسي يشترك مع علم السياسة في كثير من الموضوعات بل إن بعض العلماء السياسيين بدأوا يولون اهتماماً خاصاً بالدراسات السلوكية ويمزجون بين التحليل السياسي والتحليل السوسيولوجي.

5- علاقته بعلم النفس:

---

[1]- المرجع نفسه، ص 309.

[2]- زهير عبد المالك، مرجع سابق، ص ص 43-44.

علم النفس Psychology علم دراسة سلوك الكائنات العضوية الحية، بما في ذلك الكائنات الحيوانية والبشرية مع تأكيد على دراسة السلوك الفردي وعلاقته بالمنبهات البيئية[1].

ويُعرَّف علم النفس أيضاً بأنه علم دراسة العقل أو العمليات العقلية وبالتالي فهو يتناول قدرات العقل على إدراك الأحاسيس ومنحها معاني معينة ثم الاستجابة لهذه الأحاسيس العقلية كالإدراك والتعرف والتعلم.كما يهتم بدراسة المشاعر والعواطف والدوافع والحوافز ودورها في تحديد نمط الشخصية. وبينما يعد مفهوم «المجتمع» أو النسق الاجتماعي محور علماء الاجتماع فان مفهوم «الشخصية» محور علماء النفس الذين يعنون بالجوانب السيكولوجية أكثر من عنايتهم بالجوانب الفسيولوجية. وبهذا فإن علم النفس يحاول تفسير السلوك كما يبدو في شخصية الفرد من خلال وظائف أعضائه وجهازه النفسي وخبراته الشخصية. وعلى العكس يحاول علم الاجتماع فهم السلوك كما يبدو في المجتمع وكما يتحدد من خلال بعض العوامل مثل عدد السكان والثقافة والتنظيم الاجتماعي. ويلتقي علمي النفس والاجتماع في علم النفس الاجتماعي الذي يهتم من الوجهة السيكولوجية الخالصة بتناول الوسائل التي من خلالها تخضع الشخصية أو السلوك للخصائص الاجتماعية أو الوضع الاجتماعي الذي يشغله. ومن الوجهة السوسيولوجية في توضيح مدى تأثير الخصائص السيكولوجية لكل فرد أو مجموعة معينة من الأفراد على طابع العملية الاجتماعية. ويؤكد هومانز Homans في كتابه عن السلوك الاجتماعي أهمية الدوافع النفسية المفروضة على الجماعات في تفسير بناء الجماعة، ويتضمن ذلك النشاط والتفاعل والمعايير والعواطف التي تنشأ عمّا هو اجتماعي. وهو بذلك يركز على أشكال السلوك الاجتماعي التي تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات. ولهذا فإن جميع المسائل التي يعالجها علم النفس لابد وأن تكون متأثرة بطبيعة المجتمع، وعناصرها مستمدة منه، فخيال الأفراد وتصوراتهم ومدركاتهم الحسية لا يمكن أن تكون إلا صدى لبيئة الفرد ووسطه الاجتماعي، ولا يمكن أن تصدر هذه العمليات النفسية عن فردية خالصة مجردة عن واقعها الاجتماعي...وهكذا فاءننا نجد عدد من الظواهر النفسية كالقيادة والزعامة والشخصية، واتجاهات الرأي العام وغيرها ترجع في الأصل إلى دوافع وأسباب اجتماعية، وان كانت تبدو في ظاهرها أنها ظواهر فردية ونفسية. لذلك قامت علوم ودراسات مشتركة بين علم الاجتماع وعلم النفس لدراسة تأثير العوامل الاجتماعية في شخصيات الأفراد وسلوكهم، فظهر علم النفس الاجتماعي، وعلم الاجتماع النفسي، وعلم النفس الشعوب...الخ[1].

6- علاقته بعلوم الخدمة الاجتماعية:

الخدمة الاجتماعية Social Work مجال مهني متخصص يهتم بتطبيق المبادئ السوسيولوجية لحل مشكلات اجتماعية ذات طبيعة خاصة، وللتخفيف من حدة بعض المشكلات الفردية. ولهذا يهتم الاخصائيون الاجتماعيون العاملون في حقل الخدمة الاجتماعية بمعالجة عديد من المشكلات المتصلة بتوافق التنظيم الاجتماعي وحسن أدائه لوظيفته في المجتمع، وكذلك يتكامل الفرد في هذا التنظيم. وتهتم ميادين الخدمة الاجتماعية المتخصصة: بالفقر، والبطالة، وتوجيه الشباب وتنظيمهم...الخ[2].

---

[1]- محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 328.

[1]- أحمد رأفت عبد الجواد، مرجع سابق، ص ص 31-32.

[2]- محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 413.

وتعني الخدمة الاجتماعية أيضـــاً بدراســـة الفرد، والجماعة، والمجتمع دراســـة تطبيقية، بمعنى أن فنون الخدمة الاجتماعية تهتم بإيجاد حلول للمشـــكلات التي تعن لهذه الفئات الثلاث (فرد- جماعة- مجتمع)، وللقيام بذلك لابد لها من أن تنبثق دراســـتها من حقائق علم الاجتماع وقوانينه ونظرياته، فالأخصـــائي الاجتماعي يجب أن تتوافر له قاعدة اجتماعية نظرية يمكنه الانتفاع بها في ميادين الإصـــلاح الاجتماعي، وحل المشـكلات بعد تشـخيصـها تشـخيصـاً قائماً على فهم لحقائق الاجتماع. وتقدمت علوم الخدمة الاجتماعية بعد تطور الحياة الاجتماعية وزيادة حركات التصـــنيع في العالم، ونشـــأة المدن الكبيرة الصـــناعية...الخ، وأثر في هذه التغيرات في علاقات الأفراد والجماعات، وتفككت كثير من أواصـر الروابط الاجتماعية وظهرت الخلافات بين الأفراد والطبقات، ولهذا نشـط المصـلحون في محاولات لتصـحيح الأوضـاع، ومعالجة ما اعتل من الأحوال. وهنا أصـبح علم الاجتماع علماً تحليلياً بالنسـبة للخدمة الاجتماعية يمدها بالأسـس النظرية والقوانين العلمية.

خلاصة:

يتضـــح لنا مما ســـبق أن علم الاجتماع يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعظم فروع المعرفة العلمية، وما ذكرناه عبارة عن نماذج لأشـــكال تلك العلاقة وعمقها. على أنه من الأهمية بمكان أن نبرز حقيقة أن علم الاجتماع وان كان يدرس مع العلوم الاجتماعية الخاصة التي بينه وبينها علاقات وطيدة ظواهر اجتماعية واحدة إلا أن طبيعة الدراسة تختلف في علم الاجتماع عنها في العلوم الأخرى كالاقتصاد والسياسة وعلم النفس...الخ.

الفصل الثاني: علم الاجتماع، أغراضه وميادينه ومناهجه الدراسية.

تمهيد:

يكاد يجمع علماء الاجتماع على أن موضـــوع هذا العلم هو دراســـة المجتمع في ظواهره ونظمه وبنيته والعلاقات بين أفراده دراســـة علمية وصـــفية تحليلية الغرض منها الوصـــول إلى الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها هذه الظواهر. فعلم الاجتماع له عدة أغراض يرمي إليها ويهدف إلى تحقيقها، وله أيضاً عدة ميادين يدرسها ويهتم بها وهذه الميادين مختلفة باختلاف الحياة الاجتماعية.

أولاً- أغراض علم الاجتماع:

يتصـل منهج أي علم بالأغراض التي يحاول تحقيقها، وأغراض أي علم تتحقق عن طريق المناهج التي يطبقها في ميدان دراسـته. ولما كان علم الاجتماع علم نظري يتناول بالدراســـة ظواهر المجتمع بنفس الطريقة الموضـــوعية التي تتناول بها العلوم الطبيعية دراســـة الظواهر الخاصة بها. أي أن علم الاجتماع يهتم بالدراسة التقريرية الموضوعية، وعلى هذا فإن له أغراضاً نظرية وعملية.

1- الأغراض النظرية:

أ- دراســـة الحقائق الاجتماعية وظواهر المجتمع للوقوف على عناصـــرها وكيف ومما تتكون، ولمعرفة المبادئ العامة للحياة الاجتماعية، والدعائم التي ترتكز عليها.

ب- دراسـة أصـل الظواهر والحقائق الاجتماعية، والتطورات التي مرت بها على مر العصـور والعوامل التي أدت إلى هذا التطور وسـاعدت عليه، لأن الظواهر الاجتماعية متطورة متغيرة بتغير الزمان والمكان، وذلك عكس الظواهر الطبيعية الثابتة تقريباً زماناً ومكاناً.

ج- دراسة وظائف الظواهر الاجتماعية وتطور هذه الوظائف مع الزمان واختلافاتها مع المكان، إذ أن لكل ظاهرة وظيفتها الخاصة.

د- بحث العلاقات الاجتماعية والروابط المختلفة، والتعرف على مدى التفاعل الذي يحدث بين الأفراد والجماعات والظواهر فيما بينها.

هـ- دراسة العلاقات والتأثيرات المتبادلة ما بين الأفراد والتجمعات الإنسانية وبين الظروف الطبيعية والجغرافية والبيئية...بمعنى آخر دراسة العلاقات بين ظواهر المجتمع وما عداها من ظواهر تتخذها العلوم الأخرى ميداناً لدراستها.

و- يهدف علم الاجتماع إلى الكشف عن القوانين والنظريات الاجتماعية التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية سواء في أصلها ونشأتها، أو في تغيرها وتطورها أو في تأثيراتها المتبادلة، ولعل هذا الغرض هو أهم غرض يسعى علم الاجتماع إلى تحقيقه، فمحاولة الوصول إلى القوانين والنظريات هو الوسيلة الوحيدة التي تضفي على هذا العلم موضوعيته.

2- الأغراض العملية:

إلى جانب ذلك فإن علم الاجتماع مثله مثل بقية العلوم له جانبه العملي أو التطبيقي الذي يهدف إليه، فكما تقوم الدراسات الطبية (وهي دراسات عملية) على أساس المعرفة النظرية لعلم التشريح، وكما تستمد الهندسة التطبيقية من المعرفة الرياضية والهندسية، وكما تعتمد التربية على نظريات علم النفس. فإن نظريات علم الاجتماع والقواعد التي يتم التوصل إليها في ميدان دراسة المجتمع، تفيد عملياً مشاريع الإصلاح والتخطيط الاجتماعي، وجميع فروع الخدمة الاجتماعية تقوم على أساس من علم الاجتماع. فعلم الاجتماع عند كشفه للحقائق العلمية يساعد بلا شك على توجيه الإصلاح المنشود وفق ما تتطلبه ظروف المجتمع ودرجة تطوره.

ولقد حاول العديد من علماء الاجتماع تحديد ميادين هذا العلم وتضييق موضوعاته فانقسموا بذلك إلى ثلاث فرق[1]:

أ- الفريق الأول: يذهب إلى أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة العلاقات الاجتماعية، ويُعرف هذا الفريق بأصحاب ((مدرسة العلاقات الاجتماعية)) ويتزعمه عالم الاجتماع الألماني جورج زيمل G. Simmel وماكس فيبر Max Weber، ويبني هذا الفريق رأيه - بصفة عامة- على أساس الفصل بين شكل العلاقات الاجتماعية ومضمونها، فإذا دُرست من حيث شكلها (أي طبيعتها الصورية) كانت موضوع علم الاجتماع، أما إذا دُرست من حيث مضمونها كانت موضوعاً لعلم آخر.

ب- الفريق الثاني: من أنصاره إميل دوركايم E. Durkheim وهوبهوس L. Hobhouse وجزنبرغ Ginsberg وسمول Small ...، ويذهب هذا الفريق إلى ضرورة قيام علوم اجتماعية جزئية إلى جانب علم الاجتماع، يتناول كل منها دراسة ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية، على أن تقتصر وظيفة علم الاجتماع العام على وضع المبادئ العامة، وتصوير السمات العامة للحياة الاجتماعية، وتنسيق النتائج ووضع سمات البحث. ويشبه هذا الفريق علم الاجتماع بشجرة كبيرة جذورها في أرض المجتمع وساقها هو علم الاجتماع العام وفروعها وأغصانها هي العلوم الاجتماعية الفرعية، وثمارها هي القوانين الاجتماعية.

ج- الفريق الثالث: علماؤه لا يمثلون اتجاهاً محدداً، ولكن آرائهم تعبر عن وجهات نظرهم الخاصة، فمنهم من يذهب إلى أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة التغير الاجتماعي، ومنهم من يذهب إلى أن موضوعه هو دراسة النظم الاجتماعية.

---

[1]- مصطفى الخشاب، مرجع سابق، ص 47.

ثانياً– ميادين وفروع علم الاجتماع:

بعدما نال علم الاجتماع استقلاليته، وتشعبت موضوعاته، واتسعت آفاقه، وظهرت علوم فرعية داخل علم الاجتماع، اهتمت كل واحدة منها بدراسة جانب واحد من جوانب الحياة الاجتماعية، وقد استقلت هذه العلوم بدورها عن علم الاجتماع، وان ظلت باقية في دائرة الدراسات الاجتماعية. فأصبح هناك علم الاجتماع العام مع عدد من العلوم الاجتماعية التي تعتبر من جهة أخرى فروعاً تابعة له.

ولقد كانت بداية تقسيم علم الاجتماع مع ابن خلدون، عندما قسم موضوعات علم العمران البشري إلى أقسام يضم كل منها طائفة من الظواهر الاجتماعية المتجانسة، وكان تقسيم ابن خلدون كمايلي[1]:

1- علم العمران البشري على الجملة.

2- في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل.

3- في الدولة العامة، والملك والمراتب السلطانية.

4- في البلدان والأمصار، وقد تعرض في هذا الباب إلى نشأة المدن، ومواطن التجمع الإنساني، وما تمتاز به المدن عن غيرها من مختلف الوجوه العمرانية والاقتصادية واللغوية.

5- في وجوه الكسب والضائع وما يعرض في ذلك كله.

6- في العلوم والصناعات، والتعليم وطرقه وسائر وجوهه، وما يعرض في ذلك من الأحوال.

أما تقسيم كونت فكان إلى قسمين[2]:

1- علم الاجتماع السكوني: علم يبحث في أصل الاجتماع والشروط الدائمة لوجود المجتمع، ويرى كونت أن سبب الاجتماع ليس العامل الاقتصادي وإنما العاطفة، غير أن كونت يعود لكي يؤكد أن الأنانية تعارض العاطفة وتقاومها، وعلى ذلك فإنه يضع للعقل والتعاطف اللذين ينموان بالحياة الاجتماعية دوراً مهماً من شأنهما أن يقضيا على الأنانية ويجعلا العاطفة تقوم بدورها في تكوين المجتمع. ويرى كونت أن عاطفة الفرد حينما تنمو تستوعب الجنس البشري كله، وبذلك تنشأ لديه فكرة الخلود، فاستمرار وبقاء الجنس البشري هما استمرار وبقاء لحياته هو...فالمجتمع وحدة أفراد متنوعة ومتفقة في آن واحد.

2- علم الاجتماع الحركي: وهو القسم الذي يبحث في قوانين تطور المجتمع، وفي رأي كونت هناك أربعة قوانين: الأول هو قانون التطور نفسه والثلاثة الباقية تختص بالقوانين المادية والأخلاقية والعقلية. فالتطور حسب كونت ملازم للإنسان دون سائر المخلوقات الأخرى، بسبب امتلاكه لقوى قادرة على العمل المتواصل، وهذا القانون يشمل المجتمع أيضاً، فهو في تقدم مستمر، ولكنه لا يصل إلى الكمال المطلق، انه تطور يشمل القوى المادية والأخلاقية والعقلية...

أما عن دوركايم فقد بوب موضوعات علم الاجتماع كمايلي[3]:

1- الموفولوجيا الاجتماعية Social Morphology: وتحتوي على دراسة لجغرافية البيئة وعلاقة ذلك بالتنظيم الاجتماعي وكذلك دراسة السكان من حيث كثافتهم وتوزيعهم.

---

[1]- أحمد رأفت عبد الجواد، مرجع سابق، ص 28.

[2]- زهير عبد المالك، مرجع سابق، ص ص 30-31.

[3]

2- علم الوظائف الاجتماعي Social physiology: ويشمل الاجتماع الديني والأخلاقي والقضائي والاقتصادي واللغوي، والجمالي.

3- علم الاجتماع العام General Sociology: وهو فلسفة العلم، ووظيفته جمع النتائج والقوانين العامة التي تصل إليها العلوم الجزئية، ومحاولة التنسيق بينها، كما يهتم بدراسة ماهية العلم وصلته بالعلوم الأخرى، ومناهج البحث وطبيعة المجتمعات.

ويرى دوركايم أن دراسة علم الاجتماع للظواهر الاجتماعية أدى إلى انقسام علم الاجتماع إلى فروع بعدد الظواهر الاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى ظهور علوم الاجتماع الخاصة، كعلم الاجتماع السياسي، والديني، والتربوي...الخ، وهنا تصبح مهمة علم الاجتماع العام ربط النتائج العامة التي تصل إليها هذه الفروع، والوصول إلى القوانين التي تفسر الحياة الاجتماعية بصفة عامة.

أما عن التصنيف الحديث فقد ظهر بعد الثورة الصناعية وأثناء نشأة المدن الكبرى، وتطور وسائل الإعلام والاتصال والتكنولوجيا، كل هذا أدى إلى ظهور ميادين جديدة للدراسات الاجتماعية، لم تكن معروفة من قبل، وبالتالي أملت على علماء الاجتماع إضافة أقسام جديدة منها:

1- المورفولوجيا الاجتماعية: وتهتم بدراسة بنية المجتمع، وقيام المدن ونموها وتخطيطها والوظائف التي تؤديها.

2- الانثربولوجيا الاجتماعية: وهو علم الإنسان، ويدرس المجتمع من حيث أصوله البشرية وتفاعلها مع بيئة المجتمع، وتطور وسائل التعبير والتفكير والثقافة بصفة عامة.

3- الديموغرافيا الاجتماعية: وهو علم السكان ويبحث في تركيب السكان وتوزيعهم وتخلخلهم وكثافتهم، والهجرة والمواليد والوفيات.

4- علم الاجتماع القانوني: يقوم هذا العلم على أن القانون والأنظمة الشرعية تعتبر جزءاً من المجتمع، وعلى وجود علاقة جدلية بين القانون والمجتمع، وبالتالي فإن أي تغيير في أي منهما ينعكس على الطرف الآخر[1].

5- علم الاجتماع الديني: ميدان يدرس العلاقات المتبادلة بين الدين والمجتمع وصور التفاعل بينهما، حيث أن الدوافع الدينية والأفكار والنظم تؤثر وتتأثر بالقوى الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي. وهو علم وصفي تقريري يرمي إلى دراسة المجتمعات الدينية (من نظم وظواهر وعبادات وطقوس) دراسة علمية تحليلية لبيان ما هو كائن، وليس لبيان ما ينبغي أن يكون[2]. الاجتماع الديني يحتوي علم الاجتماع كله احتواء تاماً، ولكنه مع ذلك يكون أهم أجزائه، لأنه مصدر الحياة الاجتماعية كلها[3].

6- علم الاجتماع الريفي: هو الدراسة العلمية للسكان الريفيين والعلاقات القائمة بينهم، أو بعبارة أخرى هو العلم المعنى بدراسة أهل الريف وما تربطهم من صلات داخل القرية، وتلك التي تربطهم وغيرهم من السكان الريفيين في قرى أخرى[4].

7- علم الاجتماع الحضري: موضوع علم الاجتماع الحضري حياة المدينة بما فيها تحليل المدينة كظاهرة اجتماعية مستقلة، ودراسة مشكلاتها الاجتماعية والحضارية والإقليمية، وكانت نشأته الأوربية والأمريكية في نهاية القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين. ويهتم

---

[1]- صلاح الدين شروخ، مرجع سابق، ص 101.

[2]- زيدان عبد الباقي، **علم الاجتماع الديني**، مكتبة غريب، بنغازي 1981، ص 41.

[3]- علي سامي النشار، **نشأة الدين: النظريات التطورية والمؤلهة**، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، مصر 1949، ص 16.

[4]- غريب سيد أحمد، **علم الاجتماع الريفي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2000، ص 21.

علماء علم الاجتماع الحضري من الأمريكيين المعاصرين بالمشكلات البيئية في المدن الكبرى، حال كل من: بارك، وبرجس، ومكينـزي من ممثلي المدرسة الحضرية لجامعة شيكاغو. كما اهتموا بمشكلات تضخم المدن الناجمة عن المناطق الدائرية حولها، وذات البيئات المختلفة[1].

8- علم الاجتماع السياسي: ويُعرّف علم الاجتماع السياسي على أنه الدراسة العلمية المنظمة للظواهر السياسية الملموسة في تأثيرها وتأثرها بباقي أجزاء البناء الاجتماعي، ومن الممكن اعتبار كتاب السياسة لأرسطو أحد كتب علم الاجتماع السياسي...[2]، وهو أيضاً فرع من فروع علم الاجتماع الذي يهتم بدراسة كل من النتائج والأسباب الاجتماعية لعملية توزيع القوة داخل أو بين المجتمعات، كما أنه يعالج أنماط الصراع السياسي والاجتماعي الذي يؤدي إلى تغيير عملية توزيع القوة.

9- علم الاجتماع التربية: هو علم سلوكي يتميز بجملة خصائصها، فهو بحث في السلوك، حديث النشأة كالعلوم السلوكية الأخرى التي نشأت في الربع الثاني من القرن العشرين[3]. ويهتم بدراسة الطبيعة الاجتماعية للتربية، وتحليل المؤسسات والمنظمات التربوية في المجتمع. وينصب اهتمامه على المجتمع وتأثره بالمدرسة، وفهم الظواهر الاجتماعية الناتجة عن العملية التربوية، أو المدرسية. أما محتواه فهو التغير الاجتماعي والتربية، والتربية غير المدرسية، والطبقات الاجتماعية، والمدرسون في المدرسة[4].

10- علم الاجتماع الاقتصادي: يبحث في المجتمعات التي تعمل على تأمين الحاجات المادية للإنسان. وغايته دراسة النظم الاقتصادية، من حيث الإنتاج والمبادلة والتوزيع، ويعني ببحث الجماعات البدائية ذات الوظائف المتعددة، والأسرة والدولة من الناحية الاقتصادية ودور النقابات قديمها وحديثها في المجتمع والاقتصاد، والجمعيات الزراعية، والتعاونيات الاجتماعية، والإنتاجية، والاستهلاكية[5]. كما يبحث في الدور الاقتصادي للجماعات الاجتماعية المختلفة، كالأسرة والدولة...

11- علم الاجتماع المعرفة: يبحث علم الاجتماع المعرفة في المعرفة كنتاج اجتماعي، ويمكن التعرف على الأهمية الكبرى لهذا العلم من خلال التعريف التالي: إن الموضوع الرئيسي لدراستنا هو أن نلاحظ كيف ترتبط الحياة الفكرية في فترة تاريخية معينة بالقوى الاجتماعية السياسية القائمة[6]. ويعتبر البروفيسور كارل مانهايم في كتابه: ((الأيديولوجية والطوباوية)) عام 1936، وفي مقالاته: مقالات حول علم الاجتماع المعرفة عام 1952، من المؤسسين البارزين لعلم الاجتماع المعرفة، بما أضاف إليه من معلومات فلسفية، وبطريقته الدراسية الأصيلة...[1].

12- علم الاجتماع الرياضي: هو أحد فروع علم الاجتماع العام، وهو يدرس ويحلل الرياضة بطبيعتها كظاهرة من ظواهر المجتمع، أي أنه هناك علاقة متبادلة بين علم الاجتماع الرياضي وعلم الاجتماع العام، فعلم الاجتماع بصفة عامة يبحث فى السلوك الإنساني المنظم للجماعات، أما علم الاجتماع الرياضي فيدرس سلوك الأفراد داخل المجتمع الرياضي. وعلم الاجتماع الرياضي يؤكد على الاتصال

---

[1]- دينكن ميتشل، **معجم علم الاجتماع**، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، لبنان 1981، ص ص 284-249.

[2]- فاروق مداس، مرجع سابق، ص ص 182-183.

[3]- حامد عبد الله الربيع، **مقدمة في العلوم السلوكية**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر 1972، ص 30.

[4]- إبراهيم ناصر، **علم الاجتماع التربوي**، دار الجيل، بيروت، مكتبة الرائد، عمان، دون سنة، ص ص 12-13.

[5]- صلاح الدين شروخ، مرجع سابق، ص 97.

[6]- فاروق مداس، مرجع سابق، ص 178.

[1]- صلاح الدين شروخ، مرجع سابق، ص 103.

الاجتماعي بين الأفراد الممارسين للأنشطة الرياضية المختلفة حيث أن الفرد يتأثر ويؤثر فيما يزاوله من نشاط فردي أو جماعي. وهذا العلم يتأثر بثقافة المجتمع ونظمه ومفاهيمه وقوانينه.

13- علم الاجتماع التاريخي: يعتبر أي بحث سوسيولوجي بحثاً تاريخياً بمعنى ما، طالما أن سجلات علماء الاجتماع تتناول أشياء حدثت أو أمكن ملاحظتها من قبل، ويعتبر علم الاجتماع التاريخي نوعاً خاصاً من الدراسة المقارنة للجماعات الاجتماعية من حيث تركيبها وعلاقتها والظروف الاجتماعية التي ساعدت على تكاملها وتفككها، وعلم الاجتماع يبحث في سجلات المجتمعات والثقافات[2].

14- علم الاجتماع العائلي: يطلق هذا المصطلح على أحد فروع علم الاجتماع العام، الذي يهتم أساساً بدراسة الأسرة والزواج والقرابة بنائياً ووظيفياً[3]. وهو علم يدرس أيضاً مراحل تطور ونمو الأسرة ابتدءاً من الأسرة النواة والتي يتم تكوينها من الزوجين والأبناء حتى وصولها إلى الأسرة الممتدة، التي تتكون من الأبناء وأبناء الأبناء. ويقوم علم اجتماع العائلة بدراسة الظواهر التي تحدث داخل محيط الأسرة، وشكل النسيج الاجتماعي داخل الأسرة، وأيضاً يقوم بدراسة العادات والتقاليد المتبعة في مراسم الزواج والطلاق...الخ.

15- علم اجتماع الثقافة: يدرس علم اجتماع الثقافة العلاقة بين البنى المعرفية أو الفكرية أو الثقافية أو الدينية وعلاقتها بالأطر الاجتماعية، أي أن هناك علاقة جدلية بين الثقافة أو الأيديولوجي- البناء الفوقي- و بين الواقع المادي و الاجتماعي- البناء التحتي-. وهو علم يدرس مظاهر التخلف الثقافي، وصراع الثقافات، وعناصر الثقافة ومدى انتشارها.

16- علم اجتماع الصراع: تفترض نظرية الصراع عدة أشكال منها: التنافس على السيطرة على المنافع والرغائب المتنفعة عند الآخرين، وهناك الصراع السلمي القانوني بين الجماعات، وهناك علماء عدة تكلموا على الصراع مثل: ماركس وجورج زمل وداهرندوف. والفكر النظري حول الصراع الاجتماعي هو فكر قديم جداً، ولعل نظرية كارل ماركس حول الصراع الطبقي تمثل حصيلة لتراكم الزاد المعرفي لهذه النظرية، فالصراع الاجتماعي عند ماركس له جذور اقتصادية تشكل الطبقات، وهذا الصراع حسب الماركسية هو القوة المحركة للتاريخ.

هذا وهناك عدة أقسام أخرى لعلم الاجتماع كعلم الاجتماع الفن، والأدبي، والمهني، والفلسفي، والأخلاقي، والأمبريقي، والصوري، والطبي، والعسكري، والصناعي...الخ.

ثالثاً- مناهج البحث في علم الاجتماع:

المنهج هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة، أو هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، و إما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين.

البحث هو عبارة عن تحقيق أو استقصاء منظم ومنطقي يتناول مشكلة معينة محددة بوضوح بهدف الوصول إلى إجابات أو حلول لهذه المشكلة. فالتحقيق يكون خاصاً بكتب التراث وما يسمى بالمخطوطات، أما الاستقصاء فهو تتبع للمادة العلمية في المصادر والمراجع، كما أن هذا البحث لابد أن يكون لوجود مشكلة أو لابد أن ينبع من مشكلة ويُراد الوصول إلى حل لها أو إجابة عن استفهامات، فلا بد لكل بحث من مشكلة وهدف.

ومناهج أو طرق البحث في علم الاجتماع كثيرة نذكر منها:

---

[2]- فاروق مداس، مرجع سابق، ص 185.

[3]- المرجع نفسه، ص 184.

1- المنهج التاريخي: The Historical Method

يقوم هذا المنهج أساساً على دراسة أحداث وأحوال الماضي إما بالسرد فقط، أو بالسرد والتعليل والتفسير بل يمكن من خلال المنهج التاريخي استشراف المستقبل سواء القريب أو البعيد. ومن أهم مصادر هذا المنهج: كتب التاريخ، والوثائق، والآثار، والمقابلات الشخصية لمن عاصر الحدث، ويكون هذا التقييم من قبل الباحث أمراً لازماً بحيث يجب عليه التأكد من صحة هذه المعلومات ومن دقتها. والمنهج التاريخي هو الطريق الذي يتبعه الباحث في جمع معلوماته عن الأحداث والحقائق الماضية، وفي فحصها ونقدها وتحليلها والتأكد من صحتها، وفي عرضها وترتيبها وتفسيرها، واستخلاص التعميمات والنتائج العامة منها، والتي لا تقف فائدتها على فهم أحداث الماضي فحسب بل تتعداه إلى المساعدة في تفسير الأحداث والمشاكل الجارية وفي توجيه التخطيط بالنسبة للمستقبل.

ويتضمن المنهج التاريخي خمس عمليات هي[1]:

- اختيار موضوع البحث: ويتم اختيار موضوع البحث التاريخي على ضوء المعايير المتفق عليها لاختيار مشكلات البحوث، مع الأخذ بعين الاعتبار أبعاد المكان والزمان الذي حصلت فيه الظاهرة.

- جمع المادة التاريخية: يقوم الباحث بجمع المعلومات حول الموضوع من مصادره الأولية والثانوية، فالأولية تشمل الآثار من بقايا حضارات ماضية أو وثائق...، أما الثانوية فتضم معلومات غير مباشرة، وتشمل كل ما نقل أو كتب عن المصادر الأولية.

- نقد المادة التاريخية: ويكون نقد داخلي وخارجي. فأما الداخلي للتأكد من حقيقة المعاني والمعلومات والبيانات التي اشتملت عليها الوثيقة بشتى الطرق المختلفة والوقوف على ما تضمنته من متناقضات أو أخطاء. وأما الخارجي فهو فحص مصدر المعلومة لمعرفة مدى مصداقية المصدر ودرجة الاعتماد عليه. وهدف النقد الخارجي التحقق من صحة الوثائق، من حيث انتسابها إلى أصحابها، والى العصر الذي تنسب إليه، وله نوعان هما: نقد التصحيح، ونقد المصدر.

- اختبار الفروض وتحقيقها والتركيب التاريخي: وهذه الفروض تفسر الأحداث والظواهر، والتحقق من صدق كل فرض افترضه في ضوء المعلومات والأدلة المتوفرة لديه والنتائج المترتبة عليه، مستعملاً في هذا التحقق جميع الطرق العلمية الممكنة.

- كتابة البحث: وهي مرحلة استخلاص النتائج وكتابة تقرير البحث الذي يلخص فيه الباحث الحقائق والنتائج التي توصل إليها، في أسلوب علمي رصين بعيد عن المبالغات والخيال الرومانتيكي والمحسنات البديعية المبالغ فيها.

2- المنهج الوصفي: The Descriptive Method

وهو المنهج الذي يقوم بوصف ودراسة لظاهرة من الظواهر الإنسانية كما هي في الواقع بحيث يقوم على وصف ودراسة الظواهر والمتغيرات كما هي في الواقع الملموس، وحين يريد الباحث أن يدرس ظاهرة ما فإن أول خطوة يقوم بها هي وصف الظاهرة التي يريد دراستها وجمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها، والمنهج الوصفي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها كيفياً أو تعبيراً كمياً. والأسلوب الوصفي هو أحد أساليب البحث العلمي، ولذلك يسير الباحث وفق هذا الأسلوب على خطوات الطريقة العلمية نفسها التي تبدأ بتحديد المشكلة ثم فرض الفروض، واختبار صحة الفروض حتى الوصول إلى النتائج والتعميمات، ويمكن تلخيص هذه الخطوات على النحو التالي:

---

[1]- جابر عبد الحميد جابر، وآخرون، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر 2002، ص 111.

- الشعور بمشكلة البحث.
- تحديد المشكلة التي يريد الباحث دراستها وصياغتها بشكل سؤال محدد أو أكثر من سؤال.
- وضع فرض أو مجموعة من الفروض كحلول مبدئية للمشكلة يتجه بموجبها الباحث للوصول إلى الحل المطلوب.
- اختيار العينة التي ستجري عليها الدراسة مع توضيح حجم هذه العينة وأسلوب اختيارها.
- اختيار أدوات البحث التي سيستخدمها الباحث في الحصول على المعلومات، وذلك وفقاً لطبيعة مشكلة البحث وفروضه، وأهم الأدوات المستخدمة في الدراسات الوصفية: الملاحظة والاستمارة والمقابلة.
- القيام بجمع المعلومات المطلوبة بطريقة دقيقة ومنظمة.
- الوصول إلى النتائج وتنظيمها.
- تحليل النتائج وتفسيرها واستخلاص التعميمات والاستنتاجات منها.

ويستخدم المنهج الوصفي لوصف الظاهرات في الوقت الحاضر لمعرفة خصائص كل ظاهرة من هذه الظاهرات كما يصف العلاقات المتداخلة بين الظاهرات محاولاً استقراء المستقبل. كما يهتم المنهج الوصفي بالتعرف على معالم الظاهرة أو المشكلة وتحديد أسباب وجودها وتشخيصها والوصول إلى كيفية تغيرها[1].

وقد اعتمدت الدراسات الاجتماعية عامة وبخاصة علوم الجغرافيا والاجتماع والإنسان على هذا المنهج كلياً في بداياتها في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، ولا زالت تستخدم هذا المنهج، ولكن بدرجة أقل حيث صارت تزاوجه مع مناهج أخرى.

ويتلخص المنهج الوصفي في متابعة وملاحظة ظاهرة أو حدث ما، معتمداً على معلومات نوعية أو كمية في فترة زمنية معينة، أو خلال فترات زمنية مختلفة بغرض التعرف على شتى جوانب الظاهرة وعلاقاتها بغيرها من الظاهرات للوصول إلى نتائج تساعد في فهم الواقع الراهن ليتم تطويره مستقبلاً. كما يتبع المنهج الوصفي بعض الوسائل وطرق البحث المختلفة لتحقيق أهدافه تتلخص في أسلوب المسح، دراسة الحالة، وتحليل المحتوى.

3- المسح الاجتماعي: Social Survey

يستخدم في البحوث الوصفية. ويعرفه ويتني Whitney على أنه محاولة منسقة لتحليل وتفسير، وتقرير الحالة القائمة لجماعة أو بيئة ما أو لنظام اجتماعي، وهو يتصل بالحاضر ولا يهتم بالماضي، ويهدف إلى جمع بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها وذلك للاستفادة بها في أغراض عملية تتعلق بالمستقبل. ويعرفه بولين يونغ P. Yong على أنه دراسة للجوانب المرضية للأحوال الاجتماعية الموجودة في موقع جغرافي محدد، وهذه الأحوال لها دلالة اجتماعية ويمكن قياسها ومقارنتها بأحوال أخرى تعتبر نماذج يمكن قبولها، وذلك بقصد تقديم برامج إنشائية للإصلاح الاجتماعي[1]. وغالباً ما تتبع محاولة إصلاح هذا المجتمع بوضع نتائج هذه المسوح أمام المسؤولين لتحديد كيفية مراجعة المشكلات المرتبطة بها.

للمسوح الاجتماعية عدة أنواع منها:

---

[1]- أحمد عبد الله اللحلح، مصطفى محمود أبوبكر، **البحث العلمي، تعريفه، خطواته، مناهجه، المفاهيم الإحصائية**، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر 2002، ص 18.

[1]- أحمد رأفت عبد الجواد، مرجع سابق، ص ص 37-38.

أ- من ناحية موضوع الدراسة المسوح نوعان: عامة وخاصة (محدودة)

- المسوح العامة: تعالج عدة أوجه من الحياة الاجتماعية كدراسة الجوانب السكانية والتعليمية والصحية والزراعية مجتمعة في مجتمع معين أيا كان حجم هذا المجتمع.

- المسوح الخاصة: تهتم بدراسة شق متعلق بنواحي محددة ومنفردة من الحياة الاجتماعية كالتعليم أو الصحة أو الزارعة أو الصناعة...

ب- من ناحية المجال البشري المسوح نوعان: شاملة وعن طريق العينة.

- المسوح الشاملة: وتقوم بدراسة شاملة لجميع مفردات المجتمع، أي لكل أعضاء الجماعة أو المجتمع المحلي كسكان قرية أو مدينة أو حي معين، ويتم ذلك عن طريق الحصر الشامل، ويعيبها أنها طريقة كثيرة التكاليف، وتحتاج إلى وقت طويل، وإمكانات ضخمة، وجهد كبير.

- المسوح بطريق العينة: ويكتفي فيها بدراسة عدد محدود من الحالات أو المفردات في حدود الوقت والجهد والإمكانات المتوفرة لدى الباحث، وهذا عن طريق ما يُعرف بأسلوب المعاينة.

والمسح الاجتماعي يعد من أنسب المناهج التي تنصب على جمع البيانات التي يمكن أن تخضع للمعالجة الكمية، وهو يهتم بنطاق البحث أكثر من اهتمامه بالعمق في دراسته. كما تتميز الموضوعات التي يتناولها بأنها ذات طبيعة مرضية وأنها ظواهر قابلة للقياس والمقارنة، كما أنها محددة بمجال جغرافي معين يتم دراستها فيه بهدف تحقيق الإصلاح والتطوير، ووضع برنامج للتغيير والتحسين.

4- المنهج التجريبي: The Experimental Method

يقوم هذا المنهج أساساً على التجارب العلمية والمختبرية، ويقوم على أساس التحكم المتغير ويستخدم في التجارب العملية أو المختبرية باعتماد الباحث على آلات وأجهزة التأثير بعض الأدوية على الإنسان أو على الحيوان كما يمكن استخدام هذا المنهج في إجراء التجارب التطبيقية مثل: تجربة استخدام برامج الحاسب في زيادة التحصيل الدراسي.

ويستخدم هذا المنهج أيضاً في الحالات التي يتمكن فيها الباحث من ضبط ظروف الدراسة. والغاية هنا هي دراسة أثر متغير معين على متغير أو أكثر، وذلك بضبط أثر العوامل الأخرى التي يمكن أن تؤثر في النتيجة. وتتم عملية الضبط هذه في أبسط صورها، باختيار مجموعتين متماثلتين متكافئتين في جميع الخصائص التي يمكن أن يكون لها أثر، ثم يتم إدخال المتغير الذي نريد قياس أثره على إحداها، وتسمى ((المجموعة التجريبية))، في حين تسمى المجموعة الأخرى التي لم ندخل عليها أي متغير ((المجموعة الضابطة)). وقد تظهر هذه الطريقة في أشكال أهمها: الشكل **القبلي البعدي**(*) والشكل **البعدي**(**).

ويرجع الفضل في استخدام هذا المنهج إلى أوجست كونت، إلا أنه قصر استخدامه على الحالات الباثولوجية التي تصيب المجتمع. ويمكن تصنيف التجارب العلمية التي يمكن تطبيقها في علم الاجتماع إلى[1]:

أ- تجارب صناعية وأخرى طبيعية، فالتجربة الاجتماعية يمكن أن تكون صناعية إذا قام الباحث بالتحكم في جوانب الظاهرة وتحديدها

(*) **القبلي البعدي**: مصطلح يقصد به إجراء اختبار لقياس حالة المجموعتين قبل التجربة، أي قبل إدخال المتغير الذي يراد دراسة أثره، ثم إعادة القياس بعد مدة كافية من إدخال المتغير. ثم نقوم بعدها بمقارنة النتائج التي تمكننا من معرفة أثر المتغير في الدراسة.

(**) **البعدي**: يشير إلى عدم إمكانية تطبيق المرحلة القبلية، بحيث يكتفى فيه بالمرحلة البعدية فقط.

1- عبد الباسط محمد حسن، **أصول البحث الاجتماعي**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر 1977، ص ص 277- 279.

وضبط عواملها، ويمكنه أن يعيدها في نفس الظروف وفي أي وقت، والتجربة الاجتماعية يمكن أن تكون طبيعية إذا لم يتدخل الباحث في خلق ظروفها كما في التجربة الصناعية، وإنما يختبر الفروض بجمع المعلومات من الظواهر الموجودة في الطبيعة بدلاً من اصطناعها.

ب- تجارب ذات مدى قصير وأخرى ذات مدى طويل، فهناك تجارب تحتاج إلى مدى زمني قصير لإجرائها، وهناك تجارب تحتاج إلى مرحلة طويلة من الزمن للوصول إلى النتائج المرجوة.

ج- تجارب تستخدم فيها مجموعة واحدة من الأفراد، وأخرى تستخدم فيها أكثر من مجموعة.

د- تجارب تبدأ فيها بدراسة السبب، وتجارب تبدأ فيها بدراسة النتيجة.

ويقوم المنهج التجريبي على عدة خصائص منها[1]:

- يعتمد على وجود متغيرات مستقلة وأخرى تابعة، ويتم إجراء اختبارات وتجارب عملية في ظروف عادية، أو ظروف تجريبية اختبارية.
- يعتمد على أساس التحكم في مجموعة من العوامل والمتغيرات المستقلة، وقياس تأثير تغير المتغيرات المستقلة على المتغيرات التابعة.
- يقوم أساساً على محاولة اختبار الفروض التي وضعها الباحث من خلال إعداد بيئة، أو مناخ اصطناعي يحاكي البيئة أو المناخ الطبيعي، الذي يستطيع الباحث التحكم فيه ودراسة تأثير المتغير المستقل.

5- المنهج الإحصائي: The Statistical Method

إن اعتماد الإحصاء كأداة علمية للحصول على المعلومات وتوضيح المتغيرات، أداة علمية أصبحت الحياة الاجتماعية في حاجة ماسة إليها خصوصاً مع التطورات السريعة التي تشهدها المجتمعات اليوم، فهو يكشف العلاقات بين الظواهر ويقرر الحقائق ويقيم المشروع.

وتعود أهمية الإحصاء إلى كونه يسمح بالحكم على الظواهر بشكل موضوعي، ويقرر الحقائق ولا يترك مجالاً للتأويل، ويكشف العلاقات الضرورية بين الظواهر، ويسمح بوضع تعميمات وقوانين بصورة كمية دقيقة.

ويعتمد هذا المنهج على خطوات يمكن حصرها فيما يلي[2]:

أ- جمع البيانات، وفي هذه العملية يجب مراعاة عدة اعتبارات منها تحديد مجال البحث المكاني والزماني والبشري، وتحديد مفاهيم البحث ومصطلحاته.

ب- اختيار العينة المناسبة الممثلة لمجتمع البحث.

ج- طرق جمع البيانات وأهمها: الاستمارة والاستبيان والمقابلة، وجمع البيانات أيضاً من المصادر الرسمية كالسجلات والوثائق والنشرات والإحصاءات الرسمية والاطلاع على البحوث العلمية السابقة، كذلك جمع البيانات عن طريق الملاحظة الشخصية المتعمدة أو العشوائية.

د- مراجعة البيانات ونقدها والتأكد من صحتها.

هـ- فرز البيانات وتصنيفها وجدولتها.

---

[1]- خالد حامد، **منهج البحث العلمي**، دار ريحانة، القبة، الجزائر، 2003، ص 44.

[2]- أحمد رأفت عبد الجواد، مرجع سابق، ص ص 44-47.

و- تحليل البيانات، ويتخذ شكلين: التحليل الكيفي وفيه يحاول الباحث تفنيد البيانات ونقدها وعقد المقارنات، ووضع الفروض للظاهرة المدروسة...الخ، أما التحليل الكمي فيلجأ الباحث إلى تفسير البيانات تفسيراً كمياً باستخدام الطرق الرياضية كإيجاد المتوسطات والترابطات والرسوم الهندسية والبيانية...الخ.

ن- كتابة التقرير النهائي عن موضوع البحث.

6- منهج دراسة الحالة: The Case Study Method

هو طريقة لدراسة الظواهر الاجتماعية من خلال التحليل المتعمق لحالة فردية، قد تكون شخصاً، أو جماعة، أو حقبة تاريخية، أو عملية ما، أو مجتمعاً محلياً، أو مجتمعاً كبيراً، أو أي وحدة أخرى في الحياة الاجتماعية. ويقوم هذا المنهج على افتراض أن الحالة المدروسة يمكن أن تتخذ نموذجاً لحالات أخرى مشابهة، أو من نفس النمط، ولذلك فمن الممكن عن طريق التحليل المتعمق أن نتوصل إلى تعميمات قابلة للتطبيق على حالات أخرى تندرج تحت نفس النموذج[1].

ويرجع استخدام هذه الطريقة في البداية إلى علماء التاريخ، حينما اهتموا بتقديم دراسات وصفية عن الشعوب والأمم، والجماعات الصغيرة والقبائل... ويستخدم منهج دراسة الحالة في الظروف الآتية[2]:

أ- حينما يريد الباحث أن يدرس المواقف المختلفة دراسة تفصيلية في مجالها الاجتماعي، ومحيطها الثقافي من عادات وتقاليد وقيم واتجاهات فكرية...الخ.

ب- حينما يريد الباحث أن يدرس التاريخ التطوري لشيء أو شخص أو موقف.

ج- حينما يريد الباحث أن يتوصل إلى معرفة حقيقة الحياة الداخلية لشخص ما، بدراسة حياته الاجتماعية، واهتماماته، ودوافعه، على أن ينظر للفرد باعتباره عضواً في الجماعة التي يعيش فيها، ويتفاعل معها في إطار ثقافتها الكلية.

د- حينما يريد الباحث أن يحصل على حقائق متعلقة بمجموعة الظروف المحيطة بموقف اجتماعي، أو في التوصل إلى معرفة العوامل المتشابكة، التي يمكن استخدمها في وصف وتحليل العمليات الاجتماعية التي يمكن أن تقوم بين الأفراد نتيجة لحدوث التفاعل بينهم كالتعاون والتوافق والتكيف.

وتعتبر دراسة الحالة أحد أساليب البحث و التحليل الوصفي المطبقة في مجالات علمية مختلفة، وقد تكون الحالة المدروسة: شخصاً- جماعة – مؤسسة – مدينة[3]. ويقوم هذا الأسلوب بجمع معلومات كثيرة ومفصلة عن مفردة واحدة أو مفردات قليلة من مفردات المجتمع، حيث يمكن هذا الأسلوب الباحث من متابعة الحالة متابعة دقيقة وشاملة ومتواصلة عبر الزمن الأمر الذي يؤدي إلى تراكم المعلومات الدقيقة والمفصلة عن الحالة، وتشمل المعلومات التي تجمع الوضع الراهن للظاهرة كما تشمل أيضاً معلومات الماضي.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 47.

[2]- عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ص 235-236.

[3]- خالد حامد، مرجع سابق، ص 35.

ويستعين الباحث في هذا المنهج بعدة وسائل كالملاحظة والمقابلة والإحصاءات الرسمية والوثائق الشخصية، والخرائط والرسوم المختلفة، وملاحظات كبار السن وقادة الجماعات والوحدات.

ويتبع هذا المنهج الخطوات العلمية التالية:

أ- تجميع البيانات بواسطة الوسائل السابقة.

ب- تسجيل البيانات وتدوينها بطريقة منظمة تعين الباحث على استخلاص النتائج، ويعتمد هذا التسجيل على الوصف الدقيق لهذه الحالة بأسلوب موضوعي بعيد عن الذاتية.

ج- تصنيف البيانات المسجلة وتبويبها، بحيث يتم هذا التصنيف بطريقة استقرائية (الانطلاق من الجزئيات إلى القضايا العامة).

د- تحليل وتفسير الحقائق المجمعة والمصنفة تحليلاً اجتماعياً وعلمياً، والكشف عن العلاقات القائمة بين مجموعات الحقائق، وتحديد نموذج الحالة التي وصل إليها، ومدى اتفاقها مع غيرها من النماذج.

هـ- استخلاص النتائج وتعميمها، وهذا التعميم لا يكون واسعاً، وإنما متماشياً مع النتائج، وفي حدود الحالات التي دخلت في نطاق البحث.

ويعيب على هذه الطريقة أن الحالة قد لا تنطبق على المجتمع، ولذا يصعب تعميم نتائج أسلوب الحالة على الظاهرات المتشابهة. ويعتبر هذا الأسلوب ناجحاً في دراسات علم النفس وعلم الاجتماع والدراسات الطبية بشقيها البشري والبيطري.

7- المنهج المقارن: The Comparative Method

طريقة للمقارنة بين مجتمعات مختلفة، أو جماعات داخل مجتمع واحد، للكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بينها وإبراز أسبابها. وقد استخدمت هذه الطريقة في القرن الثامن عشر عندما حاول علماء اللغة مقارنة لغات مختلفة للكشف عن خصائصها العامة حتى يمكن تصنيفها إلى مجموعات لغوية. كما استخدمت أيضاً في القرن التاسع عشر كطريقة لتحديد أوجه الشبه بين النظم الاجتماعية حتى يمكن تتبع أصولها العامة[1].

ويعتمد المنهج المقارن على مبدأ المقارنة بين الظاهرات، واستخلاص أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينها، ثم محاولة الوصول والتعرف على العوامل المسببة للحادث أو الظاهرة والظروف التي حدثت فيها. ويعتمد هذا المنهج على عامل الزمن، حيث ينصب على دراسة مجتمعين أو أكثر، أو ظاهرة في كل منهما، بقصد مقارنة النتائج وتفسير التباين باختلاف المجتمعات، أو بعض الأوجه الاجتماعية الثقافية فيها. ويتبع هذا المنهج على عدد من الطرق والأساليب منها:

أ- التلازم في وقوع الحادثة مثل حوادث تفجير قطارات مدريد التي حدثت في وقت متقارب.

ب- عدم التلازم في وقوع الحادثة مثل نقارن بين عينة تتعاطى عقار معين، وأخرى لا تتعطاه وعندها تراقب الآثار الجانبية في كل فئة لمعرفة الأسباب.

ج- المقارنة بين شدة الحادثة أو شدة أثرها مع الزمن.

---

[1]- محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 68.

د- طريقة العلاقات المتقاطعة، فمثلاً إذا كان هنالك سببين ونتيجتين فإذا أمكن الربط بين سبب واحد ونتيجة واحدة يمكن الربط بين السبب الثاني والنتيجة الثانية أيضاً.

ويستخدم المنهج المقارن استخداماً واسعاً في الدراسات الاجتماعية، سواء تلك المتعلقة بالمواضيع العلمية كمقارنة ظاهرة اجتماعية بنفس الظاهرة في مجتمع آخر، أو مقارنتها في بعض المجالات الاقتصادية والسياسية...

كما يمكن أن يتجاوز هذا المنهج الدراسة المقارنة الوصفية، إلى دراسة تحليلية تقييمية، وذلك بالاستناد إلى مجموعة من المعايير الموضوعية المتعارف عليها؛ أي الاستعانة بأدوات القياس لإعطاء هذه الدراسة الطابع العلمي، وذلك بإعطاء النتائج دلالة موضوعية والتعبير عنها تعبيراً دقيقاً، باستعمال الأدوات الإحصائية والأرقام وغيرها، فبالإمكان الحكم على الوضع الاقتصادي لأي مجتمع استناداً إلى مؤشرات وحقائق وأرقام. وكذلك الحال بالنسبة إلى المواضيع الاجتماعية، فيمكن أن نحكم على الوضع الاجتماعي من خلال ما يتمتع به الفرد من خدمات اجتماعية في مجال التعليم والصحة والسكن والطبقات الاجتماعية. ويمكن أن نأخذ في مجال المقارنة، معياراً مرجعياً أو نموذجاً نعتبره النموذج الأمثل أو الصحيح، ومن خلال عملية المقارنة، نبين إلى أي مدى يقترب الموضوع محل المقارنة من النموذج الأمثل الذي يتميز بمعايير ومقاييس متعارف عليها.

والجدير بالذكر أن الدراسات المقارنة للنظم الاجتماعية، وعمليات التغير من بين الاهتمامات الرئيسة في العديد من الدراسات التاريخية والقانونية والسياسية وغيرها، فقد استعمل رواد الفكر التطوري من أمثال كونت وسبنسر وهوبهوس وغيرهم التحليلات المقارنة للظواهر والنظم الاجتماعية بهدف الكشف عن أنماط التطور واتجاهاته [1].

8- منهج القياس الاجتماعي: Sociometry

القياس الاجتماعي ميدان من ميادين علم النفس الاجتماعي، يؤكد الجوانب الكمية للظواهر الشخصية المتبادلة، مع اهتمام بصفة خاصة بقياس التفضيلات. وفي عام 1934 كتب مورينو J.L Moreno عن القياس الاجتماعي يقول:"يتناول القياس الاجتماعي الدراسة الرياضية للخصائص السيكولوجية للناس تجريبياً، والنتائج التي تحصل عليها بالطرق الكمية"[2].

إذاً القياس الاجتماعي هو طريقة خاصة تستخدم في قياس العلاقات الاجتماعية داخل جماعة محدودة خلال فترة زمنية معينة، وتكشف هذه الطريقة عما يسود داخل الجماعة من جذب وتنافر، وانحلال وتماسك...الخ. ولنجاح هذه الطريقة لابد من:

- وجود مجموعة متشابهة لإجراء الاختبار.
- توفر السرية التامة في الاختبار.
- تحديد محك الاختيار أو النبذ، كما ينبغي أن يكون النشاط الذي يطلب إلى الفرد أن يشارك فيه محدداً، وذا أهمية بالنسبة له.
- أن يعرف المشتركون في القياس أن اختياراتهم الايجابية أو السلبية سوف تستخدم في إعادة بناء الجماعة مستقبلاً.
- أن يسمح باختيار عدد معين، في مقابل نبذ عدد مماثل.
- أن تكون أسئلة الاختبارات متماشية مع مستوى فهم الجماعة.

وبعد إجراء الاختبار السوسيومتري، والحصول على بياناته، يتم تحليل هذه البيانات، وتتبع عدة طرق لتحليل نتائج الاختبار. والطريقة

---

[1]- خالد حامد، مرجع سابق، ص 60.

[2]- محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 429.

السوسيومترية تفيد في دراسة العلاقات الاجتماعية داخل جماعة معينة وتكشف خصائص الجماعة وما يرتبط بها من ظواهر كالقيادة، والصداقة ومكانة الأفراد بالنسبة لغيرهم، ومدى تماسك الجماعة...الخ.

خلاصة:

اهتم علماء الاجتماع بطرق البحث لدرجة كبيرة، كانت في بعض الأحيان على حساب المضمون والنتائج. فقد كان الهاجس الأكبر لهذه المحاولات تأسيس علم على درجة من الدقة، والتوصل إلى نظريات تساعد في فهم الواقع وتفسيره والتنبؤ بما يمكن أن يكون عليه، ثم توظيف هذه النتائج العلمية في أوجه تطبيقية. وأدى هذا الاهتمام، ونتيجة للتراكم المعرفي إلى وجود عدة طرق لدراسة الواقع الاجتماعي. ووجود هذه البدائل المنهجية لا يعني بأية حال ضرورة التزام الباحث بأي منها، إذ يمكن للباحث أن يقوم بعملية مزج بين عدة طرق منهجية، وهذا حسب متطلبات كل دراسة.

الفصل الثالث: ابن خلدون وعلم الاجتماع.

تمهيد:

أسس ابن خلدون علمه المسمى بـــ: ((العمران البشري)) والذي صار يُعرف في ما بعد بعلم الاجتماع ليتمكن عن طريقه من فهم الحوادث والظواهر الماضية وتفسيرها من خلال الكشف عن قوانينها. ذهب إلى أن المعرفة التي هي هدف العمران البشري إنما تتحقق عن طريق الاستقراء الفطري الذي هو في حقيقته استقراء علمي تنقصه التجارب المعملية ووسائل البحث الحديثة التي استعان ابن خلدون عوضا عنها بالحس واستخدام المنطق وقياس الذاهب والحاضر على حد تعبيره. وحدد خطوات المنهج الاستقرائي الفطري انطلاقاً من المعرفة التجريبية إلى محاولة تطبيقها والتحقق من صدقها عن طريق إخضاع تلك المعرفة للواقع الذي هو المحك الأساسي في صدقها أو كذبها.

والعلامة ابن خلدون، وهو الأديب الفقيه المؤرخ الناقد ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الأشبيلي التونسي المالكي الأشعري (732-808هـــ)[1]. كنيته أبو زيد، وهو من أسرة ذات أصول يمنية، وكان لأسرته الكثير من النفوذ في إشبيليه ببلاد الأندلس، وقد هاجرت الأسرة مع بداية سقوط الأندلس في يد الأسبان إلى تونس وعاش ابن خلدون معظم حياته متنقلاً بين بلاد شمال أفريقيا، هذا بالإضافة لزياراته لأرض الحجاز. وهو عالم عربي شهير وواضع علم الاجتماع الحديث سابقاً بذلك علماء الغرب، تمكن من تقديم عدد من النظريات الجديدة في كل من علمي الاجتماع والتاريخ، وتمتع بمكانة علمية عالية ســـواء على المســـتوى العربي أو العالمي، حيث قال عنه المؤرخ الإنجليزي ارنولد توينبي "في المقدمة التي كتبها ابن خلدون في تاريخه العام، أدرك وتصور وأنشأ فلسفة التاريخ وهي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أي عقل في أي زمان".

شغل الكثير من المناصب الحكومية في التدريس والقضاء، وقام بعدة رحلات نحو المشرق والمغرب العربي، من مؤلفاته:((كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)) في سبعة أجزاء، وأولها المقدمة وهي المشهورة أيضاً بمقدمة ابن خلدون، وتشغل من هذا الكتاب ثلثه، وهي عبارة عن مدخل موسع لهذا الكتاب وفيها يتحدث ابن خلدون ويؤصل لآرائه في الجغرافيا والعمران والفلك وأحوال البشر وطبائعهم والمؤثرات التي تميز بعضهم عن الآخر.

---

[1]- خالد كبير علال، **أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة**، دار الإمام مالك، الجزائر 2005، ص 04.

وفي الحقيقة يعتبر ابن خلدون المؤسس الأول لعلم الاجتماع، وذلك من خلال ما وضعه في مقدمته الشهيرة ليبرهن لنا عن مدى أهمية العقل البشري والإنساني وعن كيفية تفكير الجماعات والأمم التي ظهرت في الشرق الإسلامي، وكيف كانت تعالج مشكلاتها وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وقد ترك لنا ابن خلدون تراثاً علمياً قيماً أدرجه تحت عنوان علم العمران أو ما نسميه اليوم بعلم الاجتماع، فقد اهتم ابن خلدون بدراسة الظواهر الاجتماعية ومعالجتها على أنها حقائق واقعية.

أولاً– تأسيس ابن خلدون لعلم الاجتماع:

لم يتوقف الإبداع العلمي لابن خلدون، على كونه فيلسوفاً تاريخياً وحسب، بل يعد رائداً لعلم لاجتماع وواضعاً لأسسه التي لم يسبقه إليها أحد، حيث كان في مقدمة المفكرين الذين أدركوا حقائق العمران الأولى في تاريخ الفكر البشري. ويشير توينبي Toynbee إلى فكره المبدع قائلاً:"انه عبقري عربي أنجز في فترة عزلته التي تقل عن أربع سنوات عمل العمر كله في شكل قطعة من الأدب، يمكن أن تقارن مع ثوسيديد أو مكيافيلي سواء من حيث الاتساع أم عمق النظرة أم من حيث القدرة الثقافية"[1].

ويعد ابن خلدون المنشئ الأول لعلم الاجتماع، وتشهد مقدمته الشهيرة بريادته لهذا العلم، فقد عالج فيها ما يُطلق عليه الآن اسم ((الظواهر الاجتماعية))، أو ما أطلق عليه هو ((واقعات العمران البشري))، أو ((أحوال الاجتماعي الإنساني)). ولم يحاول أن يعرف هذه الظاهرات أو يبين خصائصها ويميزها عما عداها من الظواهر على النحو الذي عنى به بعض المحدثين من علماء الاجتماع كالعلامة دوركايم Durkheim، وإنما اكتفى بالتمثيل لها في فاتحة مقدمته إذ يقول: "أنه لما كانت طبيعة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها. وما ينحله البشر بأعمالهم ومعاشهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال.."؛ ويقول: "ونحن الآن نبين ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصنائع". والظواهر الاجتماعية في تعريفها المجمل عبارة عن القواعد والاتجاهات العامة التي يتخذها أفراد مجتمع ما أساساً لتنظيم شؤونهم الاجتماعية وتنسيق العلاقات التي تربطهم بغيرهم.

وقد اعتمد في بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها، والحياة بين أهلها، وتعقب تلك الظواهر في تاريخ هذه الشعوب نفسها في العصور السابقة. وقد كان في بحوث مقدمته سابقًا لعصره، وتأثر به عدد كبير من علماء الاجتماع الذين جاءوا من بعده مثل: الإيطالي "فيكو"، والألماني " ليسنج"، والفرنسي"فوليتر"، كما تأثر به العلامة الفرنسي الشهير "جان جاك روسو" والعلامة الإنجليزي " روبرت مالتيس" والعلامة الفرنسي "أوجست كونت".

حاول ابن خلدون دراسة الظواهر الاجتماعية، وتوصل إلى أنها محكومة بالقوانين والسنن نفسها التي تحكم سلوك الظواهر الطبيعية بالقوانين، كما أقام علاقة قوية بين البيئة الطبيعية/الجغرافية والسلوك البشري والاجتماعي والنفسي، وقد جعل ابن خلدون العصبية نموذجاً تفسيرياً في دراسة الممالك وتبدل الدول وتغير النظم السياسية، وعلاقة ذلك بمفهوم العمران البشري، وتطور المجتمع، وأحوال المعيشة والاقتصاد.

[1]– محمد الجوهري، محسن يوسف، **ابن خلدون انجاز فكري متجدد**، مكتبة الإسكندرية، مصر 2008، ص 73.

وفي المقدمة الخلدونية تتجسد فلسفة وأسس علم الاجتماع، وبها حاز صاحبها قصب السبق في هذا الميدان لكونه قام بوضع أسس وقواعد هذا العلم، ومهّد الطريق للباحثين الذي أتوا من بعده، والذي يدرس المقدمة يتضح له بأن ابن خلدون كان يعيش قضايا العالم بكل ما تعني الكلمة من مفهوم الشمولية، كما كان من خلال مساهمته الفعالة في مجالات الفكر العالمي، وتنشيط المعارف الإنسانية، يقدم خدمات مفيدة للأمم والشعوب الناهضة المتطلعة نحو التطور والارتقاء، وذلك بفضل ما تركه من ثورة علمية ومواقف إصلاحية.

والمقدمة هي المجلد الأول من المجلدات السبعة التي يتألف منها كتاب "العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب العجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر". وفي المقدمة كانت لديه فكرة واضحة عن اتساع نطاق الظواهر الاجتماعية وشمولها لأنواع متعددة. فعرض في معظم البابين الأول والرابع من المقدمة للظواهر المتصلة بطريقة التجمع الإنساني، أي للنظم التي يسير عليها التكتل الإنساني نفسه، مبيناً في الباب الأول أثر البيئة الجغرافية في هذه الظواهر وفي غيرها من شؤون الاجتماع. وهذه هي الشعبة التي سماها دوركايم ((المورفولوجيا الاجتماعية)) La Morphologie أو"علم البنية الاجتماعية"، وظن أنه أول من أدخلها في مسائل علم الاجتماع؛ ولم يدري أنه قد سبقه إلى ذلك ابن خلدون بأكثر من خمسة قرون، وأنه قد وقَفَ على هذه الشعبة زهاء بابين كاملين من مقدمته. وعرض في الفصول العشرة الأولى من الباب الثاني للظواهر المتصلة بالبدو والحضر وأصول المدنيات. كما عرض في الفصول التسعة عشر الأخيرة من الباب الثاني وفي جميع فصول الباب الثالث لنظم الحكم وشؤون السياسة، وعرض في سبعة فصول من الباب الثالث وفي ستة فصول من الباب الرابع وفي جميع فصول الباب الخامس للظواهر الاقتصادية. وعرض في الباب السادس للظواهر التربوية والعلوم وأصنافها والتعليم وطرقه. وفي أثناء دراسته لظواهر هذا الباب تناول كثيراً من الظواهر الأخرى كالظواهر القضائية والخلقية والجمالية والدينية واللغوية.

كما أشار ابن خلدون في مقدمته إلى أهمية العلوم والتربية والتعليم، وتنوع النشاط الاقتصادي وتقسيم العمل، وقد كشفت تحليلات ابن خلدون عن مدى إسهامه بعلم الاجتماع الاقتصادي من خلال وضعه لبعض النظريات الاقتصادية مثل نظرية القيمة ونظرية الأثمان وقد ربط الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالشريعة الإسلامية والدين باعتبارهما الموجه الأول.

وقد اتجه ابن خلدون إلى دراسة أصل المجتمعات وأسباب الاختلافات الموجودة بين شتى الجماعات وبين أساليب حياتها، فدرس تأثير المسكن على الحياة الاجتماعية، وعمد على دراسة نشوء الظواهر الاقتصادية محاولاً تفسيرها وإيجاد القوانين التي تسيرها[1].

والدولة كما يراها ابن خلدون بناء طبيعي اضطراري لا مناص من نشأتها، وقد ركّز رأيه في سلطة الدولة، على أساس منهج صحيح استقصاه من تاريخ عصره، وتجاربه التي عايشها بممارسة الخبير الذي لا يغتر بالمظاهر، ولكن يؤمن بالحقائق والأبعاد، وكانت نظرته للآفاق المستقبلية تشير إلى أن العالم يسير بخطوات ديناميكية سريعة نحو التطور الاستمراري، وهكذا نجد بأن توقعاته كانت تؤكد بأن كل شيء تقريباً قابل للترقي.

كما يعتبر ابن خلدون العصبية هي الركيزة الأساسية لأي نشاط سياسي أو اجتماعي، وأن الدولة لكي تقوم تحتاج إلى رابطة تجمع الأفراد تحت لوائها وتدفعهم للتضحية من أجلها، والعصبية تقوم بهذا الدور، استناداً على أن الإنسان كائن اجتماعي بالطبع، ويحتاج إلى

---

[1]- زهير عبد المالك، مرجع سابق، ص 73.

كيان ينتمي إليه يوفر الحاجات التي لا يستطيع توفيرها منفرداً، إذن الفرد والقبيلة باعتبارها أكثر أشكال الروابط شيوعاً وقتئذ كلاهما بحاجة للآخر لتستقيم أمورهما معاً.

ويرى ابن خلدون في مقدمته أن دراسة التاريخ ضرورية لمعرفة أحوال الأمم وتطور هذه الأحوال بفعل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث يركز على موضوع الاستبداد والبطش الذي يقوم به السلطان ضد شعبه وأثر ذلك في الشعب، ويشرح كيف أن بعض السلاطين ينافسون رعيتهم في الكسب والتجارة. ويسخرون القوانين لخدمة مصالحهم الخاصة وتسلطهم على أموال الناس، وإطلاق يد الجند في الأموال العامة مما يرسخ الشعور بالظلم والإحساس بالحقد لدى الشعب.

يوضح ابن خلدون أن هذه العوامل الداخلية هي التي تؤدي إلى الخلل في أحوال الدولة أكثر من العوامل الخارجية، لأن المجتمع الذي يعاني من خلل داخلي لا يستطيع مجابهة عدو خارجي. كما تمكن ابن خلدون من الربط الدقيق بين العوامل الاقتصادية سابقاً بذلك مفكرين أوروبيين بعدة قرون، واستوعب الإرهاصات السابقة في الفكر السياسي لدى الفارابي والماوردي والغزالي وإخوان الصفا والطرطوشي ومسكويه وغيرهم. وصاغ من كل ذلك نظريته الناضجة في الفكر السياسي وفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع.

ويرى ابن خلدون أن الظلم مؤذن بخراب العمران، ويعدد أشكال هذا الظلم من اعتداء على الناس، وتضييق على حرياتهم، وسلب أموالهم، وإضعاف فرص معاشهم وتحصيل رزقهم. والعمران يفسد بفساد العوامل التي تصنعه، والفساد يؤدي إلى الخراب وهرم الدولة وشيخوختها. والهرم من الأمراض المزمنة التي قد تكون طبيعية مع عمر الدول والأفراد، وقد تكون طارئة بفعل تفاقم الظلم والفساد والعدوان.

إن تصورات ابن خلدون جاءت لتسبق علماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد...في تأسيس علم العمران أو علم الاجتماع الإنساني الذي حدد مهامه ووظائفه في دراسة الحياة الاجتماعية المتطورة بطريقة علمية منظمة.

ثانياً– طلب العلم عند ابن خلدون:

يعتبر العلم أمر طبيعي في العالم البشري لأن الإنسان يتميز عن الحيوان بالفكر الذي يهتدي به للحصول على معاشه ورزقه ولابد للعلم من التعلم.

واعتبر ابن خلدون تعلم العلم من جملة الصنائع، لأن الحذق في العلم والتفنن به والاستيلاء عليه إنما هو ملكة، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق، وتكون هذه الملكة هي في غير الفهم والوعي. ويعالج ابن خلدون وظائف العلم وفضله بنفس المنطلق الذي اتبعه الفقهاء، فاصبغوا عليه الصفة الدينية والشرعية، كما أنه لم يعالج موضوع العلم بمنطلق الفلاسفة الذين وضعوا العقل البشري المقياس والمعيار، بل كان له منهجيته وتصوراته وتحليلاته الفردية، ونظر إلى العلم والتعليم كظاهرة طبيعية في المجتمع الإنساني.

1– وظائف العلم:

أ– على صعيد الأفراد يؤدي العلم وظيفة حياتية معيشية كون الصناعات التي هي إحدى وسائل الرزق وكسب القوت والصنائع، بالإضافة إلى انه ينظر إلى تعليم العلم عبارة عن صناعة قائمة بذاتها، لها غرض اقتصادي معيشي وغرض فكري إنساني، واهم صناعة في العلم اكتساب ملكته.

ب- الوظيفة الحضارية، الاجتماعية، العمرانية للعلم، فهناك علاقة طردية بين والعمران البشري، فعمران الأرض والانتقال بالمجتمعات من طور البداوة إلى طور التحضر يقتضي تطور كمي ونوعي في الصناعات، كما أن العكس صحيح، لأن التطور في الصناعات يؤدي بدوره إلى دفع المجتمع البشري إلى التطور والتحضر والعمران.

ج- الوظيفية الدينية، حيث اختار ابن خلدون الطريق الوسط، فاعترف بالعقل وبدوره، في حدود طبيعته المادية والفطرة التي فطره الخالق عليها ليحقق المرتبة التي اختارها الله له عن سائر خلقه، فكان للعقل عنده مجاله، وللشرع مجاله.

2- شروط طالب العلم:

أ- تلقي العلم مباشرة من أصحابه، أي من ذوي أصحاب ملكات العلم المطلوب.

ب- عدم الغوص بعيداً أو الإمعان في التجريد والتعميم، فعلى المتعلم أن لا يفارق نظره المواد المحسوسة، للتأكد منها قبل أن يرسخ في ذهنه حكمه عليها، وأن لا يجاوزها في غرضه.

ج- قيام الجدل والحوار بين المعلم والمتعلم. ومن أيسر طرق امتلاك هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها.

د- شد الرحال لأخذ المزيد من العلم من المشايخ، بعد الاستكفاء من الأخذ في مكانه

هـ- اختيار الأنسب للمتعلم من الفن الواحد، ويكون ذلك بأن يقتصر المعلمون للمتعلمين على المسائل الأساسية فقط دون الدخول في الشروحات المتنافرة والمتفارقة.

و- محاولة تقريب الأهداف للطالب وتوضيحها.

ن- مراعاة مقدرة الطالب ومساعدته على الفهم. فواجب المعلم أن يعطي بحسب قدرات الطالب من المعلومات ومساعدته على استيعابه.

3- المنهج التعليمي ومراحله عند ابن خلدون:

لقد اقترح ابن خلدون عدة طرق لطلب العلم وكسبه منها:

أ- التدرج والتكرار بما يناسب الطالب والموضوع معاً، بمعنى أن يتدرج مع الطالب بتلقينه مسائل من كل باب هي أصول ذلك الباب، دون الدخول إلى التفاصيل، مراعياً قدرته وقابليته على فهم ما يلقى عليه. وفي المرحلة الثانية شرح جزيئات من الموضوع أكثر ارتباطاً به، وبعد ذلك تأتي المرحلة الثالثة حيث يدخل إلى الجزيئات والتفاصيل الأصغر دقة.

ب- عدم إرهاق فكر الطالب والإحاطة بطبيعة هذا الفكر، ذلك أن الفكر الإنساني حسب ابن خلدون ينمو ويتطور تدريجياً، ويتأثر بما يكتسبه من معلومات ومهارات وما يعرض له من خبرات، هذه جميعها تتحكم كماً وكيفياً بسلامة هذا النمو واتجاهه سلباً وإيجاباً.

ج- عدم الانتقال من فن إلى آخر قبل فهمه، وذلك خوفاً من الخلط، وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلل وانطمس فكره، ويئس من التحصيل.

د- النسيان آفة العلم، تعالج بالتتابع والتكرار، ويريد ابن خلدون بمنهجه هذا أن يربي ملكات لدى الطالب. وتربية الملكة عند الإنسان تتطلب الاحتفاظ بما اكتسبه الطالب ليكون قادراً على استحضاره عند الحاجة.

هـ- عدم الشدة والقسوة على المتعلمين وما لها على الطالب وخاصة على المبتدئ من نتائج سلبية.

كما اقترح ابن خلدون مرحلتين للطلب العلم هما:

أ- المرحلة الأولى: قبل سن الرشد، وفيها يتم تعليم القرآن، ومما يدعو للعجب أن ابن خلدون لم يوافق الأمصار بضرورة تعليم القرآن للصغار منذ نشأتهم، فيقول أن الصغار لم يفقهوا شيئاً مما جاء بالقرآن وسيكون تعليم القرآن لهم تعليمات جامدة بدون تفكير.

ب- المرحلة الثانية: بعد سن الرشد، وهذه المرحلة متعلقة بالعلوم الفقهية وبالحديث والعلوم الشرعية والدينية.

وتتلخص الأهداف التربوية عند ابن خلدون في:

أ- تربية الملكات: ذلك أن الملكة سواء كانت فكرية أو حركية هي النواة التي سوف ينتج عنها صناعة، سيمتهنها الفرد.

ب- اكتساب الصناعة: وهنا لا يقصد أي صناعة، بل الصناعة التي أرادها بعد حصول ملكتها وأكسبت صاحبها عقلاً حتى ليكاد يستحيل في نظره على من اكتسب صناعة أن يجيد صناعة أخرى غيرها.

ج- البناء الفكري السليم: وهذا يحصل عن طريق التجربة المباشرة واستخلاص الحكم والمعرفة، وهذا باستعمال الحواس، أو طرق أخرى كالمعلمين، أو التقليد.

ثالثاً- منهج وعبقرية ابن خلدون في دراساته الاجتماعية:

لقد كان ابن خلدون على قدر كبير من الموضوعية والحياد العلمي في قراءته لأحداث التاريخ وتفسيرها رغم صعوبة الحياد في عصره.

ويتضح من قراءة مقدمة ابن خلدون فهمه لفلسفة التاريخ من خلال ثلاث نقاط أساسية:

- الأولى: أن التاريخ علم، وليس مجرد سرد أخبار بلا تدقيق ولا تمحيص.
- الثانية: أن هذا العلم ليس منفصلاً عن العلوم الأخرى كالسياسة والاقتصاد والعمران وعلوم الدين...الخ.
- الثالثة: أن هذا العلم يخضع لقوانين تنتظم بموجبها أحوال الدول من قوة وضعف، ورفعة وانحلال.

وقد طبق ابن خلدون هذه النظرية على كتابه "العبر" في سرده للأحداث والتعليق عليها وتحليل نتائجها.

ويعتبر منهج ابن خلدون من أهم المناهج الاجتماعية التي تقوم على ملاحظة الظواهر الاجتماعية والتعرف على طباع الشعوب، حيث ركز من خلال هذا المنهج على دراسة العلاقات الاجتماعية والقيادة السياسية والزعامة والتباين بين الغرائز الاجتماعية والحيوانية وفناء الأمم واضمحلالها. وقد حرص على أن يوضح الطرق الفنية التي يجب أن يهتم بها الباحث عند دراسته للظواهر الاجتماعية، وركز على استخدام مفاهيم سوسيولوجية مثل التطور والتقدم والتدهور والانحلال والتفكك والتبدل والاضمحلال وغيرها في سياق طرحه لطبيعة التغيرات التي تحدث في المجتمعات.

كما عرف بتمسكه بالطريقة التجريبية، حيث قال عنه بعض المحللين بأنه نفى عن نفسه التأثر بأرسطو والفارابي، بل ظهر في فكره المنهجي وبالأخص في مقدمته، بأنه يتمسك بالطريق التجريبية كما فعل ذلك كل من ابن رشد وابن الهيثم. ولقد قال عنه بعض الباحثين في آثاره ومواقفه الأدبية، بأنه يعتبر في طليعة أدباء القرن الثامن الهجري، الذي حرر الأدب العربي من تحكّم البيان اللفظي، وأعتقه من أغلال السجع. لقد تمكن ابن خلدون بقلمه السيال وقوته المفكرة من النهوض بالأدب، وجعله حراً يضطلع برسالته في روية وإبداع وجمال الألفاظ، وبراعة التراكيب، وسبك المعاني المتوخاة التي يدور حملها على محور الإفادة ودقة التصوير، وفي كل أدب حي واقعي يساير الحياة ويندمج فيها ويتفاعل مع معطياتها.

ولقد أجمع غير واحد من الأعلام بأن معالم العبقرية المبدعة متوفرة في شـــخصـــية ابن خلدون، وقد قال عنه المســـتشـــرق ليفي بروفنسال: "إن صفات العبقرية عند صاحب المقدمة تتجلى في كونه أحرز قصب السبق في مجالات المعارف الإنسانية؛ مما جعله في مسار يثير نزعة المعاصرين له من المؤرخين، مسار حدد فيه لنفسه مكانته الخاصة المرموقة في مصاف العظماء، ذلك أن منهجيته في فن التاريخ تعكس نظرة مطلقة أهّلته لإدراك حقيقته الخفية ومعناه البعيد...". وفي الوقت الذي ارتقى فيه الفكر الخلدوني إلى مستوى عال في فلسفة التاريخ، عكف بعض المؤرخين أمثال الطبري والمسعودي وابن الأثير وغيرهم على دراسة التاريخ على أساس أنه سجل للحوادث والوقائع، وهكذا يتجلى الفرق في الاجتهاد الخلدوني الذي انصـــبّ على اعتبار التاريخ كموضـــوع له صـــلة جوهرية بأعمال البشـــر ونشـــاطاتهم وأوضاعهم وأحوالهم في حياتهم واجتماعاتهم.

وفي هذا المجال قال ابن خلدون: "فأنشـأتُ في التاريخ كتاباً، وأبديتُ فيه لأولية الدول عملاً وأسـباباً... وسـلكت في ترتيبه وتبويبه مســلكاً غريباً، واخترعتُه من بين المناحي مذهباً عجيباً، وطريقة مبتدعة وأســلوباً، وشــرحت من أحوال التمدن والعمران، وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية، وما يمتعك بعلل الكوائن وأسبابها".

وتقوم عناصر المنهج التاريخي عند ابن خلدون على الملاحظات الموجزة التالية:

– التاريخ علم. – محتويات التاريخ والفكرة عنها. – العناصر التي تجتمع لصنع التاريخ البشري. – قوانين التاريخ.

– التاريخ علم فلســفي عند ابن خلدون (والفلســفة كل ما ليس له صــفة دينية). – التاريخ عند ابن خلدون أخبار عن الأيام والدول والســـوابق من القرون الأولى، وهو نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأســـبابها .. – ابن خلدون يدحض الأســاطير.– ابن خلدون يضــع القواعد اللازمة لمقارنة الحقيقة. – النقد التاريخي عند ابن خلدون يبدو في: تبدل الأحوال بتبدل الأيام – وحدة النفسية الاجتماعية– ظروف الأقاليم الجغرافية– التاريخ الحضاري البشري.

أما منهج البحث التاريخي عند ابن خلدون فيعتمد على:

– ملاحظة ظواهر الاجتماع لدى الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.

– تعقب هذه الظواهر في تاريخ الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره.

– تعقب أشباهها في تاريخ شعوب أخرى لم يتح الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.

– الموازنة بين هذه الظواهر جميعاً.

– التأمل في مختلف الظواهر للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية واستخلاص قانون تخضع له هذه الظواهر في الفكر السياسي وفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع.

يقول الأستاذ الفرنسي تياي، والذي مارس تدريس الفلسفة في عدة جامعات عربية، من بينها تونس ومصر: إن هذا المغربي الذي ولِد بتونس سنة 1332م من أسرة ذات أصل عربي، استوطنت الأندلس منذ بدء الفتح، ترك لنا تآليف قيمة، يمكن لنا أن نقول عنها: إنها لم تُثْرِ الآداب العربية وحدها، بل التراث الثقافي للإنســانية جمعاء، إن مؤســس علم الاجتماع (الســوســيولوجية)، وباعث فلســفة اجتماعية جديدة، كما أنه المؤسس الحقيقي للمنهجية التاريخية. لقد توصل ابن خلدون إلى أن هناك فلسفتين: فلسفة أصيلة صحيحة، وفلســـفة كاذبة غالطة، وهذا يعني أن ابن خلدون اهتدى قبل كانط Kent إلى التفكير النقدي الهادف إلى تحديد القواعد والمقاييس المنطقية لاستعمال العقل في البحوث الفلسفية، وانتقاداتها للتفكير الفلسفي الذي يتجاوز المقاصد الهادفة. إن كتاب المقدمة وكتاب العبر

لابن خلدون عملٌ نادر ومجهود قيم موجه للناس جميعاً، لا لنخبة من المفكرين أو إلى جماعة محدودة من الفلاسفة. إن التاريخ كما يراه ابن خلدون فرع من الفلسفة، وعلم عقلي.

أما عن التهجم على العرب والذي نُسب لابن خلدون يعزى في أساسه إلى تحريف وقع في بعض النصوص التي جاءت في المقدمة، وهذا التحريف مقصود من طرف بعض المستشرقين الذين تجاهلوا المفهوم الحقيقي الذي تشير إليه تلك النصوص.

ومما جاء في بعض الآراء أن ابن خلدون كان يقصد باصطلاح ((العرب)) الإشارة إلى ((البدو)) أو ((الأعراب))، وليس مطلق الأمة العربية، ومن بين هذه الآراء رأي الدكتور علي عبد الواحد وافي الذي قال في بعض أبحاثه القيمة: لو استعمل ابن خلدون كلمة ((البدو)) للدلالة على قبائل البدو والرّحّل بدلاً من كلمة ((العرب)) التي استخدمها في كل الحالات فأحدثت الالتباس، ذلك أن كلمة البداوة كثيراً ما تشير إلى الفطرة والكرم والنبل والشهامة، بينما كلمة العرب تؤول أحياناً إلى العربان، وهم قوم يتميزون بالشراسة وسوء الأخلال والجهل، كما تعني كلمة العرب الأعراب وهم قوم يتصفون بالغلظة والفظاظة، وإن كانوا فصحاء في لغتهم. وقد ورد في القرآن الكريم بشأن هذه الكلمة: ((الأعرابُ أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدرُ ألاّ يعلموا حدودَ ما أنزلَ اللهُ على رسولِه واللهُ عليمٌ حكيمٌ)) سورة التوبة، الآية: 97.

رابعاً– نظرية ابن خلدون في الدولة

يعتبر عبد الرحمن بن خلدون من أهم الشخصيات الفكرية التي تأثر بها أرنولد توينبي، بوصفه أحد المفكرين الذين قدموا نظرية هامة في فلسفة التاريخ، وذلك من خلال مقدمته التي تعد بمثابة مرجع لكثير من علماء التاريخ وفلاسفته.

وتوينبي أحد الذين أفادوا من دراسة ابن خلدون للتاريخ وأعجبوا به، حتى إنه ذكره في مواضع عديدة من مؤلفه: ((دراسة للتاريخ)). ورأى أن ابن خلدون قد وضع فلسفة للتاريخ هي بلا مجاملة أعظم عمل أبدعه عقل في أي زمان ومكان[1]. فقد قدم ابن خلدون نظرية في الدولة تحدث فيها عن طبيعة الدولة ومؤسساتها وأهميتها وناقش الأسس التي ترتكز عليها، وبحث في أسباب نشوئها وتطورها، وبين القوانين التي تحكم تطورها ومسيرتها، وأبرز العوامل التي تؤدي إلى اضمحلالها وزوالها. وتندرج هذه النظرية تحت باب فلسفة التاريخ وهذا الجانب من فكر ابن خلدون، أي تصوره للدولة في تطورها عبر التاريخ هو الذي يعنينا لأنه يمثل جزءاً أساسياً في فلسفة ابن خلدون التاريخية.

أولاً– أسباب نشوء الدولة:

يرى ابن خلدون أن هناك سببين رئيسيين لنشوء الدولة هما:

السبب الأول: هو حفظ أمن المجتمع ليتمكن الناس من العيش والإنتاج وبالتالي الاستمرار في البقاء، فلكي يستمر الإنسان في بقائه لابد له من أن يحصل قوته، ولما كان كل فرد عاجزاً عن تحصيل جميع حاجاته المادية الضرورية لبقائه بمفرده، فقد اقتضى ذلك اجتماع الناس وتعاونهم، والتعاون استدعى تقسيم الأعمال فيما بينهم، وذلك لتنوع الأدوات الضرورية والحاجات المادية المختلفة التي يحتاجها المجتمع، وأشار ابن خلدون لذلك بقوله: "فالناس إنما يجتمعون للتعاون في تحصيل المعاش، ابتداء بما هو ضروري وبسيط قبل الحاجي والكمالي، فمنهم من يستعمل الفلح، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان، ومن هؤلاء من ينتحل الصنائع، ومنهم من ينتحل التجارة"[1].

---

[1]– محمود صبحي أحمد، **في فلسفة التاريخ**، دار النهضة العربية، ط 4، بيروت، لبنان 1994، ص 134.

[1]– ابن خلدون، **المقدمة**، الجزء 1، دار القلم، بيروت، لبنان 1879، ص 105.

ولكن مصالح الأفراد متناقضة فيما بينهم، ولذلك لابد من أداة ضبط تحمي مصالح الناس، وتقيهم شر الصراع، وهنا يأتي دور الدولة التي تقود المجتمع، وتوازن بين مصالح الناس المتناقضة وتحقق الاستقرار والسلام بين أفراده.

فالدولة إذاً ضرورة برأي ابن خلدون، وقد عبر عن هذه الضرورة بقوله: "الملك منصب طبيعي للإنسان وقد بينا أن البشر لا تمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم، وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل منهم يده إلى حاجته، يأخذها من صاحبه لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض، ويمانعه الآخر عنها بمقتضى الغضب والأنفة، ومقتضى القوة البشرية، في ذلك يقع التنازع المفضي إلى انقطاع النوع والمقاتلة، وهي تؤدي إلى الهرج وسفك الدماء وإذهاب النفوس، فاستحال بقاؤهم إلى فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم"[2].

السبب الثاني: وهو العصبية، وقد عرف هذا المفهوم تعريفات مختلفة من قبل مفكرين كثر، سعى كل منهم إلى تأويله بطريقة مختلفة عن الآخر، ومفهوم العصبية على الأغلب، يعني العلاقة بين ذوي القربى حيث أشار ابن خلدون لمعنى العصبية قائلا ً: "ذلك أن صلة الرحم أمر طبيعي في البشر، إلا في الأقل ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام، أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويود أن يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب المهالك نزعة طبيعية في البشر منذ كانوا، فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريباً جداً بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بوضوحها وإذا بعد النسب بعض الشيء، فربما ينفي منها شهره فتحمل على النصرة لذوي نسبه الأمر المشهور"[3].

ويتبين مما تقدم أن العصبية تتولد من القرابة في الأساس، وهي تستند إلى وحدة النسب بالدرجة الأولى، غير أن هذه القرابة من الأمور التي تحتاج إلى نظر من عدة وجوه. فللقرابة مراتب متفاوتة داخل أهل القبيلة الواحدة ولكن مما لا شك فيه أن القرابة التي تربط بين أخوة من أب واحد، تكون أقوى من التي تربط بين أهل البيت الواحد، وبالتالي فقوة العصبية المنبثقة من القرابة، تختلف لاختلاف درجة هذه القرابة، وهكذا نلاحظ أن الالتحام المنبثق من وحدة النسب الخاص يكون أقوى من الالتحام المتولد من وحدة النسب العام[4].

وابن خلدون يرى أن العصبية لا تشمل الذين تربط بينهم رابطة الدم فحسب، بل تشمل أيضاً أهل الولاء والحلف والموالي والمصطنعين. وقد حاول أن يوفق بين العصبية وبين مبادئ الإسلام، فلقد رأى أن العصبية بمعناها في الجاهلية شعور مكروه، وسلوك يجب أن يدان، لأنها بهذا المفهوم تنبع من شعور الكبرياء والغرور والرغبة في الانتماء إلى قبيلة قوية ونبيلة. ولقد رأى أن مشاعر التضامن من داخل العصبية لها تبريرها، إذا عبرت عن نفسها لأسباب دينية أو دنيوية على أن تكون مشروعة، لقد هاجم المساندة لمجرد الانتماء لنفس العصبية، سواء كانت القضية عادلة أو غير عادلة. ويبدو إذاً أن المعيار الذي استخدمه ابن خلدون للحكم على العصبية هو غرض العمل الذي يتحقق بفضلها.

إلا أن ابن خلدون قد اعتبر ((العصبية)) بمثابة الوسيط بين وجهي العمران، فهي تتبدى بأجلى مظاهرها، في كونها لحمة الاجتماع في الأصل، في طور البداوة، في حين أن تراخيها، عند بلوغ أعلى مراحل أطوار التحضر يبشر، بالانحطاط، فقيام النظام السياسي والفوز

---

[2]- المرجع نفسه، ص 163.

[3]- المرجع نفسه، ص 112.

[4]- المرجع نفسه، ص 107.

بالرياسة والحفاظ عليها، مشروط إذاً بالعصبية التي تبدو عصب السببية التاريخية[1]. ولكن مايهمنا هو الدور السياسي للعصبية، حيث أنها السبب الثاني من أسباب قيام الدولة كما يرى ابن خلدون، ولكي يتسنى لنا توضيح دور العصبية في قيام الدولة ونشوئها، لابد لنا من أن نرجع إلى تقسيم ابن خلدون للاجتماع البشري والذي يقسمه إلى قسمين هما:

أ- المجتمع البدوي: وهو الأصل في كل أمة وهو السابق على الحضارة، والبداوة هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم، ويتصفون بالشجاعة والخير، وهم أقرب إلى الفطرة السليمة التي لم تفسدها بعد مظاهر الترف. فأهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام، وأنهم مقتصورن على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن.

ب ـــ المجتمع الحضري: وهو المجتمع الذي يقطن أهله المدن، وهم المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم، ومنهم من ينتحل في معاشه الصنائع، ومنهم من يعمل في التجارة، ويشهد هذا المجتمع تطوراً في العلوم والفنون والصناعات وكل وسائل الترف والرفاه.

إن ما يسميه ابن خلدون بالعصبية، هو ما أطلق عليه ماكيافيلي اسم ((فضيلة))، وهو القابلية الفطرية للسلطة السياسية، وبفضل هذه الصفة يتمكن الزعماء من فرض وجهات نظرهم، فالقول بأن زعماء الفئات التي تتوحد فيها العصبية قد أبدوا هذه القابلية هو قول صحيح[2].

ويرى ابن خلدون أن البدو هم أصل الحضر، وأن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة. والذي يحدد نوع المجتمعات، هو نوع النحلة المعاشية، وأسلوب الحياة الاجتماعية، وقد أوضح ذلك من خلال ما ذكره من سمات رئيسية، تميز حياة كل مجتمع وكيفية الانتقال من حالة البداوة إلى حالة الحضر عن طريق تغير نحلهم المعاشية، وبالتالي صفاتهم الأساسية.

والعصبية عند ابن خلدون هي صلة الوصل ما بين حلقتي المجتمع، أي المجتمع البدوي والمجتمع الحضري، والغاية التي تسعى إليها العصبية هي الملك. ويشير ابن خلدون إلى ذلك إذ أنه يرى أن الملك غاية العصبية، وأنها إذا بلغت غايتها، حصل للقبيلة الملك، إما بالاستبداد أو المظاهرة، حسب الحالة التي تواجهها القبيلة. إذاً العصبية هي القوة المحركة للدولة وهي أساس قيام الدولة إلا أن هذه الأخيرة إذا تحققت عملت على تحطيم العصبية حتى تستقر لها الأمور[1]. فالعصبية ضرورية في طور تأسيس الدولة، ولكنها في طور الاستقرار، تعرقل نشاط الدولة، وخصوصاً إذا تعددت العصبيات ضمن الدولة الواحدة، أو إذا نازع الملك أهل عصبيته، فهنا يلجأ إلى جدع الأنوف حتى يستقر له الملك.

2- أجيال الدولة:

نظر ابن خلدون للدولة على أنها كائن حي يولد وينمو ثم يهرم ويفنى، وللدولة عمر مثلها مثل الكائن الحي تماماً ولقد حدد صاحب المقدمة عمر الدولة بمئة وعشرين سنة، وهي برأيه تتكون من ثلاثة أجيال وأن الدولة في الغالب، لا تعدو هذه الأجيال الثلاثة، والجيل هو عمر شخص واحد من العمر المتوسط فيكون أربعين سنة:

---

[1]- جورج لابيكا، **السياسة والدين عند ابن خلدون**، ترجمة موسى وهبي، شوقي دويهي، دار الفارابي، بيروت، لبنان 1980، ص 91.

[2]- لاكوست ايف، **ابن خلدون**، ترجمة ميشال سليمان، دار ابن خلدون، ط3، بيروت، لبنان 1982، ص 127.

[1]- زينب الخضير، **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون**، دار الثقافة للطباعة، القاهرة، مصر 1981، ص 173.

أ– الجيل الأول: وهو جيل مترع بالعصبية والشجاعة والتقشف، يعيش حياة بدوية خشنة، بعيدة عن الترف وعن المدن. إنه يعيش في الريف والبوادي، وأبناء هذا الجيل لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد، فلا تزال صورة العصبية محفوظة فيهم، فحدهم مرهف، وجانبهم مرهوب، والناس لهم مغلوبون[2].

ب– الجيل الثاني: وهو الجيل الذي يتحقق على يديه الملك، والذي يؤسس الدولة، فينتقل من الحياة البدوية الخشنة أو من العمران إلى الحياة المتمدينة المترفة أو العمران الحضري ويصف ابن خلدون هذا الجيل بقوله: "والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف"[3]. وفي هذا الجيل، تضعف العصبية نتيجة الترف، وتقل الشجاعة وترق الطباع، وتحل القيم الحضرية محل القيم البدوية.

ج– الجيل الثالث: وأما الجيل الثالث، فينسون عهد البداوة والخشونة، كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر. ويبلغ الترف غاية بما يتبنونه من النعيم ونضارة العيش، فيصيرون عيالاً على الدولة. ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم، وتسقط العصبية بالجملة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة، ويلبسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة، يموهون بها، وهم في الأكثر أجبن من النسوان. فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة ويستكثر بالموالي. حتى يأذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت[4]. وعلى يد هذا الجيل، يكون زوال الدولة.

3– أطوار الدولة:

وكما أن للدولة، أجيالاً فهي أيضاً تمر بأطوار مختلفة وحالات متجددة. وحالات الدولة وأطوارها، لا تعدو في رأي ابن خلدون في الغالب خمسة أطوار:

الطور الأول: وهو طور التأسيس والظفر بالبغية، حيث تكون الأمور شركة بين الملك وأقطاب عصبيته. الطور الأول طور الظفر بالبغية، وغلب المدافع والممانع والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها، فيكون صاحب الدولة في هذا الطور أسوة قومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية، لا ينفرد دونهم بشيء لأن ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب[1].

الطور الثاني: وهو طور الانفراد بالحكم، وتصفية الشركاء الأولين، وظهور الاستبداد، ويصفه ابن خلدون بقوله: "هو طور الاستبداد على قومه، والانفراد دونهم بالملك، وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة، ويكون صاحب الحكم في هذا الطور معنياً باصطناع الرجال واتخاذ الموالي والصناع، والاستكثار من ذلك، لجدع أنوف أهل عصبيته وعشيرته المقاسمين له في نسبه، فهو يصدهم عن موارده، ويردهم على أعقابهم، ويفرد أهل بيته بما يبني من مجده، فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الأولون في طلب الأمر"[2].

---

[2]– ابن خلدون، مرجع سابق، ص 134.

[3]– المرجع نفسه، ص 135.

[4]– المرجع نفسه، ص 135.

[1]– المرجع نفسه، ص 138.

[2]– المرجع نفسه، ص 138.

الطور الثالث: وهو طور الترف والتفرغ للبناء والعمران والتفاخر بالمنشـــآت، ويصـــفه ابن خلدون: "طور الفراغ والدعة لتحصـــيل ثمرات الملك، مما تنزع طبائع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت، فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والخرج وإحصاء النفقات، والقصد فيها، وتشييد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة والهياكل المرتفعة"[3].

الطور الرابع: وهو طور ((القنوع والمســـالمة))، ويكون صـــاحب الدولة في هذا الطور قانعاً بما بنى أولوه ســـلماً لأنظاره من الملوك وأقتاله مقلداً للماضين من سلفه[4]. والدولة في هذا الطور تدخل حالة السكون والتقليد وتفقد القدرة على الإبداع والتطوير.

الطور الخامس: وهو طور ((الإسـراف والتبذير))، ويكون صـاحب الدولة في هذا الطور متلفاً لما جمع أولوه في سـبيل الشـهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه. فيكون مخرباً لما كان سلفه يؤسسون، وهادماً لما كانوا يبنون، وفي هذا الطور، تحصل في الدولة طبيعة الهرم، ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه، ولا يكون لها معه براء إلى أن تنقرض[5].

ويشـرح ابن خلدون أسـباب انحلال الدولة بقوله: "أن مبنى الملك على أسـاسـين لابد منهما، فالأول الشـوكة والعصـبية، وهو المعبر عنه بالجند، والثاني المال قوام أولئك الجند، وإقامة ما يحتاج إليه الملك في الأحوال. والخلل إذا طرق الدولة طرقها في هذين الأساسين"[6].

ويفسـر ابن خلدون كيفية تسـرب الخلل لدولة قائلاً: "أعلم أن تمهيد الدولة وتأسـيسـها كما قلناه إنما يكون بالعصـبية وأنه لابد من عصبية كبرى جامعة للعصائب، وهي عصبية صاحب الدولة فإذا جاءت الدولة فتغلب طبيعة الملك من الترف وجدع أنوف أهل العصبية تفسـد عصـبية صـاحب الدولة، وهي العصـبية الكبرى، فتحل عروتها وتضـعف شـكيمتها وينفرد صـاحب الدولة عن العشـير والأنصـار الطبيعية، ويحس بذلك أهل العصـائب الأخرى، ويتجاسـرون عليه وعلى بطانته تجاسـراً طبيعياً، فيهلكهم صـاحب الدولة، ويتبعهم واحداً بعد واحد ويقلد الآخر من أهل الدولة في ذلك الأول ما يكون نزل بهم مهلكة الترف الذي قدمناه، فيتولى عليهم الهلاك والترف والقتل، حتى يخرجوا عن صيغة تلك العصبية، ويحتاج صاحب الدولة إلى الزيادة في أعطياتهم، حتى يسد خللهم ويزيح عللهم، وكثرة نفقاتهم تنقص عدد الحامية فتسقط الدولة، ويتجاسر عليها من يجاورها من الدول، أومن تحت يديها من القبائل والعصائب، ويأذن الله بالفناء الذي كتبه على خلقه"[1].

ومن علامات اقتراب نهاية الدولة، تجزؤها واستقلال أصحاب الولايات بولاياتهم، وتبدأ بالانفصال ولايات الأطراف، حيث تكون قبضة الدولة عليها أضعف من الولايات الأقرب لمركز الدولة، وعندما تنحسر سلطة الدولة عليها، يستقل كل والٍ بولايته، فيشكل دولة قائمة بذاتها مع عصبيته وعشيرته، والأغلب أن تجهز على الدولة الهرمة عادةً دولة جديدة مجاورة، أو قبيلة متحمسة ذات عصبية وشوكة، تكون في طور الفتوة والقوة، وإذا لم توجد هذه الدولة أو القبيلة، تعيش الدولة المتداعية أكثر من عمرها الطبيعي لتأخر وصـــول من ينفذ حكم القدر فيها. فالتاريخ في رأي ابن خلدون، ما هو إلا سـلسـلة من الدول، تسـير كل منها في حلقات متتابعة، تتشـابه هذه الدول في مراحلها المختلفة وتقوم الواحدة على أنقاض الأخرى، وهذه كما يرى هي سنة الله في الدول، إلى أن يأتي ما قدر الله من الفناء في خلقه.

---

[3]- المرجع نفسه، ص 139.

[4]- المرجع نفسه، ص 139.

[5]- المرجع نفسه، ص 139.

[6]- المرجع نفسه، ص 164.

[1]- المرجع نفسه، ص 233.

خلاصة:

إن الحديث عن شخصية ابن خلدون وما تميزت به من عبقرية وعلم وفقه وأدب يقتضي الكتابة المسهبة والبحث والتقصي في أغوار الاجتهادات التي مارسها مفخرة عصره ومعجزة زمانه عبد الرحمن بن خلدون، وبما أن التعمق في آثار هذا المفكر العربي المسلم يحتاج إلى المزيد من الاستقراءات والاستنتاجات، فإن أقرب السبل وأيسر المراجع هي ما كتب مفكرنا الكبير وما خلّده من آثار أفادت كثيراً العلوم الإنسانية، أما ما كتِبَ حوله فهو شتات يصعب الإلمام به جملة وتفصيلاً، أو بالأحرى بجزء قليل منه.

الفصل الرابع: النظرية السوسيولوجية الكلاسيكية والمعاصرة.

تمهيد:

لاشك أن الرواد الأوائل لعلم الاجتماع قد رسموا الخطوط الرئيسية في النظرية السوسيولوجية وذلك بالقدر الذي سمحت به الوقائع التاريخية، أو نتائج البحوث الاجتماعية، أو بقدر ما توافر تحت أيديهم من تحليلات إحصائية.

ومما يذكر لتلك النظريات السوسيولوجية المبكرة أنها برغم من اتسامها- في معظم الأحيان- بالطابع الجدلي وبرغم التناقضات والاختلافات الواضحة عليها أو حولها، إنها على الرغم من ذلك كله قد حددت معالم الطريق أمام التطورات التي ميزت علم الاجتماع الحديث.

ولا يقلل من الأهمية التاريخية لهذه النظريات أن علم الاجتماع المعاصر يختلف معها في عدة نقاط رئيسية سواء من حيث المنهج أو الموضوع. المهم أن النظرية السوسيولوجية المعاصرة تميزت بتشعبها وتشتت اتجاهاتها، واختلاف مناهجها الأمر الذي يستلزم أن نعرض بعض هذه الاتجاهات حتى تتضح المعالم الرئيسية لهذه النظرية المعاصرة.

أولاً- مفهوم النظرية السوسيولوجية وعناصرها ودورها في علم الاجتماع.

1- مصطلح النظرية الاجتماعية:

يُعد مصطلح النظرية Thoery واحداً من أكثر المصطلحات التي أُسيئ استخدامها من قبل المهتمين بالعلوم الاجتماعية. حيث يشار به أحياناً للإطار التصوري التجريدي. كما أن البعض استخدمه في أحيان أخرى ليشير به إلى جزء من دراسة الموضوع عند المستوى النظري الذي يقابل الجانب التطبيقي من الدراسة[1].

إن مفهوم النظرية العلمية كما عرفها عبد الباسط عبد المعطي:"نسق فكري استنباطي متسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظاهرات المتجانسة، يحوي- أي النسق- إطاراً تصورياً ومفهومات وقضايا نظرية توضح العلاقات بين الواقع وتنظمها بطريقة دالة وذات معنى، كما أنها ذات بعد إمبريقي بمعنى اعتمادها على الواقع ومعطياته، وذات توجيه تنبئي يساعد على تفهم مستقبل الظاهرة ولو من خلال تعميمات احتمالية"[2].

---

[1]- السيد علي شتا، **نظرية علم الاجتماع**، المكتبة المصرية، مصر 2004، ص 128.

[2]- عبد الباسط عبد المعطي، **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**، عالم المعرفة، العدد 44، الكويت، 1981، ص 10و31.

ولقد كتب روبرت مرتون Merton في كتابه: ((النظرية الاجتماعية والبنية الاجتماعية)):" إن عالم الاجتماع يميل إلى استخدام كلمة النظرية كمرادف لكلمات: المنهجية- الأفكار الموجهة- تحليل المفاهيم- التفسيرات اللاحقة- التعميمات التجريبية- الاشتقاق والتقنين- النظرية (بالمعنى الضيق للكلمة).

وإذا كنا نقصد بالنظرية (بالمعنى الضيق للكلمة) مجموعة من المقترحات التي تشكل نظاماً، من الممكن أن نستخرج منها نتائج مرتبطة بمواجهة مع معطيات الملاحظة، ينبغي أن نعطي الحق لمرتون: إن مفهوم النظرية كما هو مستعمل فعلياً لا يتقلص إلى هذا الفهم. ولكن المفهوم ربما كان من جهة أخرى ذات معان أقل تعدداً، مما يوحي به مرتون.

في الواقع يظهر لنا مفهوم النظرية أنه يتضمن في علم الاجتماع فهمين أساسيين. ذلك المتعلق بالمعنى الضيق للكلمة من جهة أولى، وذلك المتعلق بالمثال من جهة أخرى (يقصد بالمثال مجموعة من المقترحات أو الأحكام المابعد نظرية، المتعلقة باللغة الواجب استعمالها لمعالجة الحقيقة الاجتماعية أقل مما تتعلق بالحقيقة الاجتماعية)[1].

وجاء في قاموس علم الاجتماع لمحمد عاطف غيث أن النظرية مجموعة مبادئ وتعريفات مترابطة تفيد"تصورياً" في تنظيم جوانب مختارة من العالم الامبريقي على نحو منسق ومنتظم. ولهذا تنطوي النظرية على مجموعة دعاوى وبديهيات أساسية. إذا كان هيكلها مكوناً من قضايا مترابطة ومنطقياً وقابلة للتحقيق الامبريقي[2].

إن التراث التاريخي يزخر باستخدامات مصطلح النظرية والتي تدور أفكارها حول العلاقات البشرية، والمجتمع البشري، من ذلك أعمال كارل انتون في دراسته ((من التاريخ لعلم الاجتماع)) حيث نجده يتحدث عن نظريات اجتماعية، وأعمال H. Hughes ((الوعي والمجتمع)) ومؤلفه ((إعادة توجيه الفكر الاجتماعي الأوربي))، كل هذه الأعمال ناقشت مفهوم النظرية الاجتماعية.

ثم شاع بعد ذلك استخدام كلمة نظرية مرتبطة ببعض الاتجاهات الفكرية، مثل نظرية التطور، والنظرية الوظيفية...والنظريات المرتبطة بموضوعات اجتماعية مختلفة على نحو ما نلاحظه الآن في علم الاجتماع.

وتنقسم النظريات الاجتماعية إلى ثلاث أقسام:

أ- نظريات كبرى Grand Scale Thoery : تطلق على النظريات ذات الطابع العام والتي تنطوي على عدد كبير من القضايا المترابطة التي تتناول المجتمع والموضوعات الكبرى مثل: النظرية الوظيفية والنظرية الجدلية، والتي تجعل المجتمع ككل بنظمه المختلفة موضوعاً للدراسة.

ب- نظريات متوسطة المدى Middle Scale Range Thoery : تشير إلى نظرية "تتوسط الفروض العاملة" التي تتمحض عنها البحوث اليومية، والتأملات الشاملة التي تكون الإطار التصوري الرائد الذي يُرجى أن يستقى منه عدد كبير من انساق السلوك الاجتماعي موضع الملاحظة الامبريقية.

ج- نظريات صغرى Small Scale Thoery : تركز على وحدات صغرى مثل الأفراد والجماعات الصغيرة.

وتشير كلمة النظرية أيضاً للرؤيا الفكرية التي ينظر من خلالها اتجاه بعينه لمستوى معين من مستويات الواقع الاجتماعي.

2- معنى النظرية السوسيولوجية:

---

[1]- ر. بودون، ف. بوريكو، **المعجم النقدي لعلم الاجتماع**، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، بيروت، لبنان 2007، ص 574.

[2]- محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 449.

لقد ارتبطت النظريات في علم الاجتماع بالتفكير المجرد على مستوى الاستخدام العادي، وهناك بعض الاستخدامات تحصرها في إطار ماهو نظري، أو ماهو قائم على مجرد التصور. إلا أن التفكير النظري اليوم لا يمكن فصله عن الواقع ولم يعد مجرد تصورات. بل أصبحت تلك التصورات مستندة في صياغتها إلى الواقع الاجتماعي وما يرتبط به من حقائق. وان كانت بعض النظريات الاجتماعية لا تزال قائمة على التجريد غير المرتبط بالواقع.

وذهب نيكولا تيماشيف في تعريف النظرية إلى أنها مجموعة من القضايا يجب أن يتوفر فيها عدة شروط تتمثل في استناد القضايا لأفكار محددة. وأن تكون تلك القضايا متسقة مع بعضها، وأن تكون في صورة تساعد على اشتقاق التعميمات الاستقرائية، بحيث تؤدي تلك القضايا التي تقوم عليها النظرية إلى قدر وافر من الملاحظة والتعميمات التي تخدم المعرفة...[1]. ومن ثم يؤكد تيماشيف أن معظم علماء الاجتماع رغم اختلافهم من حيث صياغة تلك القضايا إلا أنهم يتفقون على عدد معين من القضايا تقوم عليها النظريات الاجتماعية، والتي تدور حول بعض المسائل المتعلقة بالمجتمع والثقافة، ووحدات تحليلها، والعلاقة بين المجتمع والثقافة، والشخصية على نحو مافعل بيتروم سوركين.

واستخدم علماء الاجتماع أيضاً كلمة النظرية بطريقة مختلفة عن الاستخدامات السابقة حيث نجد البعض يستخدمها ليشير بها للنموذج النظري Theoretical Model وللطريقة التي تدرك بها الحقائق. والنظرية في الغالب وفي إطار تلك الاستخدامات تشير إلى النظريات الإيضاحية Label Theories ومن أمثلتها النظرية الاجتماعية للتطور، والنظرية البنائية الوظيفية، ونظرية التفاعل الرمزي، فهذه النظريات أمثلة حية للنماذج النظرية التي استخدمها علماء الاجتماع.

ومن الاستخدامات الحديثة للنظرية استخدام شستر ونتون Chester Winton لنوع من النظرية يسميها النظرية البديهية والنظرية السوسيولوجية البديهية تتكون من مجموعة متكاملة منطقياً من التعريفات والقضايا التي تتناول حياة الجماعة البشرية، وهذه النظرية بعناصرها المختلفة تتمتع بقدر من الارتباط والتركيب المنطقي. وهو يذهب إلى أن تحليل بناء تلك النظرية البديهية يقتضي فحص أجزائها المكونة لها، وتوضيح كيف تكون هذه الأجزاء والعناصر مترابطة، خاصة عندما تسعى لفهم الرابطة بين النظرية والقياس. وفي ضوء ذلك يطرح تعريفه للنظرية بأنها نسق منطقي مركب داخلياً، من مجموعة من التعريفات والفروض المترابطة والمكتملة منطقياً.

وفي ضوء ذلك يمكن تعريف النظرية بأنها: الصياغة التصورية المستندة إلى البحث والقياس والمتضمنة لمجموعة من **القضايا(*) والمفاهيم(**) والتعريفات(***)** المتسقة والمتكاملة منطقياً حول الحياة البشرية، والقابلة للبحث والقياس.

وهذا التعريف للنظرية الاجتماعية يشير للتجريد الذهني لاستخدامنا لمفهوم النظرية في علم الاجتماع. والذي نستند في صياغتها للواقع الاجتماعي للحياة البشرية، كما أنه يتضمن مجموعة من التعميمات والعلاقات القائمة بين المتغيرات والمفاهيم المرتبطة بالمؤشرات التطبيقية.

---

[1]- نيكولا تيماشيف، **نظرية علم الاجتماع**، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر 1974، ص 37.

(*) القضية Proposition: عبارة تشير إلى العلاقة بين متغيرين أو مفهومين على الأقل، تكون في وضع تجريدي عام قابل لاشتقاق القضايا والفروض الإجرائية التي تجعلها قابلة للقياس الامبريقي.

(**) المفهوم Concept: هو تجريد ذهني لفكرة ما في ذهن الإنسان. فالمعايير والقيم والمجتمع والدور الاجتماعي كلمات تعين كل منها فكرة معينة.

(***) التعريف Definition: هو إيضاح للفكرة التي صيغ بها المصطلح تصورياً، وهو يعين ويوضح التجريد الذهني الذي يحدد ما يعنيه الباحث بالمصطلح عند استخدامه.

3- عناصر النظرية:

إن بناء النظرية يتضمن مجموعة من العناصر المتمثلة في الفروض، والمفاهيم والتعريفات، وهذه العناصر مترابطة فيما بينها، وتشكل معاً وحدة متكاملة تتمثل في النسق التصوري للنظرية. وهذه العناصر الأساسية هي:

أ- المفاهيم Concepts:

المفهوم تجريد ذهني، وتصور لما تعنيه الكلمة بالنسبة لفكرة ما في ذهن الإنسان، لهذا فإن المعايير والقيم والمجتمع والدور الاجتماعي وغيرها من الكلمات ماهي إلا دالة لفكرة وتصور لما تعنيه هذه الكلمات. والواقع أن استخدام عالم الاجتماعي لمفاهيم معينة ذات فائدة كبرى لأنها تمكنه من إثارة بعض المشكلات ووضعها في فئات معينة. كما أنها تمكنه من فهم السلوك والتنبؤ به.

ب- التعريفات Definitions:

يشير تعريف المفهوم أو المصطلح للتجريد الذهني الذي صيغ المفهوم أو المصطلح لأجله، والذي يعنيه الباحث عند استخدامه لهذا المصطلح. وهناك نوعين من التعريفات للمصطلح:

- التعريفات الاسمية المجردة Nominal Definitions: وتشير التعريفات الاسمية للمعنى النظري للمصطلح، وهي تعريفات مجردة لتصورنا للمصطلح.

- التعريفات الإجرائية Operational Definitions: تتضمن التأويلات القياسية التي يوجهنا إليها التعريف الاسمي. وذلك يشير إلى أن التعريف الإجرائي بمثابة وصف للكيفية التي يتم بها قياس المصطلح.

ويجب أن يكون هناك تناسق وتتابع بين التعريفات الاسمية المجردة والتعريفات الإجرائية للمصطلحات، وإلا فإن المصطلح لا يتوفر له الصدق الداخلي أو صدق المضمون. كما أن التعريفات تساعد على تطوير النظرية لما لها من وظائف متعددة ومتباينة، كما أنها تساعد على اشتقاق القضايا الإجرائية من القضايا المجردة.

ج- الفروض Hypotheses:

تعرف الفرضية بأنها تفسيرات مقترحة للعلاقة بين متغيرين أحدهما المتغير المستقل (سبب) والآخر المتغير التابع (نتيجة)، ويرى البعض أن الفرض هو قضية أو عبارة تقرر وجود علاقة بين ظاهرتين أو متغيرين أو أكثر وتخضع للاختبار التجريبي[1]. وهذه العلاقة القائمة بين المتغيرات يمكن أن تكون وصفية أو سببية.

والفرض أهم وسيلة ذهنية لدى الباحث، ووظيفته الرئيسية هي أنه يوحي بتجارب أو ملاحظات جديدة، والواقع أن أغلب التجارب وكثيراً من المشاهدات تجرى خصيصاً لاختبار الفروض[2]. التي هي حلول مقترحة لمشكلة البحث أو تخمينات لنتائج وتبعات متوقعة، ويمكن بلا شك أن تستنبط الفروض من نظريات علمية معينة، ومدى صحة هذه النظريات في منطقة الدراسة، وهل ما هو موجود في المنطقة يدعم هذه النظرية أم يدحضها ؟.

---

[1]- عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات، **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ص 38.

[2]- و.ا.ب بقردج، **فن البحث العلمي**، ترجمة زكريا فهمي، دار اقرأ، ط4، بيروت، لبنان 1983، ص 84.

وهناك احتياطات يجب إتباعها عند استخدام الفروض، منها عدم التشبث بالأفكار التي لا تثبت صلاحيتها، والتحكم الذهني في إخضاعها للوقائع، والاختبار النقدي لها، وتجنب الأفكار الباطلة...الخ.

وإذا صنفنا الفرضيات على أساس الصياغة كانت[1]:

- فرضية الإثبات سلباً أو إيجاباً للعلاقة.
- فرضية النفي: التي تنفي وجود علاقة.

و يقسم الباحثون الفروض لثلاثة أقسام هي الفرض الموجه، والفرض غير الموجه، والفرضية الصفرية.

- الفرض الموجه: هنا يقفز الباحث مباشرة لحقيقة مباشرة يوجهها هو حسب رأيه في المشكلة، مثل أن تفترض أن أداء أبناء الأسر الموسرة في المدرسة أحسن من زملائهم الآخرين.
- الفرض غير الموجه: هي الفرضية التي يفترضها الباحث عندما لا يكون واثقاً من الجهة التي قد تغلب على الأخرى. مثال: المثال السابق عن أداء التلاميذ من الأسر الموسرة يمكن أن يصاغ بطريقة غير موجهة مثل: إن مستوى الأسرة الاقتصادي يؤثر على أداء التلميذ دون الإشارة إلى أيهم الأحسن أو الأسوأ كما في الحال في الفروض الموجهة.
- الفرضية الصفرية: هي الفرضية التي يتبعها الاحصائيون غالباً، ويطلق عليها اسم فرضية العدم حيث ينفي الباحث وجود علاقة مثلاً أو تطابق أو تساوي بين ظاهرة وأخرى أو بين نفس الظاهرة في مكانين مختلفين، فمثلاً في فرضية أداء التلميذ ومستوى دخل أسرته تصاغ الفرضية بأنه ليس هنالك فرق ذي دلالة إحصائية بين أداء التلميذ من أسرة غنية أو أسرة فقيرة.

ولا بد أن نفرق بين الفرض والتخمين، فالفرض يرتبط تصورياً بالنظرية التي تولد عنها في حين أن التخمين لا يرتبط بأي أساس نظري. وإذا كانت صياغة النظرية يعتمد على الاتساق القائم بين فرضين أو مجموعة من الفروض وبين تعريفاتها المجردة وتعريفاتها الإجرائية. فإن النظرية أيضاً يتولد عنها الفروض التي قد تشكل فيما بينها بعد ذلك بناء نظرية أخرى أو تسهم في تطوير النظرية التي تولدت عنها.

4- دور النظرية في علم الاجتماع:

إذا كان من أهداف علم الاجتماع صياغة وخلق البناءات النظرية التي نستعين بها لوصف وتفسير السلوك البشري، والتنبؤ بنتائجه، وما يترتب عليه في المستقبل على نحو ما أكد بعض علماء الاجتماع، فإن ذلك يمكن أن يوضح لنا الدور الذي تلعبه النظرية في مجال علم الاجتماع. ومن هنا يمكن أن نستخلص الدور الوظيفي للنظرية في علم الاجتماع وذلك على النحو التالي[2]:

أ- تحديد أطر توجيهية عامة يسترشد بها في تفسير الواقع وتناوله بالدراسة والتحليل.

ب- تطوير مفاهيم علم الاجتماع والتي تعد أساسية له كعلم يعتمد عليها.

ج- تسهم النظرية في عملية صياغة التعميمات المستخلصة من الدراسات الامبريقية وتضعها في صورة كيفية بين المتغيرات.

د- الوصول للقوانين العلمية التي تحكم حركة المجتمعات البشرية بعد اختبار الفروض وتكميم العلاقات القائمة بين المتغيرات، وهي القوانين العلمية التي يسترشد بها علم الاجتماع في تفسير العمليات الاجتماعية الدائرة في المجتمعات البشرية.

---

[1]- صلاح الدين شروخ، **منهجية البحث العلمي للجامعيين**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر 2004، ص 59.

[2]- السيد علي شتا، مرجع سابق، ص 142.

بالإضافة إلى ذلك فإن منطق إستراتجية البحث الاجتماعي تستند إلى أساس نظري، ذلك أنه عندما نحدد المفاهيم والقضايا التي نستند إليها في عملية البحث، نكون في سياق البناء النظري الذي يستعين به الباحث للوصول إلى مستوى الاختبار المناسب بين المقاييس التي يستعين بها في البحث، والتي تكون ملائمة لطبيعة الموضوع الذي نسعى لدراسته.

إن علم الاجتماع هو علم دراسة المجتمع والفرد دراسة علمية، وحتى تتصف هذه الدراسة بالعلمية كان لابد أن تتسم ببعض المواصفات منها أن تنطلق من نظرية علمية، لها من الخصائص والشروط تؤهلها لتوسم بالعلمية، ولعل أهم شروط النظرية العلمية هي، الوضوح والدقة والإيجاز، والتفرد الذي يعني تجنب تكرار ما لايجب تكراره، وأن تتسم بالواقعية في صياغتها وطرحها، وقابلة للاختبار في الميدان، فضلاً عن قدرتها على التنبؤ بمسار الوقائع والظاهرات.

ويتضح لنا أن على النظرية في علم الاجتماع يجب أن تعبر تعبيرا واضحاً وشاملا عن موضوع علم الاجتماع وتحمل في مضمونها وشكلها خصائص النظرية العلمية وشروطها، بوصفها أركاناً ضرورية تمكنها من أداء أدوارها بالنسبة لعلم الاجتماع وما تنجز من خلاله من بحوث.

تهدف النظريات الاجتماعية على المستوى التعليمي إلى إعطاء دارسها عرضاً لأهم الاتجاهات والمدارس النظرية في علم الاجتماع باعتبارها الأداة الرئيسية في تكوينه كباحث اجتماعي متخصص في هذا العلم. وعادة ما تبدأ العملية التعليمية لمقررات النظريات الاجتماعية للمستويات التعليمية الجامعية بعرض سريع لنظريات المؤسسين لعلم الاجتماع من المفكرين والمنظرين، الذين يعتبرون رواداً في تأسيس النظريات والاتجاهات والمدارس الحديثة. ثم يتعلم الدارس تحديد مفهوم النظرية الاجتماعية وطبيعتها وبنائها، والدراسة العلمية لها، وأسس تقييمها. ثم يركز المقرر على دراسة الاتجاهات الحديثة كالاتجاه البنائي الوظيفي، ومدرسة الصراع الاجتماعي، والنظرية التفاعلية الرمزية، والنظرية التبادلية الاجتماعية، بحيث يكون الدارس في هذه المرحلة ملماً بالبناء النظري والتفسيري للنظريات الاجتماعية الأكثر شيوعاً وتأثيراً في أبحاث علم الاجتماع. والهدف من ذلك أن يستفيد الدارس من تلك النظريات في أبحاثه الصغيرة تبعاً للمرحلة التعليمية التي هو فيها. وكذلك ليكتسب مهارة التفسير والتحليل وربطها بالمنطلقات النظرية التي تعلمها. وفى كل هذا يحاول أن يربط النظرية بالواقع الاجتماعي المعايش وباستخدام المنطلقات النظرية في البحوث الاجتماعية العلمية.

ثانياً– الإسهامات السوسيولوجية للرواد الأوائل:

1– أوجست كونت Auguste comte (1798-1857):

عالم اجتماع فرنسي ذو نزعة وضعية من مؤسسي علم الاجتماع الحديث، من أهم مؤلفاته: دروس في الفلسفة الوضعية، ونظام السياسة الوضعية، وفيهما شرح لأهم أفكاره الاجتماعية. عمل سكرتيراً لسان سيمون وتأثر به أشد التأثر، وأتصل بتقاليد القرن 18م الموسوعية فكان ذو سعة معرفية، وقد امتاز مجتمعه بالإضطراب والفوضى حيث المرحلة الانتقالية بين التقليد والحداثة.

ويعتبر كونت صاحب قانون الحالات الثلاثة. وعنده فإن كل علم لا يسير السيرة ذاتها في الاعتماد على الملاحظة والتجربة عبارة عن علم ظني[1].

[1]– كاتب الموسوعة، **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، القاهرة، مصر، دون سنة، ص ص 324-325.

إن قيام علم الاجتماع في عصر كونت جاء كضرورة اجتماعية وحاجة علمية ملحة حتمتها الرغبة في إصلاح المجتمع وإنقاذه من الفوضى الضاربة فيه، ذلك أن حالة المجتمع الفرنسي بعد الثورة اتسمت بـــ :فوضى عقلية واضطراب خلقي وفساد عام. وإن انسجام المصالح المادية والمنافع المتبادلة لن يحقق الاستقرار والتقدم، لذا فإن تنظيم أي شأن من شؤون الاجتماع والأخلاق والسياسة والدين لن ينجح إلا إذا سبقه تنظيم عقلي للآراء ومناهج البحث وطرق التفكير.

تصور كونت من خلال فلسفته الوضعية أن هناك مسارات ثلاث للتقدم التاريخي لم يسلك الكائن الاجتماعي والذي يتكون في رأي كونت من عناصر متساندة ومتمايزة تعمل معاً لتحقيق هدف واحد مشترك، لم يسلك ذلك الكائن غيرها خلال مراحل تطوره وتقدمه، وأن مراحل التقدم التاريخي كما تصورها كونت هي المرحلة اللاهوتية أو الدينية، والمرحلة الثانية هي الفلسفية أو الميتافيزيقية، أما المرحلة الثالثة والأخيرة فهي المرحلة الوضعية أو العلمية[2]. وهذه المراحل يسميها كونت قانون الحالات الثلاث:

أ- المرحلة اللاهوتية: يقصد فيها كونت أن العقل سار على أساس التفسير الديني، فقد كانت الظواهر تفسر بنسبتها إلى قوى مشخصة أبعد ما تكون عن الظاهرة نفسها، كالآلهة والأرواح والشياطين وما إلى ذلك، كتفسير ظاهرة النمو في النبات بنسبتها إلى الله عز وجل أو إلى أرواح النبات وعدم الأخذ بأسباب النمو الدنيوية.

ب- المرحلة الميتافزيقية (الفهم التجريدي): في هذه المرحلة نسب تفسير الظواهر إلى معاني مجردة أو قوى خيالية أو علل أولى لا يمكن إثباتها كتفسير نمو النبات بقوة أرواح النبات.

ج- المرحلة الوضعية (العلمية): هو أن يذهب العقل في تفسير الظاهرة بنسبتها إلى قوانين تحكمها وأسباب مباشرة تؤثر فيها كتفسير ظاهرة النمو النباتي بالعوامل الطبيعية والكيميائية والقوانين المؤلفة لهذه الظاهرة.

ومن خلال قانون الحالات الثلاث يتبين لنا أن الإنسان لم يكن موضع ترحيب في المرحلتين السابقتين، إذ أن الإنسان عجز عن أن يجد له موقع أو مكانة فيما مضى، لذا فقد استبعد من أي تحليل للظواهر مفسحاً المجال أمام القوى الدينية أو قوى الطبيعة.

وبما أنه لم يكن للإنسان أية قيمة فلم تكن أيضاً للمجتمع آية قيمة، ولهذا تطورت الوضعية العلمية التي تناولت ظواهر طبيعية، بينما لم تتطور ذات الوضعية حينما كانت تتناول ظواهر متعلقة بالإنسان والمجتمع، وقد وضع أوجست كونت حداً لهذه الازدواجية في التفكير والتي يسميها الفوضى العقلية التي تسببت في ثلاث ثورات برجوازية وقعت في أعقاب الثورة الفرنسية 1789 حتى سنة 1848.

وينظر كونت إلى المجتمع باعتباره كلية اجتماعية تتكون من جميع الأفراد الأحياء منهم والأموات أو ما يمكن تسميته بالذاكرة الاجتماعية الحية والماضية بكل ما تشتمل عليه من بنى ومؤسسات وعلاقات وتراث وسلوكات وثقافات تعبر بانصهارها جميعاً عن كلية اجتماعية أو ما يمكن تسميته بالتعبير الفلسفي بـ: "الوجود الاجتماعي".

وقد سعى كونت إلى بناء ما يسمى بـــ: شجرة المعرفة حيث صنف العلم تصاعدياً: الرياضيات – الفلك – الفيزياء – الكيمياء – الأحياء وأخيراً السوسيولوجيا. ووجد كونت أن الفوضى العقلية ناجمة عن وجود أسلوبين متناقضين للتفكير وفهم الظواهر:

أ- الأسلوب الأول: هو الأسلوب العلمي الذي يستعمله الناس للتفكير في الظواهر الكونية والطبيعية والبيولوجية.

ب- الأسلوب الثاني: هو التفكير الديني الميتافيزيقي الذي يستعمله الناس للتفكير في الظواهر المتعلقة بالإنسان والمجتمع.

---

[2]- صلاح مصطفى الفوال، **علم الاجتماع البدوي**، تقديم أحمد محمد خليفة، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر 1974، ص 21.

ولكن كيف يمكن التوفيق بين نمطي تفكير متناقضين في وقت يسعى فيه كونت إلى تحقيق وحدة المعرفة الإنسانية. هناك ثلاث مقترحات لمواجهة لهذه الفوضى:

أ- التوفيق بين التفكيرين الوضعي والميتافيزيقي بلا أي تناقض، فالمنهج الوضعي يقوم على الملاحظة وتقرير طبائع الأشياء، كما يدرس الحقائق الجزئية وعناصر الظواهر بحثاً عن أسبابها المباشرة، ويؤمن بخضوع الظواهر لقوانين يمكن الكشف عنها، فهو منهج نسبي غايته كشف القوانين العلمية. أما المنهج الميتافيزيقي يقوم على التأمل النظري والبحث المطلق، ويدرس الحقائق الكلية بحثاً عن العلل الأولى، ولا يؤمن بخضوع الظواهر لقوانين يمكن الكشف عنها، فهو منهج مطلق غايته وضع مبادئ فلسفية لا سبيل إلى تصورها. ومن الواضح أن مقاربة هذين النمطين من التفكير أو أي محاولة للجمع بينهما ستؤدي إلى اضطراب عقلي في أذهان الناس، لذا ينبغي التخلي عن هذه المقاربة المستحيلة بسبب الفرو قات الحادة بين الفكرين.

ب- صرف النظر عن التفكير الوضعي وإنجازاته وإخضاع كل العقول والعلوم إلى المنهج التيولوجي الميتافيزيقي كمنهج عام وشامل. وهذا الحل قد يعيد إلينا الوحدة العقلية ولكن هل يمكن تحقيقه علمياً ؟. ومن استحقاقات هذا الحل القضاء ليس على الطريقة الوضعية فحسب، بل إنكار كل الانتصارات العلمية التي تحققت في التاريخ الإنساني انطلاقاً من التفكير الوضعي. مثلاً علينا أن نتنكر لاختراع الطباعة وإنجازات كوبرنيك، وجاليليو، وديكارت، وبيكون، ونيوتن وغيرهم ممن اشتغلوا بالأبحاث الوضعية وأوصلوا لنا تراثاً عقلياً أورثونا إياه.

من جانب آخر فإذا تراجعنا عن الوضعية كنمط للتفكير فهل سننجح في تجميد القدرة على التفكير ؟. هل نستطيع الحد من تطور التفكير وإبقائه جامداً على حاله ؟. وهل نستطيع أن نتحكم في قوانين الطبيعة التي حكمت على المراحل السابقة بالفساد فنمنعها من أن تحدث النتيجة نفسها ؟. من المؤكد أن جعل التفكير الوضعي شيء من قبيل العدم مستحيل شكلاً ومضموناً.

ج- تعميم المنهج الوضعي وجعله منهجاً كلياً عاماً وشاملاً لكل ظواهر الكون ((وحدة المعرفة الوضعية)) من استحقاقاته القضاء على ما تبقى من الفكر الميتافيزيقي ومظاهره وأن يفهم الأفراد ظواهر الاجتماع اعتماداً على المنهج الوضعي بما في ذلك ظواهر الإنسان والمجتمع التي كانت تستبعد من التحليل الوضعي قبل أوجست كونت. ولكن ثمة شرطين لفهم الظواهر على الطريقة الوضعية:

أ- أن تكون هذه الظواهر خاضعة لقوانين بحيث لا تسيرها الأهواء والمصادفات. وهذا شرط متوفر في الظواهر الاجتماعية كون المجتمع جزء من الطبيعة الكلية، كما أن جميع نواحي الطبيعة خضعت لقوانين ثابتة أمكن الوصول إليها. (هذه هي جواهر الصراع بين علماء الاجتماع حول وجود قوانين للظاهرة الاجتماعية أم لا ؟).

ب- معرفة الناس لقوانين الظواهر وهو أمر لا يتوفر إلا اعتماداً على الدراسة الوضعية عبر باحثين مهمتهم الكشف عنها. وهذه مسألة تتطلب قيام علم جديد وهو علم الاجتماع. هكذا يمكن القضاء على الفوضى العقلية والاجتماعية والأخلاقية وتحقيق الإصلاح المنشود.

ولعل أبرز إسهامات كونت في النظرية السوسيولوجية ما يأتي[1]:

أ- التفرقة بين علم الاجتماع الوليد وبين الفلسفة السياسية، وإصرار كونت على أن الاستقصاءات السوسيولوجية لابد أن تعتمد على المناهج الوضعية أو الموضوعية في الملاحظة وعلى التجريب والمقارنة المميزة للعلوم الطبيعية، وكذلك على المنهج التاريخي.

---

[1]- المرجع نفسه، ص ص 22-23.

ب- وضع أول تعريف لعلم الاجتماع قال: "انه الدراسة الواقعية المنظمة للظواهر الاجتماعية"، كما كان أيضاً أول من قسم موضوعات علم الاجتماع إلى قسمين رئيسيين أولهما علم الاجتماع الستاتيكي، وثانيهما علم الاجتماع الديناميكي، وتهتم الستاتيكا بدراسة شروط وجود المجتمع أو بما يعرف الآن بالبناء الاجتماعي، بينما تهتم الديناميكا بدراسة الحركة المستمرة للمجتمع أو بما يعرف الآن بدراسة التغير الاجتماعي.

ج- أنه على الرغم من الأفكار التي اعتنقها كونت قديمة، أو أنها لم تقدم نظرية اجتماعية متكاملة، إلا أن جهد كونت مقدر حتى وان لم تتجاوز محصلته النهائية مجرد تجميع تلك الأفكار وإعادة ترتيبها، لأن ذلك التجميع والترتيب قد أديا بغير شك إلى نمو المعرفة الاجتماعية خصوصاً ما تعلق منها بالبناء الاجتماعي والتغير والثقافة والجماعات الاجتماعية والعلاقات الشخصية.

د- لازالت كتابات وأفكار كثيرة لكونت على أصالتها حتى اليوم بل إنها كثيراً ما تعتبر أفكار عصرية كتصوره عن الثقافة باعتبارها الحصيلة الكلية لانجازات العقول الإنسانية المتفاعلة، إلى جانب إدراكه السليم للتأثير الأزلي المتبادل بين الفرد والمجتمع.

هـ- تعرض كونت في كتاباته للكثير من المسائل والموضوعات التي تعد أساساً للاتجاهات الحديثة في علم الاجتماع المعاصر.

إن أول اسم أطلقه كونت على العلم الجديد كان "الطبيعة الاجتماعية" أو "الفيزياء الاجتماعية" physique social ثم سماه بعلم الاجتماع sociology . أما عن الظاهرة الاجتماعية فإن كونت لم يعطها تعريفاً على الرغم أنه عني بتعريف الظاهرة الطبيعية والكيميائية والبيولوجية. لأنه كان يرى أن علم الاجتماع يدرس كل الظواهر التي لم تدرسها العلوم السابقة عليه. ولأنه يرى من العبث تعريف الظاهرة الاجتماعية أو تحديدها باعتبار كل الظواهر الإنسانية بما في ذلك ظواهر علم النفس هي ظواهر اجتماعية.

ومثل الظاهرة الاجتماعية لم يحدد كونت موضوعاً لعلم الاجتماع معتبراً أن الإنسانية هي موضوع العلم وهي الحقيقة الجديرة بالدراسة والبحث، وإن الإنسانية كموضوع لعلم الاجتماع يدرسها كونت في حالتين: الديناميك الاجتماعي والستاتيك الاجتماعي.

2- فريدريك لوبلاي Frédéric Le play (1806-1882):

فرنسي من أبرز الباحثين والرواد في مدرسة الإصلاح الاجتماعي الفرنسية التي أشادت بتأثير العوامل الجغرافية في الشعوب، ونوهت بعلاقة المكان بالعمل المزاول، وأشكال الملكية، وعلاقة المكان بنموذج الأسرة، وعلاقته بالمنظمات الاجتماعية المتجاوزة للأسرة[1]. وما يعاب على هذه المدرسة هو أنها تغالي في تأثير المكان، فبعض القضايا الاجتماعية لا تفسر بالعوامل الجغرافية وحدها.

وكان لوبلاي شأنه في ذلك شأن كونت مهتماً بالانحلال والتفكك الاجتماعي المعاصر له، والذي كان يعتقد أنه واحد من آثار الثورة الفرنسية. أسس عام 1856 الجمعية العالمية للدراسة العملية في الاقتصاد الاجتماعي، من مؤلفاته: العمال الأوربيون 1855.

يقوم منهج مدرسة لوبلاي على فحص حالات فردية، ثم استنتاج النتيجة والقانون الذي تخضع له هذه الحالات، وهو الأمر الذي دعاه لوبلاي: Monogradhies familials ، أي بحث الحالات الفردية الأسرية، وقد طبق لوبلاي دراساته المونوغرافية لميزانيات الأسرة، للوصول إلى أبواب المصروفات المختلفة فيها[2]. والمنهج المونوغرافي نوع من الدراسة المفصلة المستقصية لظاهرة من الظواهر، يتبعه تعميم للنتائج المفضى إليها.

---

[1]- عبد الكريم اليافي، **تمهيد في علم الاجتماع**، المطبعة العمومية، دمشق، سوريا 1964، ص ص 231-232.

[2]- حسن شحاتة سعفان، **تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعية**، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر 1976، ص 236.

وحسب لوبلاي فإن الازدهار الاجتماعي يتم بشرائط أساسية هي: الأيمان بالله، والتدين، وتقوية الأسرة، وحسن تربيتها للنشئ، ووجود حكومة قوية يخلص الرعية لها، وإقرار الملكية الفردية، والتضـــامن الاجتماعي، وحســـن التعامل بين الأفراد، وكل ما توصـــي به الأخلاق والأديان .

ولقد اعتبر الكثير من العلماء أن الإطار الموحد للدراسة يعتبر الإضافة الحقيقية للوبلاي في النظرية السوسيولوجية، كما يرى البعض أن الطريقة الجديدة التي انتهجها لوبلاي خلال بحثه عن الأســـرة كانت هي الأســـاس لما يُعرف اليوم بطريقة (الملاحظة بالمشـــاركة)، وهو إسهام كبير في منهجية العلوم الاجتماعية.

وضـــع لوبلاي بداية لنظرية عامة جديدة في البناء الاجتماعي خلال مفهومي الســـعادة والشـــقاء، حيث تتحقق الســـعادة في رأيه بإشـــباع حاجتين رئيســـيتين، أولهما مادية وتتمثل في الخبز اليومي، والثانية لا مادية وتتمثل في الســـنن الأســـاســـية، وحينما يحقق البناء الاجتماعي القائم إشباعاً لهاتين الحاجتين تتحقق السعادة، ويحدث الشقاء عندما يعجز البناء الاجتماعي عن إشباع هاتين الحاجتين. كما أكد لوبلاي في مختلف دراساته على الأسرة والعمل والمكان على اعتبار أنهم يشكلون معاً في رأيه الثلاثية المركزية للدراسة السوسيولوجية، مع اســـتخدام ميزانية للأســـرة بوصـــفها تعبيراً كمياً عن حياة الأســـرة من جهة وعلى اعتبار أنها من جهة أخرى أســـاس للتحليل الكمي للوقائع الاجتماعية.

وقد أوضح لوبلاي أن البناءات الاجتماعية تتكون من سبعة عناصر وثلاث طبقات هي[1]:

أ- أساسان Tow Bases: هما القانون الأخلاقي العام والسلطة الأبوية.

ب- لحمتان Tow Cements: هم الدين والحكومة.

ج- مواد ثلاثة Patronage: هي الملكية المجتمعية، الملكية الفردية، والرعاية.

هذا وتشبع السنن أو الأعراف الأساسية من الطبقتين الأولى والثانية، أما خبز الإنسان اليومي فيشبع من خلال الطبقة الثالثة.

وأبرز ما كان يميز لوبلاي أنه لم يكن يؤمن بالتطور، واتســـــمت نظريته في التغير بأنها دائرية في المحل الأول، بمعنى أنها تمثل حلقة مفرغة لا يمكن الخروج منها، حيث تبدأ الدائرة بالبساطة فالتعقيد ثم الهرم حتى تصل إلى واحد من اثنين إما الإصلاح أو الدمار، على أن لوبلاي ركز اهتمامه على المرحلة الانحلالية من التغير الاجتماعي التي تشير إلى التحول من السعادة إلى الشقاء.

3- كارل ماركس Karl Marx (1818-1883):

فيلسوف مادي، ومفكر اقتصادي ألماني ذو أصول يهودية، انتمى إلى الهيجليين اليساريين، حصل على الدكتوراه من جامعة فيينا في الفلسفة، اشترك مع انجلز في وضع بيان الحزب الشيوعي عام 1848. قام بتأليف العديد من المؤلفات إلا أن نظريته المتعلقة بالرأسمالية وتعارضها مع مبدأ أجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالمية، لذلك يعتبر مؤسس الفلسفة الماركسية، ويعتبر مع صديقه فريدريك إنجلز المنظرين الرسميين الأساسيين للفكر الشيوعي.

ارتكزت النظرية السوسيولوجية عند ماركس على حقيقتين أساسيتين، تتمثل أولاهما فيما يعرف اليوم بالحتمية الاقتصادية، والتي تعني ببساطة أن العامل الاقتصادي هو الذي يحدد وبصفة أساسية ومباشرة بناء المجتمع وتطوره، ويرى ماركس أن ذلك العامل الاقتصادي هو

[1]- صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص 25.

الذي يحدد أيضـــاً التنظيم الاجتماعي للانتاج، أما عن الحقيقة الثانية فتتمثل فيما يعرف بميكانيزمات التغير الذي يجب أن يتم في رأي ماركس وفقاً لمراحل ثلاث أزلية هي[1]:

أ- الإثبات Affirmation أو الموضوع Thesis.

ب- النفي Negation أو نقيض الموضوع Antithesis.

ج- تصالح الأضداد أو مركب الموضوع Synthesis.

وتقر نظرية ماركس نتيجة تحليليها للمجتمع الغربي المعاصـر أن المجتمع بصـفة عامة يتكون من طبقتين رئيسـيتين والصـراع بينهما حتمي ومحتدم بالضـرورة لأنه – أي الصـراع الطبقي- هو الوسـيلة القادرة على نقل المجتمع من مرحلة إلى أخرى، وتمثل الطبقة الأولى نظام الانتاج البائد، وتمثل الطبقة الثانية نظام الانتاج المسـتحدث، ويقر ماركس أن النصـر في النهاية إنما يكون للطبقة التي تمثل النظام الجديد الذي ما يلبث أن يصـير نظاماً بائداً نتيجة لما يحمله في طياته من عوامل هدمه وفنائه، ثم ما يلبث أن ينشـأ نظام جديد ينتصـر عليه ويحل محله وهكذا.

ويذهب ماركس إلى اعتبار أن كل ما يحدث في المجتمع وما ينشـأ فيه من ظواهر ونظم إنما يرجع إلى الطبيعة الاقتصـادية، فالظروف الاقتصـادية هي العامل الوحيد الذي يشـكل نظم الاجتماع والسـياسـة والأخلاق والدين، وبالتالي فالمادة الاقتصـادية هي قطب الرحى في التطور السياسي والأخلاقي والاجتماعي.

ويرى ماركس أن المجتمع الإنسـاني يقوم على نوعين من البناءات البناء الاقتصـادي أو ما يسـمى بالبناء التحتي والبناء الفوقي الذي يقوم على الأســـاس الاقتصـــادي، ويقوم بين هذين البنائين تفاعل دينامي ولكي نتمكن من فهم التفاعلات الموجودة بين الجماعات الاجتماعية لا بد لنا من فهم العلاقة التفاعلية المتلازمة بين البناء الاقتصادي أو التحتي والبناء الفوقي. أو بمعنى آخر دراسة علاقات وقوى الإنتاج التي يقوم على أساسها أي مجتمع وتحدد على ضوئها العوامل الاجتماعية والسوسيولوجية الأخرى.

وقد قال ماركس بأن وحدة الكون وحدة فكر جدلية، والمجتمع عنده ينشأ لكونه شكلاً خاصاً من حركة المادة التي تشكل الطبيعة. والإنتاج المادي حسب الماركسية هو أساس وجود المجتمع[2].

أما عن الدين فإن ماركس لم يكن مهتماً به أصلاً، ولكننا نجد فقط إشارة عامة في أعماله للدين، وقد حاول الكشـف عن مصـدر الالتزام بالقوى المقدســـة الكامنة في جوهر الدين، فوجده في عدم المســـاواة الاجتماعية. وقد لخص ماركس أفكاره عن الدين في عبارته الشـهيرة:((أن الدين هو أنين الكائن المضـطهد، وقلب العالم عديم الرحمة، وحس الظروف القاسية، انه أفيون الشعب))"[1] ، وأراد أيضاً أن يبين أن الدين يمكن أن يكون وسـيلة للاعتراض والقبول والخضـوع، ولذا فقد حاول مع فريدريك انجلز تمييز الظروف التي يظهر أو يكمن فيها الصراع الطبقي من خلال تبريرات دينية.

ووفقاً لماركس فإن الدين عبارة عن مؤسسة اجتماعيه مبنية على أسس اجتماعية اقتصادية قائمة في مجتمع معين، ويقول ماركس أن الدين ما هو إلا انعكاس بناء فوقي للعالم المعاش. ويقول أن الهدف من الدين هو إبقاء الوضع الاجتماعي كما هو عليه ويسمح الدين

---

[1]- المرجع نفسه، ص 27.

[2]- صلاح الدين شروخ، مدخل في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 80.

[1]- المرجع نفسه، ص 112.

للطبقات الحاكمة باسم هذا الدين من أن تعرقل أي محاولة لتغيير القوانين التي تضمن استمرار استغلال الشعوب والطبقات الكادحة وقمع أي محاولة تغيير.

ولقد لقيت النظرية السوسيولوجية عند ماركس موجة من النقد لكثير من علماء الاجتماع أمثال بيتروم سوروكين الذي إتهم نظرية ماركس بأنها تقوم على مجموعة من التصورات الخاطئة أبرزها التصور الخاطئ لدى ماركس للعلاقة السببية أو الحتمية والتي بنيت على أساس ميتافيزيقي لا يمكن قبوله من جهة، ويتعذر من جهة أخرى على العلاقات بين مجموعات كبيرة من الظواهر خصوصاً في المجال الاجتماعي، لأن العلاقة بين مختلف الظواهر الاجتماعية علاقة تبادلية التأثير، أي تتأثر وتؤثر في نفس الوقت.

4- هربرت سبنسر Herbert Spencer (1820-1903):

عالم اجتماع انجليزي، الأب الثاني لعلم الاجتماع بعد أوجست كونت، بدأ حياته مدرساً ثم مهندساً وبعدها عمل بالأدب والسياسة وشؤون المجتمع، من أهم مؤلفاته:((الثبات الاجتماعي)) 1850، ((مبادئ علم النفس)) 1872، ((دراسة علم الاجتماع)) 1873.

اعتنق مذهب التطور"في النشوء والارتقاء"، ووصل إلى حقائق دقيقة قبل أن ينشر داروين بحوثه، ولما نشر سنة 1850 كتابه: "الستاتيك الاجتماعية" أخذ نجمه يسطع، فكتب بعد ذلك في علم الحياة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والتربية، والسياسة، وحاول تطبيق فكرة "النشوء العضوي والتطور" على الكائنات الحية في ميدان علم الأحياء وعلى الإنسان في ميدان علم النفس والأخلاق، وعلى المجتمع في ميدان علم الاجتماع والسياسة.

وتتلخص النظرية التطورية عند سبنسر في الانتقال من التشابه إلى التباين، أو من التعميم إلى التخصص، أو من الاستقلال الانعزالي (فوضى الشيوع) إلى النظام والتدرج. أما نظريته في المجتمع تنبع أصلاً من فلسفته في التطور الاجتماعي، هذه الفلسفة ستؤدي حتماً إلى مماثلة بين المجتمع والكائن الحي.

وقد استند على هذه النظرية في وضع الأسس لنسق ومنظومة اجتماعية (سوسيولوجية) تؤكد التطور تجاه تعقيد اجتماعي متزايد وارتفاع درجة الفردية. فالمجتمع في نظره مثل الكائن الحي المعقد، يتصف بحالة من التوازن الدقيق. ولا ينبغي ألاّ يسمح إلا لعملية التطور الطبيعية بالتأثير في نموه. ولقد أدى هذا التأكيد على الفردية والتكيف الطبيعي إلى معارضة الإصلاح من خلال تدخل الدولة.

ولعل دراسة سبنسر عن الانتقال من الجماعات المتجانسة ذات المجال الصغير إلى الجماعات اللامتجانسة والمعقدة ذات المجال الواسع هي بمثابة بداية لنظرية المبدأ الحيوي Animism، وتعني عبادة الكثير من الأرواح المختلفة والقوى المقدسة بين البدائيين في مرحلة تعدد الآلهة والتي يمكن أن نجدها في الحضارات القديمة[1].

وتضم نظرية المبدأ الحيوي ثلاث موضوعات رئيسية هي: الأول يدور حول عمومية الطوطمية، وهي الشكل الأولي للدين، والثاني مرتبط بالعلاقة بين الدين والسحر والعلم، وأخيراً الاهتمام بإمكانية وجود النظرية الحيوية، أي الاعتقاد في القوى اللاشخصية المقدسة بدلاً من الأرواح المجسمة وذلك بالمراحل الأولى.

وتتجلى النظرية السوسيولوجية لدى سبنسر من خلال تصوره لتطور المجتمعات والتي سلكت في رأيه خطين رئيسيين أولهما أن المجتمعات البسيطة تتطور خلال نموها إلى مستويات مختلفة من المجتمعات المعقدة، وبعبارة أخرى فإن المجتمعات المركبة نبعت عن المجتمعات

[1]- محمد أحمد بيومي، **علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الاسلامي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2004، ص 96.

البسيطة، ومركب المركب من المجتمعات انبثق من المجتمعات المركبة وهكذا، بمعنى أن المجتمع البسيط يتكون من الأسر، أما المجتمع المركب فإنه ينشأ نتيجة إتحاد تلك الأسر في عشائر، أما إذا اتحدت هذه العشائر في قبائل فينشأ عنها ما يسميه بمجتمع مركب، أي مركب المركب، أما إذا اتحدت القبائل في دول وأمم فإن المجتمع الجديد هو مركب، أي مركب مركب المركب، وهكذا كلما كبر الحجم كبر البناء وتطور[2].

وظل المبدأ التطوري يشكل الأساس في نظرية سبنسر، حتى أضاف إليه إجتهاداً آخر يمكن أن يوصف بالركيزة الثانية للنظرية الاجتماعية، ألا وهي المماثلة العضوية بين المجتمع والكائن الحي، واعتمد ذلك التماثل بين المجتمعات والكائنات الحية في مفهوم سبنسر على عدة تطابقات من أهمها ظاهرة النمو الواضحة والمستمرة لدى كليهما سواء كان ذلك النمو في الحجم أو في الوظيفة.

رأى سبنسر أن المجتمع في أنساق يتشابه مع كثير من الأنساق البيولوجية بل إنه أكثر الرواد الذين شبهوا المجتمع بالأنساق البيولوجية، فالكائنات العضوية والأنساق الاجتماعية في المجتمع هي كائنات متشابهة من حيث قدرتها على النمو والتطور. إن ازدياد حجم الأنساق الاجتماعية كإزدياد الكثافة السكانية – مثلاً- سيؤدي إلى إزدياد إنقسام المجتمع إلى أنساق أكثر تعقيداً وتمايزاً، وهذا هو حال الأعضاء البيولوجية أو الكائن الحي.

وقد لاحظ سبنسر أن التمايز التدريجي للبنى في كل الأنساق الاجتماعية والبيولوجية يقترن بتمايز تدريجي في الوظيفة. ولعل أهم ما جاء به سبنسر هو استعماله لمصطلحي" البنية والوظيفة" هاتين الكلمتين بلورهما سبنسر أكثر من كونت.

إن قانون التطور الاجتماعي الذي جاء به سبنسر قد أثر في نظريات التطور عند علماء الاجتماع الوظيفيين الذين جاؤوا بعده وفي طليعتهم تالكوت بارسونز و دوركايم.

لقد انتقد نيكولا تيماشيف نظرية سبنسر السوسيولوجية وأعتبرها نظرية فلسفية أولاً قبل أن تكون نظرية سوسيولوجية، وإن كان هذا لا يمنع أن سبنسر قام بصياغة نظرية تكاملية عن الحقيقة كلها فقانونه عن التطور قانون كوني. كما لا يمنع من جهة أخرى أن الفيزياء التي نهضت على أساسها نظرية سبنسر قد أخذت تنهار في الكثير من جوانبها الأمر الذي عرض بالتالي جانباً من نظرية سبنسر إلى أن يعفو عليه الزمن.

5- إميل دوركايم Emile Durkheim (1858-1917):

عالم اجتماع يهودي فرنسي له وزنه في علم الاجتماع، وهو أول واضع لقواعد هذا العلم، ولا نستطيع ذكر علم الاجتماع دون ذكر اسمه، كان أستاذ بالسربون وتأثر اتجاهه في علم الاجتماع بفلسفة كونت الوضعية، من أشهر مؤلفاته: ((قواعد المنهج السوسيولوجي)) 1895. وهو من رواد **مدرسة علم الاجتماع الصرف**[(*)].

ويتضمن الفكر الاجتماعي عند دوركايم عوامل عدة، حيث يعتبر البيئة الاجتماعية الإنسانية هي الصلات الروحية الوثيقة والمحددة بخواص تخضع هذه البيئة الاجتماعية لبعض الأسباب الاجتماعية، فعلم الاجتماع عند دوركايم هو علم يختص بدراسة المجتمعات حيث يماثل الظاهرة الاجتماعية بالظاهرة العضوية أي يحذو حذو بعض الذين يجارون العلوم الطبيعية وتطبيق نفس المناهج العلمية على العلوم

---

[2]- صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص 29.

[(*)] **مدرسة علم الاجتماع الصرف**: يتزعمها إميل دوركايم وأتباعه مثل: مارسيل موس، و ليفي بروهل، ودي سوسير، وبوجليه، وهاليفاكس، وكوهين... وغيرهم وقد التزمت هذه المدرسة بحدود الوضعية الكونتية بل أنها أرست الوضعية الصحيحة، واعترفت باستقلال علم الاجتماع والظواهر الاجتماعية وقدمت دراسات ميدانية ممتازة، وتميزت أبحاثها بالدقة العلمية وبذلت جهداً نظرياً ضخماً في إقامة دعائم علم الاجتماع وتحديد مناهجه وميادينه.

الاجتماعية. لكن هذه الخصوصية تبقى محل تردد وتحفظ من قبل العديد من المختصين الاجتماعيين. وفي هذا السياق قد تأثر دوركايم بالمجتمع الفرنسي نظراً ما أمكنه من اكتساب مساحات التي أتيحت لهذا المجتمع من الحرية الفكرية والمعرفة الواسعة. كما تأثر أيضاً بفلاسفة عصر التنوير أمثال: سان سيمون، ومونتيسكيو، وجان جاك روسو...فضلاً عن إطلاعه عن أفكار بعض المفكرين الألمانيين من أمثال: فاجنرو شمولر وفونت، هذا وظل يؤثر التضامن في حياته كلها وفي فكره الاجتماعي الداعي إلى روح التضامن بدل من الصراع المتصل.

لقد ذكر دوركايم أن موضوع علم الاجتماع المميز يجب أن يكون الحقائق الاجتماعية. ومفهوم الحقائق الاجتماعية له عدة مكونات، لكن ما هو حاسم في فصل علم الاجتماع عن الفلسفة هي فكرة أن الحقائق الاجتماعية يجب أن تعامل كأشياء، وبما أنها تعامل كأشياء فإن الحقائق تدرس ميدانياً وليس فلسفياً.

كان دوركايم يعتقد أن الأفكار يمكن معرفتها عن طريق الاستبطان فلسفياً لكن الأشياء لا يمكن إدراكها عن طريق النشاط العقلي الخالص ونحتاج من أجل فهمها إلى معلومات من خارج العقل. هذا التوجه الميداني ودراسة الحقائق الاجتماعية كأشياء هو الذى ميز علم اجتماع دوركايم عن التفكير الفلسفي لكونت وسبنسر. في حين أن معاملة الحقائق الاجتماعية كأشياء جابهت التهديد من الفلسفة لكن لم تكن كافية لمواجهة التهديد من علم النفس. ومثل علم الاجتماع الدوركايمي فإن علم النفس يعتمد أيضاً على الدراسة الميدانية. ولتمييز علم الاجتماع عن علم النفس ذكر دوركايم أن الحقائق الاجتماعية مستقلة عن الفاعل وقاهرة له، لذلك فإن علم الاجتماع يدرس الحقائق الاجتماعية في حين أن علم النفس يدرس الحقائق السيكولوجية. وبالنسبة لدوركايم، الحقائق السيكولوجية أو النفسية هي في الأساس ظواهر موروثة، أما الحقائق الاجتماعية مستقلة وقاهرة.

في الواقع ميز دوركايم بين نوعين من الحقائق الاجتماعية – مادية وغير مادية. الحقائق الاجتماعية المادية أكثر وضوحاً لأنها حقيقية، كيانات مادية لكنها ذات أهمية ضئيلة في عمل دوركايم. أما الجزء الأكبر من عمل دوركايم وجوهر علم اجتماعه يختص بدراسة الحقائق الاجتماعية غير المادية. إن ما يطلق عليه علماء الاجتماع اليوم المعايير والقيم مثال جيد لما عنى به دوركايم الحقائق الاجتماعية غير المادية.

ومن أبرز اسهامات دوركايم في النظرية السوسيولوجية ما يأتي[1]:

أ- عارض دوركايم النزعة الفردية التي كانت سائدة في عصره عندما قرر أن أي تفسير للظواهر الاجتماعية لا يجب أن يتم على ضوء رغبات الباحث وحالاته الشعورية والنفسية، وإنما يجب أن تفسر هذه الظواهر على اعتبار أن لها طبيعة موضوعية، أو على حد تعبيره: "إننا يجب أن نعالج الظواهر الاجتماعية على اعتبار أنها أشياء".

ب- يمكن التعرف على الظواهر الاجتماعية حسب دوركايم عن طريقين، أولهما من خلال القوة القهرية التي تمارسها على الأفراد، وثانيهما من خلال عموميتها وانتشارها في الجماعة.

ج- حدد دوركايم خصائص الظاهرة الاجتماعية أو الحقيقة الاجتماعية كما كان يحب أن يسميها وميز بينها وبين غيرها من الحقائق من خلال أنها:

- تلقائية: بمعنى أن الظواهر الاجتماعية لا تدين بوجودها لفرد ما لأنها موجودة قبل أن يوجد الأفراد.

---

[1]- صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص ص 30- 34.

– جبرية: بمعنى أنها ملزمة للأفراد والجماعات على السواء، ومن خرج عنها يتحمل الجزاء.

– عامة: بمعنى أن الظواهر الاجتماعية لا توجد في مكان دون الآخر، وإلا فقدت خاصيتها كحقيقة عامة وخرجت عن نطاق اهتمامات علم الاجتماع.

– خارجية: بمعنى أنها مستقلة – بخواصها السابقة– عن الأفراد بحيث يمكن ملاحظتها كأشياء منفصلة عن الحياة الفردية، وبالتالي يمكن دراستها دراسة موضوعية إذا ما اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الإحصائي.

د– تعرض دوركايم لموضوع التضامن الاجتماعي من خلال كتابه: "تقسيم العمل الاجتماعي" 1893، حيث صنف دوركايم التضامن الاجتماعي إلى نوعين:

– التضامن الآلي: ويتميز هذا النوع من التضامن بالبساطة والسذاجة أحياناً حيث أنه غير مركب وغير مميز وغير خاضع لمبدأ توزيع العمل.

– التضامن العضوي: هذا النوع يتميز بالتعقيد وله مميزات في الوظائف، ويخضع لمعيار مبدأ تقسيم العمل، وتقدر فيه توزيع الوظائف على الجماعات والأفراد، بالإضافة إلى تميزه بزيادة التخصص ويكون هذا النوع عنصراً أساسياً في الحياة الاجتماعية، ويسود عموماً داخل الوسط الاجتماعي الذي يطغى عليه هذا النوع سلطة القانون واحتكام الجميع إلى مبادئ القانون بمعنى أن حياة الناس تتجه إلى التنظيم الرسمي وتساير صلاحيات السلطات بين مختلف الأدوار الاجتماعية في مفهوم التنظيم وتدرجه.

هـ– يرى دوركايم في خصوصية المجتمع على أنه مجموعة من العلاقات والروابط الاجتماعية تعمل على ظهور توقعات حول أنماط السلوك ...والمجتمع بالنسبة لدوركايم هو نسق منظم يعمل على التوافق والتكيف وأهم صفة مميزة له هو التوازن حيث يشير أن المجتمعات تكون ثابتة ومنظمة إلى أن يقع حدث أو تغير آخر وعندما يحدث تغير يعمل المجتمع على التكيف مع الموقف الجديد لكي تقم عملية بناء التوازن وهذه الفكرة قائمة على افتراض أن المجتمع هو بمثابة كائن حي. ويكرس هنا دوركايم مصطلح جديد يسميه الضمير الجمعي وقد أورد هذا المصطلح في كتابه: "تقسيم العمل"، حيث يعرف هذا المصطلح على أنه المجموع الكلي للمعتقدات والعواطف العامة بين أغلب عناصر المجتمع، والتي تشكل في رأيه نسقاً له طابع متميز ويكتسب هذا الضمير العام واقعاً ملموساً، فهو يدوم خلال الزمن و يدعم الروابط بين الأجيال ...وبمعنى أن المجتمع يعيش في داخل ضميرنا ومن منظور إميل دوركايم فإن الضمير الجمعي هو تعبير عن فكرة الجماعة في المجتمع.

و– ينظر دوركايم إلى المنهج على أنه مجموعة من المبادئ والقواعد لدراسة وتحليل الظواهر الاجتماعية، حيث يجب ملاحظة الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء، بمعنى التعامل مع الظواهر الاجتماعية دون التأثر بأفكار سابقة وتحلل كما هي موجودة، فمنهجية تحليل الظواهر الاجتماعية تقتضي من الباحث في علم الاجتماع التحرر بصفة مطردة من كل فكرة سابقة. وعلى الباحث أيضاً في علم الاجتماع تعريف الظواهر الاجتماعية التي هو بصدد دراستها حتى يعلم بها الناس، إذ لا يستطيع الباحث أن يحلل ظاهرة ما دون الإحاطة بمعانيها. كما ينبغي على الباحث أن يقف منذ البداية على الآلية المنهجية التي تساعد على الوصول إلى تحديد الخواص الجوهرية للظاهرة، والاعتماد على الخواص الخارجية التي تمكنه من الاهتداء إلى الجوهر وعمق المسألة. كما يجب حصر البحث في طائفة من الظواهر الاجتماعية ويتم على أثرها تعميم البحث على جميع الظواهر الاجتماعية التي لها نفس الخصائص وتتحقق فيها الشروط اللازمة. وعلى

الباحث في علم الاجتماع عند شروعه في بحث وتحليل الظاهرة الاجتماعية أن يبذل جهده في ملاحظة هذه الظواهر من الناحية التي تبدو فيها مستقلة عن مظاهرها الفردية.

أما عن آراء دوركايم الدينية فإن مواقفه النابعة من إلحاده هي السبب في انحراف نظريته حول الدين، فقد كان ينادي بالحياد في دراسة الظواهر الاجتماعية لكنه مع الأسف لم يستطع التجرد الكامل من خلفياته الإيديولوجية فكانت تحليلاته متأثرة كثيراً بنظرته الإلحادية. ويعزو إميل دوركايم نشأة الديانة إلى الحياة الاجتماعية، فالأفراد بتآلفهم يعيشون حياة كلها حماسة ونشاط ينبعث منها شكل تيار كهربائي يتوهمون أنه صنع الإله، مع أنه ليس من الإله في شيء، ولكنه وليد الحرية الاجتماعية، أي أن منشأ الدين اجتماعي وليس غيبي، فالدين في نظره حقيقة اجتماعية إنسانية فقط، لأن له دوراً حيوياً في الحفاظ على النظام والتركيبة الاجتماعية فحسب. فالأفراد يخترعون الدين وما يلحقه من عادات وتقاليد وشعائر، لأن في ذلك تضامناً جمعياً لهم وقوة لمجتمعهم، وتذكيراً بهويتهم الدينية وتقاليدهم الاجتماعية، وهذا هو قطب رحى نظرية دوركايم حول الدين. إذ ربط الدين الطوطمي بالمنطق، حيث يقول أن أصول الفكر المنطقي قد ارتبطت بتطور الفكر الديني الطوطمي، ومن ثم ارتبط التفكير المنطقي بأشكال أولية للتفكير الاجتماعي، الذي انبثق هو الآخر عن الدين الأولي الطوطمي، وتصوراته الجمعية[1].

نلاحظ أن أفكار ومنهج دوركايم تعتريه بعض العيوب منها:

– أنه أهمل عدة أشياء في دراساته الاجتماعية مثل المحيط الجغرافي، والتركيب الجسمي ....، مما يجعلنا أمام دراسات تفتقر لبعض الجوانب، فهذه النظرية لا تخلو من التطرف والمغالاة التي جعلت المجتمع هو الصانع لثقافته وديانته...وبالتالي ليست تلك الدراسة ذات الطابع الشمولي التي أمكن الارتياح لنتائجها.

– من سقطات دوركايم أيضاً تعميم الظاهرة الجزئية على كل السلوك الإنساني (تأثير العقل الجمعي في الأفراد كمثال)، وتفسير الظاهرة بغير ما يصح أن تفسر به، لتحقيق مآرب إلحادية دفينة.

– تأكيده على الخاصية الجمعية للظاهرة الاجتماعية لا يؤخذ على إطلاقه وإلا كان ناقصاً للواقع مما يجعله مضطراً لوضع التحفظات حول حدود التحديدات الاصطلاحية للمفاهيم الاجتماعية، حيث أن بعض السلوكيات الاجتماعية مصدرها الفرد ثم تبدأ تقل تدريجياً في الجماعية.

– يلاحظ أن فكرة الضمير الجمعي تلغي أي دور للفرد وتهدد حريته كما أنه لا يستطيع تفسير السلوك لأعضاء المجتمع، إذ أنه لا يمكن اعتبار المجتمع مصدر السلوك لأن الفرد سابق الوجود عن المجتمع فكيف يكون الفرع أصل الأصل.

– يؤخذ عليه من الناحية المنهجية بالنسبة للضوابط التي وضعها في دراسة الظواهر الاجتماعية الموضوعية هي ضوابط مثالية، إذ لا يمكن أن يتخلص أي باحث من ذاتيته وأفكاره المسبقة. والصعوبة في هذه الحالة هي مشكلة الموضوعية...والتحدث عن الموضوعية يعني التقليل من تدخل الاعتبارات الذاتية في نتائج البحث.

6– ماكس فيبر Max Weber (1864-1920):

[1]– قباري محمد إسماعيل، **علم الاجتماع والفلسفة**، ج3، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1989، ص 123.

عالم ألماني في الاقتصاد والسياسة، ومن مؤسسي علم الاجتماع الحديث، درس الإدارة العامة في مؤسسات الدولة، وهو من أتى بتعريف البيروقراطية، وعمله الأكثر شهرة هو ((مقالة في الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية))، الذي يعتبر من أهم أعماله المؤسسة في علم الاجتماع الديني، حيث أشار فيه إلى أن الدين هو عامل غير حصري في تطور الثقافة في المجتمعات الغربية والشرقية. وفي عمله الشهير أيضاً (السياسة كمهنة) عرف الدولة بأنها الكيان الذي يحتكر الاستعمال الشرعي للقوة الطبيعية، وأصبح هذا التعريف محورياً في دراسة علم السياسة.

درس فيبر جميع الأديان، وكان يرى أن الأخلاق البروتستانتية أخلاق مثالية، ومنها استقى النموذج المثالي للبيروقراطية والذي يتميز بالعقلانية والرشادة، ومن الصعب تطبيقه في الواقع ولو طبق في التنظيم لوصل لأعلى درجات الرشادة.

وعرف ماكس فيبر علم الاجتماع وحدد موضوعه بأنه ذلك العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي، لكي يتمكن من تقديم تفسير سببي لمجراه ونتائجه، ويضيف فيبر إلى ذلك أن المهمة المتخصصة لعلم الاجتماع هي تفسير السلوك في ضوء المعنى الذاتي، وأن موضوع دراسة هذا العلم هي الظواهر التي يمكن فهمها فهماً ذاتياً، ومن ناحية أخرى أوضح أن الوظيفة الخاصة التي يؤديها علم الاجتماع هي فهم المفردات المتباينة النموذجية، بحيث بعد ذلك صياغة مفاهيم نموذجية وتعميمات تعبر عن العمليات الامبريقية[1].

ونظراً لظهور أفكار فيبر في فترة زمنية معاصرة فقد اختلف مع دوركايم في العديد من القضايا وخاصة الدين والصراع الطبقي والاغتراب، وذلك لتوسع فيبر في دراسته للأديان السماوية والأرضية، وقد قام فيبر بوضع العديد من النظريات الخاصة بعلم الاجتماع واستخدم التحليل المقارن لاثبات نظرياته.

إننا نعرف جيداً المكانة الهامة التي تحتلها مفاهيم مثل: السلطة، والسيطرة في الخطاب الفيبري. فالنظر للحياة الاجتماعية على أنها "صراع بين الآلهة"، و"فوضى القيم" ماهي في نهاية المطاف سوى شيء آخر عن تأكيد الأهمية الكبيرة التي يحتلها الصراع والسلطة في نشاط المجتمعات الإنسانية[2].

وعلم الاجتماع الديني عند فيبر مجموعة من الدراسات يمكن أن تدخل تحت علم الاجتماع الديني، لعل من أهمها تلك الدراسة التي حاول فيها أن يناهض الفكر الماركسي في أساسه وجوهره والتي تقع تحت عنوان: ((الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية))، ثم قام فيبر بعد ذلك بدراسات مقارنة تناولت الأديان الكبرى والعلاقة بين الظروف الاجتماعية والاقتصادية من جهة، والاتجاهات الدينية من جهة أخرى.

يقول ريمون آرون R.Aron (1970): "إن ماكس فيبر في دراسته لتأثير الأخلاق البروتستانتية على الرأسمالية كان يريد أن يؤكد قضيتين هما :

أ- أن سلوك الأفراد في مختلف المجتمعات يفهم في إطار تصورهم العام للوجود وتعتبر المعتقدات الدينية وتفسيرها إحدى هذا التصورات للعالم والتي تؤثر في سلوك الأفراد والجماعات بما في ذلك السلوك الاقتصادي.

---

[1]- محمد عاطف غيث، **علم الاجتماع**، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر 1966، ص ص 43-45.

[2]- عبد الرحمن برقوق، **رواد علم الاجتماع والمسائل الدولية**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 18، جامعة منتوري، قسنطينة، ديسمبر 2002، ص 72.

ب- إن التصورات الدينية هي بالفعل إحدى محددات السلوك الاقتصادي ومن ثم فهي تعد من أسباب تغير هذا السلوك. على أن فيبر لم يعالج الجوانب المختلفة للدين بوصفه ظاهرة اجتماعية بل اكتفى بدراسة الأخلاقيات الاقتصادية للدين ويقصد منها ما يؤكد عليه الدين من قيم اقتصادية.

ويمكن ان نلخص الافكار السوسيولوجية لفيبر في النقاط التالية[3]:

أ- فيما يخص علاقة علم الاجتماع بالتاريخ. بالرغم من أن فيبر شعر أن كل مجال بحاجة للآخر، كانت رؤيته أن مهمة علم الاجتماع هي توفير الخدمات الضرورية للتاريخ. فقد ذكر أن علم الاجتماع يؤدي فقط مهمة متوسطة. وشرح فيبر الفرق بين التاريخ وعلم الاجتماع: "يحاول علم الاجتماع صياغة مفاهيم نموذجية ونظم مهمة للعمليات الميدانية. هذا يميزه عن التاريخ الذى يتوجه نحو التوضيح والتحليل السببي لأفعال الفرد، البنيات والشخصيات التى لها أهمية ثقافية". بالرغم من هذا التمييز الواضح جداً فإن فيبر استطاع الدمج بين الاثنين في أعماله. كان علم اجتماعه متجهاً نحو تطوير مفاهيم واضحة تمكنه من القيام بالتحليل السببي للظواهر التاريخية. وهنا يمكننا أن نعتبره عالم اجتماع تاريخي. حيث كان يعتقد أن التاريخ الاجتماعي مكون من عدد من الظواهر المستمرة، ولدراسة هذه الظواهر يصبح من الضروري تطوير مفاهيم عديدة تعمم لفرض بعض النظام على اضطراب العالم الحقيقي. ومهمة علم الاجتماع هي تطوير تلك المفاهيم والتي تستخدم بواسطة علم التاريخ في التحليل السببي للظواهر التاريخية المحددة. وبهذه الطريقة حاول فيبر المزاوجة بين الخاص والعام في محاولة لتطوير علم يتعامل بعدل مع الطبيعة المعقدة للحياة الاجتماعية.

ب- التزام فيبر في منهجه بدراسة السببية والتعليل. فكان ميالاً إلى أن يرى دراسة أسباب الظواهر الاجتماعية ضمن مجال التاريخ وليس علم الاجتماع. مع تلك الدرجة التى يمكن الفصل فيها بين علم الاجتماع والتاريخ – وهما غير منفصلين في كتابات فيبر الملموسة – فإن موضوع السببية له علاقة بعلم الاجتماع. والسببية مهمة في فكر فيبر ويقصد بها أن الحدث يتبعه أو يصاحبه حدث آخر، والأخلاق البروتستانتية "واحد" من العوامل السببية التى أدت إلى نشوء الروح الرأسمالية الحديثة. وقد وصف بالغباء الفكرة التى تقول أن البروتستانتية هى السبب الأوحد. كما وصف فيبر بالغباء أيضاً الفكرة التى تقول أنه ما كان للرأسمالية أن تنشأ من دون "الإصلاحات البروتستانتية " لأن عوامل أخرى كان من الممكن أن تؤدى إلى نفس النتيجة. وأفكار فيبر عن السببية ذات علاقة بمحاولاته السيطرة على الصراع بين المعرفة العامة والمعرفة الفردية.

ج- في الإعراب عن رؤيته لعلم الاجتماع كثيراً ما اتخذ فيبر مواقفاً ضد علم الاجتماع التطوري الذي يركز على المستويات الكبرى أي المدرسة "العضوية" التي كانت سائدة في عصره. فقد قال فيبر مثلاً "لقد أصبحت سوسيولوجيا" لأضع حداً للمفاهيم الجمعية. بمعنى آخر فإن علم الاجتماع أيضاً يمكن ممارسته فقط بالانتقال من فعل أفراد – واحداً أو أكثر، قلة أو كثرة، ذلك يعني بتوظيف منهج فردي صارم. وبالرغم من هذا التمسك بالمنهج الفردي فقد اضطر فيبر إلى الاقرار بأنه من المستحيل إبعاد المفاهيم الجمعية بالكامل من علم الاجتماع .

---

[3]- عن كتاب **رواد علم الاجتماع**، موقع أستاذ علم الاجتماع د. عمر عبد الجبار محمد أحمد www.3almani.org والذي اعتمد في اعداده على كتاب: Classical Sociological Theoryلمؤلفه: George Ritzer.

د- تتبع ماكس فيبر في أكثر أعماله شهرة (الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية) أثر البروتستانتية – وفي الدرجة الأولي الكالفينية – على نشوء الروح الرأسمالية. هذا العمل جزء صغير من عمل ضخم يتابع العلاقة بين الدين والرأسمالية على مستوي العالم. ففي مقدمته لـ (الأخلاق البروتستانتية) أوضح فيبر بجلاء أن اهتمامه العام يتركز على نشوء **العقلانية**(*) المميزة للغرب – العقلانية الهادفة- والرأسمالية بتنظيمها العقلاني للعمالة الحرة، أسواقها المفتوحة، ونظامها العقلاني لمسك الدفاتر هي مكون واحد فقط لذلك النسق المتطور – أي العقلانية الهادفة. كما ربطها مباشرة بالتطور الموازي، عقلنة العلم، القانون، السياسة، الفن، المعمار، الأدب، الجامعات ونظام الحكم.

هـ- انتقل فيبر خلال حياته الفكرية باستمرار نحو صهر التاريخ وعلم الاجتماع، أو نحو تطوير علم الاجتماع التاريخي. فجوهر علم اجتماع فيبر يوجد في علم اجتماعه الملموس وليس في مقولاته المنهجية. وبالرغم من أن فيبر أسس نظرياته وأفكاره عن الفعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية، كان اهتمامه الأساسي ببنيات المجتمع الكبرى ومؤسساته، وبنيات السلطة الثلاثة – القانونية، التقليدية والكارزمية.

و- بالرغم من أهمية كتاباته عن البنيات الاجتماعية – مثل السلطة – فإن آرؤه الأكثر أهمية تقع في المستوي الثقافي وكتاباته عن عقلنة العالم. فلم يعرب فيبر بوضوح عن فكرة أن العالم أصبح وبصورة متزايدة مسيطر عليه بقيم ومعايير العقلنة، وإنما هي أطروحة يجب استخراجها من دراساته المحددة. وفيما يخص القانون، نظم الحكم، المدينة والموسيقي...يري فيبر أن العقلنة تكتسح كل تلك المؤسسات في الغرب في حين أن هناك معوقات أساسية لتلك العملية في ما تبقي من أحزاء العالم.

ن- أفكار فيبر عن العقلنة وقضايا أخرى متعددة وضحت في كتاباته عن العلاقة بين الدين والرأسمالية. أي بين الأفكار (الأفكار الدينية) وتطور الروح الرأسمالية وأخيراً الرأسمالية نفسها. بمعنى آخر كيف أن الغرب طور نسقاً دينياً عقلانياً ومتميزاً (الكالفينية) لعب دوراً أساسياً في نشوء نظام اقتصادي عقلاني (الرأسمالية). حيث درس فيبر مجتمعات أخرى وجد فيها أنساقاً دينية غير عقلانية (الكونفوشية، الطاوية والهندوسية مثلاً) والتي أعاقت نشوء نظام اقتصادي عقلاني.

ثالثاً- النظرية السوسولوجية المعاصرة والنسق المرجعي لعلم الاجتماع.

1- الاتجاه الوضعي:

الوضعية بالمعنى العام هي الرأي القائل بأنه مادامت المعرفة الحقيقية كلها مؤسسة على الخبرة الحسية، ولاتتقدم الا بالملاحظة والتجربة، فإن المحاولات التأملية، أو الميتافيزيقية لاكتساب المعرفة عن طريق العقل غير المحدود بالخبرة، لابد أن يتخلى عنها لصالح مناهج العلوم الخاصة[1].

والمقاربة الوضعية هي منهجية تحليلة تقوم على استبعاد لأنماط الفكر والتحليل اللاهوتي (الديني) والميتافزيقي (التجريدي: الطبيعة) من أي تحليل مقترحة بديلاً عنهما الإنسان الذي بات يتمتع بقيمة مركزية في الكون.

(*) **العقلانية أو العقلنة**: حزمة من المعايير والقيم التي تخللت العالم الغربي، وبالنسبة لفيبر فإن العقلنة تعّرف بمكوناتها الأساسية المتعددة وهي: الكفاءة، القابلية للتحديد الحسابي، إزالة الغموض، واللاإنسانية. فالعقلنة عملية يصبح فيها المجتمع مهيمناً عليه بوتائر متزايدة من معايير وقيم الكفاءة، القابلية للتحديد الحسابي وإزالة الغموض التي تنتج اللاإنسانية. والكفاءة تعني أن المجتمع يركز على أهمية وجود أكثر وأسرع الطرق بين نقطة وأخرى.

[1]- صلاح الدين شروخ، مدخل في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 151.

ظهرت الوضعية واتضحت معالمها كإتجاه فكري في النظرية السوسيولوجية على يد أوجست كونت، وإن كان لها جذورها الضاربة في أغوار التراث الفكري لدى الذريين والسوفسطائيين وفرنسيس بيكون، وهذا الإتجاه الفكري يقيم معالجته وتفسيراته للعالم على التجربة بوجه خاص، وذلك ما اتفق عليه بين المهتمين بتحليل الاتجاه الوضعي والتطورات التي مر بها في النظرية السوسيولوجية. ومع استخدام الاحصاء في دراسة الظواهر الاجتماعية في آواخر القرن التاسع عشر ظهر الاتجاه الوضعي، ومع ظهور الوضعية المحدثة الموجهة نحو القياس الكمي في القرن العشرين تبلورت معالم الاتجاه الوضعي في علم الاجتماع.

وقد شاع في العالم القديم اتجاهان هما الذريون، والسفسطائيون، وهما يرتبطان أوثق الارتباط بالتوجيه الوضعي، وإليهما تمتد جذور الوضعية، فديمقريطس مثلاً يجد في مذهب الذرة أو الجزأ الذي لايتجزأ حلاً وسطاً بين التغير والثبات. وذلك لاقناعه بأن جميع التغيرات التي تحدث في الطبيعة يمكن ارجاعها إلى عمليات الالتحام والانفصال الدائمة للذرات[1].

ومن أهم أسس البحث الوضعي:

أ- تشدد الوضعية كنمط تفكير علمي على إحلال فكرة القانون محل فكرة القوى الخارقة للعادة التي تحكمت طويلا ًبتفسير الظواهر العلمية.

أي أن الوصول إلى القانون العلمي الذي يحكم سير الظاهرة ويفسرها سيكون في إطار الوضعية المطلب الأول والمحور الأساسي الذي تدور عليه الدراسة والبحث.

ب- إن من مبادئ الفلسفة الوضعية أيضاً إخضاع التخيل أو التصوير الفلسفي الذي كانت تقوم عليه المناهج القديمة إلى الملاحظة. وهكذا ضُرِبت الفلسفة الثيولوجية والميتافيزيقية في الصميم.

ج- يستند منهج البحث الوضعي إلى إعطاء العلاقات التي تربط بين الظواهر الاجتماعية أهمية كبرى انطلاقاً من أن الفلسفة الوضعية تعتبر نفسها مفسرة للكون ومظاهره وتسعى إلى الكشف عن طبائع الأشياء والقوانين التي تحكمها وهذا بخلاف المناهج القديمة التي لم تعطينا فكرة واضحة عن تحديدها للعلاقات بين مختلف الظواهر وعن الارتباط الحقيقي بينها.

د- إذا كانت المناهج القديمة تنزع في تفسيرها للظواهر إلى المعاني المطلقة والمبادئ الكلية والعلل الأولى مما يجعلها منتجة لمفاهيم جامدة غير قابلة للتطور فإن الوضعية كفلسفة تهتم بتحديد دائرة المعاني المطلقة وجعلها معاني نسبية مرنة قابلة للحركة والتطور بما يستجيب لنمو العقل ومستحدثات العصر ومتطلبات الظروف.

وبالنسبة للاتجاه الوضعي فإن عمل الفلسفة هو فهم المناهج التي تتقدم العلوم بواسطتها، وليس السعي إلى معرفة العالم معرفة لا تستند إلى العلوم، وما إن توجد الوسائل لتقدم المعرفة عن موضوع معين، إلا بطل انتماء هذا الموضوع إلى الفلسفة. لأنه يصبح علماً منفصلاً، أو جزءاً من علم.

ولمعرفة الاتجاه الوضعي لابد لنا من عرض بعض أفكار رائديها وهما : أوجست كونت وسان سيمون.

أ- أوجست كونت Auguste comte (1798-1857): سبق وقلنا أنه عالم اجتماع فرنسي ذو نزعة وضعية من مؤسسي علم الاجتماع الحديث، صاحب قانون الحالات الثلاثة والذي ملخصه:"إن العقل الإنساني أو التفكير الإنساني قد انتقل في إدراكه لكل فرع

[1]- السيد علي شتا، مرجع سابق، ص 341.

من فروع المعرفة من الدور الثيولوجي (الديني اللاهوتي) الى الدور الميتافزيقي وأخيراً إلى الدور الوضـــعي أو العلمي". وهذا يعني أن تاريخ الفنون والنظم والحضـــارة إجمالاً وتطورها ومظاهر القانون والســـياســـة والأخلاق وما إليها لا يمكن فهمه إلا إذا وقفنا على تاريخ التطور العقلي بوصفه المحور الأساس الذي تدور حوله كل مظاهر النشاط الاجتماعي والسبب في ذلك أن الفكر هو الدعامة لكل نواحي الحياة الاجتماعية. ولما كان الفكر أو العقل بهذه الأهمية الحاسمة فلا بد إذن أن يتبعه تطور منسجم معه في جميع نواحي الحياة الاجتماعية، وهذا يعني أن كل تغيير في الحياة الاجتماعية إنما يكون نتيجة للتطور التفكير.

أما عن مدى صحة قانون الحالات الثلاث فإن القانون صحيح من حيث العودة إلى تاريخ العلوم من ناحية وتاريخ الإنسانية من ناحية أخرى، وقد ثبت بالدراسة والبحث لدى أوجست كونت أن كل فروع المعرفة مرت بصدد تفسيرها للظواهر من الدور اللاهوتي إلى الدور الميتافزيقي انتهاء بالدور العلمي. كما أن كونت يعقد موازنة بين أدوار الإنسانية الثلاثة وبين الأدوار التي يمر بها الفرد في نشأته:

- المرحلة الثيولوجية: تشبه مرحلة الطفولة لدى الفرد.
- المرحلة الميتافيزيقية: تشبه مرحلة الشباب والمراهقة.
- المرحلة الوضعية: تشبه مرحلة الرجولة والاكتمال.

هكذا تغدو الإنسانية شأنها شأن الفرد في مراحل نموها وتقدمها.

ب- سان سيمون Saint Simon (1760-1825): هو الكونت هنري دي سان سيمون، الباريسي النشأة، كان فيلسوفاً فرنسياً يميل إلى مبدأ تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية. وكانت دعوته موجهة إلى الاهتمام بالصناعة، ونوه إلى أهمية الحياة البرلمانية في الاقتصاد، ودعى إلى أن يكون البرلمان مكوناً من ثلاثة مجالس هي:- مجلس الاختراع- مجلس الفحص- مجلس التنفيذ. وبذلك تتمثل في الحكومة هيئات من قطاعات الصـــناعة، والتجارة، والزراعة، والمهندســـين. ومن أشـــهر مؤلفاته ((المســـيحية الجديدة)) 1825 والذي تناول فيه الفقراء. والدين السبب الرئيسي في الخلافات التي نشبت بينه وبين تلميذه أوجست كونت.

عاش سان سيمون في نظام إقطاعي سليلاً لأسرة أرستقراطية، ويحمل لقباً اجتماعياً هو الكونت وكان ضابطاً برتبة ملازم أول لما كانت فرنسا تخوض حرباً ضد الإنجليز في شمال القارة الامريكية، وقد نضج فكره خلال الثورة الفرنسية التي كانت بمثابة ثورة على النظام الاجتماعي والاقتصادي في أوروبا عامة وفرنسا خاصة وثورة على النظام المعرفي التقليدي السائد في فرنسا وثورة على النظام السياسي الملكي.

وقد بدأت المقاربة الوضعية في مرحلة الفكر الموسوعي الذي عرفه في القرن 18 واتخذت عند سان سيمون طابعاً تطبيقياً عملياً وليس نظرياً مثلما كان ســائداً في المرحلة التجريدية أي العلم النظري المجرد، ففي القرن 18 طور الفكر الموســوعي آليات تحليل جديدة تقوم على الترابط بين المعرفة والواقع الإنساني لذا سيمثل هذا الفكر مرجعية سان سيمون.

إن الوضعية بوصفها استعمال للعقل ورفع من مكانة الإنسان، قدمت السياسة كأداة حيوية في تنشيط الحياة الاجتماعية والاقتصادية ونقلت الأمة من طور الخمول والكسل إلى طور العقل والإنتاج ووضعت الجميع على قدم المساواة وأصبح الإنسان سيد نفسه حراً من أي تمييز عرقي أو ثقافي أو سياسي. هكذا فالانتقال من المرحلة الإقطاعية اللاهوتية إلى المرحلة الصناعية العلمية هو انتقال من

ساحة العلم النظري إلى ساحة العلم التطبيقي العملي. فالوضعية تأبى الاعتراف بفواصل مابين النظري والعملي إذ ثمة ترابط بين المعرفة والواقع الإنساني. فمعنى أي عبارة أو جملة يجب أن يتحدد بطريقة البحث عن اثبات صحتها، ووجودها[1].

يُلاحظ أن الوضعية الجديدة كما مارسها سان سيمون لا تهدف فقط إلى تغيير شروط إنتاج المعرفة بل إلى تغيير النظام السياسي والمؤسساتي والاقتصادي. بمعنى أن الوضعية تمثل نقلة جذرية في النظام السياسي والاجتماعي القائم.وما لم تحدث هذه النقلة فمن المستحيل أن نتحدث عن أمة عاملة. إذن ثمة تغييرات تجعل من المجتمع عنصراً إيجابياً.

إن مستويات التغيير الجديد بحسب المقاربة الوضعية، تحقيق العدالة في مضمونها السياسي والاجتماعي واستبعاد الدين من الحياة الاجتماعية. ثمة مبدأ يحكم تحقيق العدالة المنشودة ذو بعد شخصي وعلمي لدى سان سيمون، هذا المبدأ هو وجوب جبر الهوة الفاصلة بين النظري والتطبيقي للوصول إلى علاقة تكاملية بين المستويين، ودون ذلك سيظل هناك ازدواجية تحافظ على استمرارية الهوة الفاصلة لذا لابد من إنجاز منظومة ابستمولوجية ومعرفية جديدة تقوم على التكامل بين البعدين النظري والتطبيقي، ولعل أوضح مثال هو ما طبقه سان سيمون على نفسه في دعوته إلى تحقيق العدالة تخليه عن لقب الكونت وإعلائه لشأن المواطنة. هذه المقاربة الوضعية الباحثة عن العدالة السياسية والاجتماعية ستسعى عملياً إلى هدم العناصر السياسية والمؤسسية المكونة للنظام السياسي والاجتماعي القديم والتي من بينها التميزات الطبقية والاجتماعية والمسيحية في شكلها التقليدي. لذا فإن سان سيمون سيرسي دعائم تعامل معرفي جديد مع الظاهرة الدينية بمختلف تنظيماتها ومؤسساتها، تعامل يقوم على اعتبار الظاهرة الدينية ظاهرة اجتماعية إنسانية من خلال إخراجها من دائرتها المقدسة والنظر إليها باعتبارها ظاهرة إنسانية.

إن التغيير الجديد الذي تريد إرساءه المقاربة الوضعية يقوم أساساً على العمل والإنتاج، ذلك أن انتشار الأفكار الوضعية سيؤدي حتماً إلى انتشار الصناعة. إذ يعتقد سان سيمون أن انتشار الأفكار الوضعية سيساعد وسيشجع على انتشار الصناعة التي هي الشرط الأساسي والوحيد لقيام مجتمع وضعي ومعرفة وضعية، فالصناعة بطبيعتها تخلق مجتمعاً وضعياً وتصورات وضعية في نفس الوقت استناداً إلى مبدأ يعتبر أن المعرفة العملية تعني المعرفة العلمية. بمعنى أن الصناعة تشجع بطبيعتها على خلق القيم الوضعية المستقلة عن الفكر الديني والكنسي في نفس الوقت.

أما العناصر الأساسية التي اعتمدتها المقاربة الوضعية مع سان سيمون هي:

- تحييد الدين والفكر اللاهوتي عن كل مشاركة في الحياة العملية.
- وضع أسس مشروع علمي وفكري ومعرفي يقوم على مبدأين أساسين هما: مبدأ العلمية؛ فلا تعامل بعد الآن مع الظواهر والأشياء إلا من منظور علمي. ومبدأ العلمنة وفيه تحييد وإقصاء صريح للدين.

هذه هي آليات التحليل العلمية التي ضمنها سان سيمون للمقاربة الوضعية وهي الآليات التي سنجدها مستعملة في النص الكونتي بطريقة أو بأخرى. هذه أيضاً هي الأرضية المعرفية والعلمية التي سينطلق منها أوجست كونت ليجعل من المقاربة الوضعية أكثر قرباً من الواقع والتحليل. ومبدئياً فالمقاربة الوضعية ستجمع بين مستويين رئيسيين:

- المستوى النظري: عبر قراءة العلوم وتنظيمها وتثبيتها وهو ما قام به سان سيمون.

---

[1]- صلاح الدين شروخ، مدخل في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 152.

- المستوى التطبيقي: وهو تطبيق عناصر المقاربة الوضعية في تحليل واقع المجتمع.

ومن المقاربة الوضعية يتجه سان سيمون إلى الدين. حيث كان للتفكير الفلسفي الذي ساد القرن الثامن عشر والمعادي لرجال الدين المسيحي أثر بالغ في أفكار سان سيمون عن الدين والأخلاق. غير أن سان سيمون لم يقف موقفاً عدائياً من الدين نفسه بل انه اتخذ موقفاً معادياً للوجهة الأخلاقية الإرهابية التي تسود المناخ الديني وكذلك المبادئ القديمة والعتيقة التي يرتكز عليها الدين. ويعتقد سان سيمون أن العلماء هم الذين ينبغي أن يشغلوا المراكز الرئيسية والمتقدمة في المجتمع وليس الرهبان والكهنة وباقي رجال الدين المسيحي.

وقد تأثر سان سيمون بالاتجاهات الفلسفية السائدة في عصره مما جعله يأتي بأفكار متناقضة ومتضاربة. فهو في بعض الأحيان يعتقد في وجود الله وفي أحيان أخرى يطالب بتكوين تشكيل جمعية من واحد وعشرين عضواً تختارهم الإنسانية ويطلق على هذه الجمعية اسم ((مجلس نيوتن)) هذا المجلس يمثل ((الإرادة الإلهية)) في هذا الكون، ويتصور سان سيمون نفسه رسولاً يوحى إليه بإقامة ديانة جديدة هي ديانة نيوتن، ذلك أنه يعتقد أن نيوتن بمثابة الإله ويذكر دائماً مقولته الشهيرة: إن مجلس نيوتن سوف يمثل الله على الأرض !!! [1].

وبالرغم من أن سان سيمون يؤكد أن المسيحية قد قدمت إلى الأخلاق خدمات جليلة فإنه يصف كافة الأديان ومن بينها الديانة المسيحية بأنها كانت مظهراً شعبياً للعلوم في الماضي. ولما كانت العلوم متخلفة في الماضي فإن الأديان بالتالي كانت متخلفة، ومادام العلم قد تطور فإن الدين ينبغي أيضاً تطويره وتحديثه ليصبح دين العلم أو ((دين نيوتن)). ومن هنا يتضح أن سان سيمون يطالب بوضع ديانة جديدة عن طريق تطوير الديانة المسيحية، وأنه يعتقد بوجود الله الذي خلق العالم وأخضعه لقانون الجاذبية.

2- الاتجاه الوضعي المحدث:

الوضعية المحدثة كاتجاه تسعى جاهدة إلى تأكيد الفكرة القائلة بأن العلم وحده هو الذي يملك الحقيقة، والمقصود بالعلم هنا هو مجموعة العلوم الطبيعية التي تشكل في الواقع نقطة انطلاق أصحاب المدرسة الوضعية المحدثة المتطرفة أو المعتدلة أمثال لندبرج، وأوجبرن.

وأصحاب المدرسة الوضعية المحدثة سعوا بكل جد للبحث عن نظرة موحدة لعالم الظواهر طبيعية كانت أو انسانية، من خلال تطبيق المناهج والنتائج التي تصل إليها العلوم الطبيعية. وقد اعتبر نيكولا تيماشيف أعمال المدرسة الوضعية المحدثة بمثابة محاولة جادة في مشكلة قديمة واجهت علم الاجتماع منذ ظهوره، ألا وهي ارساء الدعائم العلمية لدراسة المجتمع. كما أطلق تيماشيف مصطلح الوضعية المحدثة لأن هناك وضعية قديمة في تاريخ الفكر الاجتماعي منذ كونت وسبنسر. وتقوم الوضعية المحدثة على مجموعة من الركائز هي[2]:

أ- النزعة الكمية: وهي كعنصر من عناصر الوضعية المحدثة ترتكز على اعتبار أن العد والقياس منهج ضروري سواء عند الدراسة أو عند الاستقصاء العلمي في كل مجالات العلم بما في ذلك علم الاجتماع.

ب- النزعة السلوكية: ترتكز السلوكية في الوضعية المحدثة على دعوى تقول أن الشعور لا يمكن معرفته موضوعياً – أي لا يمكن إخضاعه للوسائل الكمية- وكذلك الاستبطان لا يمكن أن يكون مصدراً للمعرفة، ولذلك فمن واجب علم الاجتماع – قياساً على علم النفس- أن يهتم بدراسة السلوك الممكن ملاحظته وإخضاعه لوسائل العد والقياس فقط.

---

[1]- مديحة محمد سيد إبراهيم، **علم الاجتماع الديني**، دار الفكر العربي، دون سنة، دون مكان نشر، ص 174.

[2]- صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص ص 40- 41.

ج- المعرفة ((الابستيمولوجيا)) الوضعية، حيث يجب أن تكون المعرفة أولاً وقبل كل شيء نتيجة مباشرة أو غير مباشرة للانطباعات الحسية وما يترتب عليها، على اعتبار أن حقيقة شيء ما تتوقف بالدرجة الأولى على إمكانية حدوثه كلياً أو جزئياً على هيئة مجموعة من الانطباعات الحسية، أي أن يكون شيئاً واقعاً ملموساً.

ومن أبرز اهتمامات هذه المدرسة في النظرية السوسيولوجية المعاصرة وعلى لسان أعلامها ما يأتي:

أ- جورج لندبرج George Lundberg (1895- 1966): يعتبر جورج لندبرج من أبرز ممثلي الاتجاه الوضعي الحديث الذي يهدف إلى تحديد الاجراءات المنهجية في ضوء الاتفاق والاقتناع الواضحيين على تحديد المفهومات من خلال البحث عن الدلائل التجريبية أو الاحصائية التي تمثل الظواهر الاجتماعية وتصورها في ضوء مجموعة من الاجراءات المحددة...عمل لندبرج في عدة جامعات أمريكية إلى أن شغل منصب أستاذ الاجتماع في جامعة واشنطن التي استمر فيها لسنوات طويلة، وشغل عام 1942 رئيساً للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع، وأصبح أستاذاً لعلم الاجتماع في جامعة بتسبرغ إلى أن توفي عام 1966[1]. وهو من أنصار الوضعية المتطرفة على حد تعبير نيكولا تيماشيف.

دعى لندبرج إلى مناصرة الاتجاه الكمي والتحديد الإجرائي وصوغ التعميمات الكمية. كما كان يكن تقديراً كبيراً لعلم الاجتماع. وتتضح الوضعية في كل كتاباته، وبشكل جلي في كتابه ((علم الاجتماع)) 1954.

وهناك ثلاثة جوانب رئيسية تحدد منهجيته في البحوث الاجتماعية:

- أبرز الأهمية البالغة لصياغة الفروض، فهي تعطي رؤية أو وجهة نظر محددة للبحث، وتفيد في تحديد الاتجاه الذي يتعين على الباحث السير فيه، وإبراز الحقائق التي يتعين التركيز عليها أو التي يجب تجاهلها.

- أبرز لندبرج حقيقة أن كل العلوم بما فيها العلوم الاجتماعية هي أداة أو وسيلة تكيفية، وأن أبرز المفاهيم وربما أهمها مفهوم الطاقة أو الحركة التي تحدد المواقف الاجتماعية وأدوار الأفراد في ضوئها.

- ميله إلى تبني نماذج في العلوم الطبيعية. ولقد أكد لندبرج من خلال مؤلفه الشهير ((البحث الاجتماعي)) على أن القياس الكمي يعد ضرورياً إذا ما أراد العلم أن يقدم وصفاً وتحليلاً أكثر دقة للظاهرة التي يدرسها، هذا فضلاً عن تأكيده على أهمية قياس الاتجاهات وتصميم مقاييسها

ب- ستيوارت دود Stuart Dood: المثل الثاني للوضعية المحدثة المتطرفة. أصدر كتابه ((أبعاد المجتمع)) 1972، وكان الهدف منه إقامة نظرية كمية منظمة للمجتمع أطلق عليها دود نظرية الموقف Situation Theory، وفي ضوء تلك النظرية يحلل دود المواقف ويصنفها إلى أربعة فئات من المكونات تتمثل في الزمان والمكان، وينظر لهما باعتبارهما فئتان على مستوى جميع العلوم، ثم فئة السكان وتمثل العنصر المشترك بين جميع الظواهر الاجتماعية، ثم تأتي أخيراً فئة خصائص السكان Population Characteristics وبيئاتهم وهي فئة شاملة كل شيء آخر. وقد رمز لكل فئة برمز يقابلها. ثم بعد ذلك حاول أن يعبر عن كل موقف اجتماعي بمعادلة كمية تتألف من أربعة مكونات تشير اليها أ**ربعة رموز**(*).

---

[1]- محمود أبو زيد، **أعلام الفكر الاجتماعي والأنثربولوجي الغربي المعاصر**، الجزء 2، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر 2007، ص 120.

(*) **أربعة رموز**: هذه الرموز هي: Time (T) الزمان، Space (L) المكان، Population (P) السكان، Inducator (U) المؤشر والذي بحكم طبيعته يستطيع أن يشير الى أي شيء آخر مثل: الفلسفة البوذية، الرغبة الانسانية...الخ.

وتمثلت الخطوة الثالثة في صياغة دود لنظريته بعد تحديد الرموز والتعبير عن كل موقف اجتماعي بمعادلة كمية في صياغة المصفوفة الارتباطية. هذه المصفوفة بالنسبة لدود أكفأ أداة لوصف الجماعة الانسانية ودراستها، ومن هنا يرى أن نظريته تصلح لعملية التحليل والتنبؤ معاً.

ورغم الجهد العلمي الذي قدمه دود إلا أنه ترك نقطة ضعف في عمله تتمثل في العنصر الرابع الذي يتمثل في الخصائص أو المؤشر الذي يضم كل شيء، وقد أضاف دود بعد ذلك عنصرين آخرين لنظريته تمثل في السلوك أو الفعل، وموضوعات القيمة، وبذلك تصبح نظريته سداسية الأبعاد، ومن ثم اعتبرها مكتملة كما أنه قام بتطبيقها تجريبياً ولما كانت النتائج تؤيد تنبؤاته فقد اعتبرها نظرية اجرائية تستطيع أن تجيب على أسئلته حول الموقف.

ج- وليام أوجبرن William Ogburn: من أنصار الوضعية المعتدلة، قام بعدة دراسات تناول فيها الظواهر الاجتماعية. تبين منها اتجاهه في تلك الدراسات. وتأكيده على معاملات الارتباط بين المظاهر المختلفة لهذه الظواهر. ورغم أن تأكيدات أوجبرن تكشف بصورة واضحة عن اهتمامه بالأمور التكنولوجية والاقتصادية إلا أن مؤلفه الشهير حول ((الآثار الاجتماعية للطيران)) 1946 تمكن علماء النظرية من خلاله اكتشاف اقتراب أوجبرن من الاتجاه الرياضي للوضعية المحدثة، وتأكيده على أهمية اكتشاف المناهج التي تساعدنا في عملية التنبؤ بالتطورات الاجتماعية في المستقبل.

وإن كان ((دون ماتندال)) يرى أن أوجبرن يمثل الجناح السلوكي من الاتجاه الوضعي، فإن تيماشيف يرى أنه يقترب من الجناح الرياضي للمدرسة الوضعية. والشيء الهام في ذلك أنهما يتفقان على أن أوجبرن يمثل الاتجاه المعتدل للوضعية المحدثة[1].

وقد تضمن كتاب أوجبرن حول ((التغير الاجتماعي)) أهم اتجاهاته النظرية، حيث كشف عن أهمية استخدام مصطلح التغير بدلاً من مصطلح التطور الذي شاع استخدامه آنذاك (ما قبل عام 1923). كما أنه لفت الأنظار إلى موضوع الثقافة المتراكمة في المجتمع الانساني، وأوضح الاختلاف بين الثقافة المادية والثقافة غير المادية.

كما أنه حدد أبعاد عملية التخلف الثقافي الناجم عن عدم توافق الجزء اللامادي مع الجزء المادي من الثقافة، حيث أن الأخير يتغير بسرعة تفوق سرعة تغير الجانب المادي الآخر، الذي يترتب عليه حدوث التخلف الثقافي، وبذلك أسهمت نظرية أوجبرن في ايضاح فاعلية العوامل التكنولوجية في عملية التغير الثقافي.

د- ستيوارت تشابين Stuart Chapin: يعتبر شابين من أنصار الوضعية المعتدلة، ويتضح ذلك من خلال أعماله الاجتماعية حول دراسة: ((النظم الأمريكية المعاصرة)) 1935، حيث اعتبر النظم بمثابة أنماط من السلوك البشري، أي شبكة من الاستجابات الشرطية وعادات فردية واتجاهات. ويرى تشابين أن الرسوم البيانية الرمزية تعد وسيلة أساسية من وسائل تحديد النظم، فهي تمكننا من ادراك أنماط العلاقات التي لا يمكننا رؤيتها والتي يؤكد على ضرورة خضوعها للقياس، ولذلك اعتمد في مؤلفه على الرسوم البيانية بشكل واضح، وبذل جهداً في تصميم مقاييس لدراسة السلوك المنتظم في سياق دراسته للمكانة الاجتماعية والشخصية وغيرها من النظم الاجتماعية.

---

[1]- السيد علي شتا، مرجع سابق، ص 359.

وقد تحددت معالم الاتجاه الوضعي لدى تشايبين باستعانته بالاتجاه التجريبي، أي باستخدام المنهج التجريبي والذي يشير إلى استخدام التجربة العلمية في دراسة الظواهر الاجتماعية...كما أنه وافق أنصار الوضعية المحدثة فيما يتعلق بالتأكيد على أهمية التعريفات الاجرائية في العلوم الاجتماعية[1].

هـ- جورج زيف George Zipf: من المهتمين بالجانب الرياضي وعلاقته بالنظرية السوسيولوجية، ومن الذين أرسوا دعائم الاتجاه لاستخدام النماذج الرياضية في علم الاجتماع. ولما كانت المقاييس الاجتماعية هي أكثر الأعمال تناولاً للسلوك البشري فقد عكف عليها زيف بالتناول والتحليل الدقيق بحثاً عن أبعاد التكامل النظري بين تلك المقاييس الاجتماعية، وهذا ببحث أبعاد التكامل فيما بينها في فهم السلوك الاجتماعي بمسلمة مشتقة من الاستدلال الرياضي يفترض أنها تحكم سلوك الأفراد والجماعات الاجتماعية.

وتتمثل هذه المسلمة التي استند إليها في نظريته في ((مبدأ الاقتصاد في الجهد)) والذي يشير إلى أنه في المواقف التي تتوفر فيها بدائل معينة يكون الأفراد مضطرين لاختيار اجراءات وأساليب تؤدي بهم إلى ((بذل أقل معدل من الجهد المحتمل)). أي أن الانسان يسعى إلى تقليل الطاقة المبذولة. ومع ذلك فإن زيف واجه مشكلات عديدة في تطبيق معادلته.

و- نيكولا رشفسكي Nicola Rashevsky: من الذين دعموا الاتجاه الرياضي في علم الاجتماع، وهذا من خلال مؤلفه حول ((النظرية الرياضية للبشر)) 1974، والذي يؤكد فيه على أن معالجة الظواهر الاجتماعية المعقدة أمر ممكن إذا ماحددنا بطريقة تخيلية حالات وغايات ومواقف في غاية الوضوح والبساطة، وذلك يشير إلى أنه يؤكد على الجانب التحليلي العقلي.

3- الاتجاه التفاعلي الرمزي:

تعتبر التفاعلية الرمزية واحدةٌ من المحاور الأساسيةِ التي تعتمد عليها النظرية السوسيولوجية في تحليل الأنساق الاجتماعية. وهي تبدأ بمستوى الوحدات الصغرى (Micro)، منطلقة منها لفهم الوحدات الكبرى، بمعنى أنها تبدأُ بالأفراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي[2]. فأفعال الأفراد تصبح ثابتةً لتشكل بنية من الأدوار ويمكن النظر إلى هذه الأدوار من حيث توقعات البشر بعضهم تجاه بعض من حيث المعاني والرموز، وهنا يصبح التركيز

إما على بُنى الأدوار والأنساق الاجتماعية، أو على سلوك الدور والفعل الاجتماعي. إذن فالتفاعلية الرمزية تركز اهتمامها على دراسة التفكير وعملياته.

إن أصحاب النظرية التفاعلية يبدءون بدراستهم للنظام التعليمي من الفصل الدراسي (مكان حدوث الفعل الاجتماعي). فالعلاقة في الفصل الدراسي والتلاميذ والمعلم، هي علاقة حاسمة لأنه يمكن التفاوضُ حول الحقيقة داخل الصف، إذ يُدرك التلاميذ حقيقة كونهم ماهرين أو أغبياء أو كسالى. وفي ضوء هذه المقولات يتفاعل التلاميذ والمدرسون بعضهم مع بعض، حيث يحققون في النهاية نجاحاً أو فشلاً تعليمياً[1].

ومن مصطلحات الاتجاه التفاعلي الرمزي:

أ- التفاعل Interaction: وهو سلسة متبادلة ومستمرة من الاتصالات بين فرد وفرد، أو فرد مع جماعة، أو جماعة مع جماعة.

---

[1]- المرجع نفسه، ص ص 360-361.

[2]- فادية عمر الجولاني، **علم الاجتماع التربوي**، مركز الإسكندرية للكتاب،مصر1997، ص 215.

[1]- إيان كريب، **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**، ترجمة محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، ع (244)، الكويت 1999، ص 128.

ب- المرونة Flexibility: ويقصد بها استطاعة الإنسان أن يتصرف في مجموعة ظروف بطريقة واحدة في وقت واحد، وبطريقة مختلفة في وقت آخر، وبطريقة متباينة في فرصة ثالثة.

ج- الرموز Symbols: هي مجموعة من الإشارات المصطنعة، يستخدمها الناس فيما بينهم لتسهيل عملية التواصل، وهي سمة خاصة في الإنسان. وتشمل عند جورج ميد اللغة، وعند بلومر المعاني، وعند جوفمان الانطباعات والصور الذهنية[2].

د- الوعي الذاتي Self-Consciousness: وهو مقدرة الإنسان على تمثل الدور، فالتوقعات التي تكون لدى الآخرين عن سلوكنا في ظروف معينة، هي بمثابة نصوص يجب أن نعيها حتى نمثلها، على حدّ تعبير جوفمان[3].

ولعل أبرز ممثلي الاتجاه التفاعلي الرمزي:

أ- جورج هربرت ميد George H. Mead (1863-1931): عالم اجتماع أمريكي تأثر بالفلسفة البرغماتية، استطاع في محاضراته التي كان يلقيها في جامعة شيكاغو، على طول الفترة من (1894-1931) أن يُبلور على نحو متقن الأفكار الأساسية لهذا الاتجاه، وقد جمع له تلاميذه كتابا بعد وفاته، يحتوي على معظم أفكاره التي كانوا يدونوها في محاضراته، تحت عنوان: (Mind, Self and Society) 1934.

ويعتبر ميد أن التنشئة الاجتماعية نتاج عملية التفاعل أولا مع الآخر ذي الدلالة ثم مع الآخر العام: فالطفل في مرحلة الأولى يعيد إنتاج داخل ألعابه سلوكيات محددة ثم في مرحلة ثانية يمكنه وهو يلعب وحده إبداع الدور الذي يختاره والتعبير عنه كما يفهمه، بمعنى أن الطفل في الفترة الأولى يختار أدواراً معينة برغبة منه، سواء وحده أو مع غيره، مثلاً كدور أمه أو أبيه أو بطل أو شرطي...فيقوم بهذه الأدوار عن طريق حركات رمزية محددة وكأنه يستبطن في داخله أدوار غيره، هذا اللعب الحر هوالذي يؤهله في الدخول على المرحلة الثانية والتي يسميها ميد "دلالات الآخر Les autres signifisatifs" أو الآخر ذو المعنى.

ثم ينتقل الطفل من اللعب الحر على اللعب المنظم، فمثلاً حين يريد الطفل لعب كرة القدم يجب احترام قواعد معينة وأخذ أدوار ومواقع محددة بدقة إلى حد ما، وعلى كل فرد في الفريق احترام مكانه وتموقعه داخل الملعب، فكل عنصر في الفريق له علاقة بما يطلق عليها جورج ميد الآخر المعمم أو الآخر العام L'autrui généralisé، فمعرفة القواعد وكل دور خاص بكل فرد داخل الفريق من طرف زملائه في الفريق، يجعل من كل واحد يرتبط من خلال علاقة الآخر[1].

ومن هنا فإن التنشئة الاجتماعية عند ميد عبارة عن بناء للذات من خلال احتلال أدوار مختلفة باستمرار، فهي تدل على أن الفرد يمكن أن يكون الموضوع والمضمون في آن واحد Sujet et Objet فالأنا تتضمن مواقف المجموعة "الآخر العام" إضافة إلى السمات والعادات الخاصة بالمعني أي البعد الاجتماعي لشخصية الفرد للفرد، لكن "الذات" (Le Je) تمثل عكس ذلك الجانب الفرداني للشخصية وتشعره بنوع من الحرية والتذمر ومن ثم مخالفة. ومن هنا يقع بين مد وجزر، ومن خلال هذا البناء للهوية تظهر سلوكيات مختلفة عن بعضها، كلما زاد التفاعل بين الأنا والذات زاد التفاعل بين الفرد والمجموعة[2].

---

[2]- علي عبد الرزاق جلبي، **الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1993، ص 237.

[3]- إيان كريب، مرجع سابق، ص 137.

[1]- عبد العزيز خواجة، **علم الاجتماع المعاصر من الجذور إلى الحرب العالمية الثانية**، دار الألباب، غرداية، الجزائر 2007 ،ص 161.

[2]- عبد العزيز خواجة، **مبادئ في التنشئة الاجتماعية**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر 2005، ص ص 100- 101.

ويرى ميد أن الذات تنبثق وتنمو في الوسـط الاجتماعي من خلال عملية التفاعل الاجتماعي (وهو هنا يشـارك ماركس في أسـبقية الوجود الاجتماعي على الوعي بشـكل ما)، ويبدأ الفرد في التعرف على ذاته من خلال آراء الآخرين فيه في سـنوات حياته المبكرة وتحديداً من خلال عملية اللعب التي يقوم خلالها محاولاً تقمص العديد من الأدوار المختلفة، فمسـألة القيام بدور ما لا تتطلب معرفة الدور فقط بل ما يتوقعه الآخرون من هذا الدور أيضـاً، ومن خلال أول كتابه والذي جمع بعد وفاته سـنة 1934 L'esprit, le soi et la société أول عالم اجتماع يعمل على تطوير النظرية الخاصة بالتنشئة الاجتماعية وصلبها[3].

ب- هربرت بلومر Harbert Blumer (1900-1986): يتفق مع ميد في أن التفاعل الرمزي هو السـمة المميزة للتفاعل البشـري، وأن تلك السمة الخاصة تنطوي على ترجمة رموز وأحداث الأفراد وأفعالهم المتبادلة.

وقد أوجز فرضياته في النقاط التالية:

- إن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء بالنسبة إليهم.
- هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي الإنساني.
- هذه المعاني تحوّرُ وتعدّل، ويتم تداولها عبر عمليات تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهُها.

أما عن الإضـافة التي قدمها بولمر للتفاعلية الرمزية هي: أنه لم يحدد عملية التفاعل ولم يحصـرها بالأفراد فقط، بل يرى حدوثها بين (الأفراد، المؤسسات، المنظمات، الجماعات المحلية، الطبقات)[4].

ج- إرفنج جوفمان Erving Goffman (1922-1982): وجه اهتمامه لتطوير مدخل التفاعلية الرمزية لتحليل الأنسـاق الاجتماعية، مؤكداً على أن التفاعل – وخاصـة النمط المعياري والأخلاقي- ما هو إلا الانطباع الذهني الإرادي الذي يتم في نطاق المواجهة، كما أن المعلومات تسهم في تعريف الموقف، وتوضيح توقعات الدَور. ولعل من أشهر كتبه ((تقديم النفس في الحياة اليومية The Presentation of Self in Everday life)) 1971، ففي هذا الكتاب يقوم بعمل وصفي محض، وتصنيف لوسائل لعب الأدوار وإستراتيجيتها[1].

د- فيكتور تيرنر: الذي لا يقل أهمية عن المؤسسين الذين سبقوه، حيث ألف كتاب (غابة الرموز)، حيث يعتقد أن الإنسان محاط بغابة من الرموز التي اختبر وجرب معانيها خلال فترة حياته، ولقد وضع فيكتور تيرنر مسلمات من أهمها مايلي:

- أننا محاطون بمئات الأشياء المادية وغير المادية.
- عن طريق اللغة والذات تختبر هذه الأشياء ونجربها.
- بعد الاختبار تتحول الأشياء إلى رموز.
- الرموز تقيم بالنسبة لنا على أنها رموز ايجابية أو رموز سلبية.
- تفاعلنا مع الرموز الايجابية يكون قوياً، أما تفاعلنا مع الرموز السلبية يكون ضعيفاً.
- الرمز الذي نعطيه لأي شيء هو الذي يحدد صورة التفاعل بيننا وبين الرمز.

---

[3]- المرجع نفسه، ص ص 96-97.

[4]- إيان كريب، مرجع سابق، ص 119.

[1]- المرجع نفسه، ص 122.

ومن أعلام ومؤسسي الاتجاه التفاعلي الرمزي نجد:

أ- في مرحلة النشأة:

- وليام جيمس Willam James (1842- 1910): من الذين ساهموا في تطوير علم النفس الاجتماعي في أمريكا، حاول تحديد عدة مفاهيم تخدم الاتجاه التفاعلي الرمزي منها: العادة، والغريزة، الذات، الشعور أو الوعي.

- تشارلز هورتن كولي C.H. Cooly (1864- 1929): من المتأثرين بالاتجاه التطوري أي تطور الكائن الاجتماعي أو الذات الاجتماعية التي يرى أنها تمر بثلاث مراحل في تطورها هي: مرحلة الإخراج، والمرحلة الذاتية، والمشروعية Projective.

- وليام اسحاق توماس W. I. Thomas (1863- 1947): من المتأثرين بالاتجاه البراغماتي، حاول الربط بين الأسس البيولوجية والاجتماعية للسلوك في مفهوم واحد حدده في الغرائز.

- جون ديوي J. Dewey (1859- 1952): عالم نفس وفيلسوف ساهم في تطوير التفاعلية الرمزية، وجه عدة انتقادات لنظريات الدافعية لتجاهلها دور التفاعل الاجتماعي في السلوك الانساني.

ب- المرحلة المعاصرة:

- مانفرد كون Manferd Kuhn (1911-1963): عالم اجتماع أمريكي، ومن رواد مدرسة (آيوا) للتفاعلية الرمزية. وترتكز التفاعلية الرمزية لديه في مفهومات الذات واكتساب الدور.

إن الاتجاه التفاعلي الرمزي لا يقدم مفهوماً شاملاً للشخصية، فأصحابه النظرية وعلى رأسهم بلومر يقرّون بأن هذا الاتجاه يجب ألا يشغل نفسه بموضوع الشخصية كما ينشغل بها علم النفس، وهذا سبب واضح، ومبرر جوهري على قلة الاستفادة من هذه الاتجاه خاصة في الميدان التربوي، على الرغم من وجود بعض الأبحاث القليلة المنشورة هنا وهناك. كما أن التفاعلية الرمزية أغفلت الجوانب الواسعة للبنية الاجتماعية، لذلك نجدها لا تستطيع قول أي شئ عن ظواهر اجتماعية كالقوة والصراع والتغير، وأن صياغتها النظرية مغرقة في الغموض، وأنها تقدم صورة ناقصة عن الفرد. كما أنها تفتقد الصرامة العلمية ولا تستخدم الاستنباط المنطقي، بل تقدم سلسلة من الأفكار التي يمكن للباحث أن يوظفها في عمله بصفتها توجيهات عامة، كما أنها تقدم للباحث أثناء توظيفها في عمله تفسيرات منخفضة نسبياً[1]. وتختص في دراسة الأفراد، وتحديداً بالفعل الاجتماعي، وبالرغم من وصف بول روك Paul Rock 1979 بالغموض المتعمد، وقد اعتمدت على إلقاء محاضرات جامعية شفاهية أكثر من اعتمادها على شكل كتب مدرسية معتمدة، لكن في الوقت ذاته يعتقد أصحاب النظرية الوظيفية أن النظرية التفاعلية الرمزية أكثر النظريات قوة من الناحية البحث التجريبي[2].

4- الاتجاه البنائي الوظيفي:

في الحقيقة أن فكرة البناء الاجتماعي ليست فكرة حديثة العهد بل أنها تمتد إلى منتصف القرن التاسع عشر عندما ظهرت في كتابات مونتسكيو وحينها، ظهرت فكرة النسق الاجتماعي على أساس أن مظاهر الحياة الاجتماعية تؤلف فيما بينها وحدة متماسكة

---

[1]- المرجع نفسه، ص 114.

[2]- المرجع نفسه، ص 117.

متسقة وذلك عندما تحدث مونتسكيو عن القانون وعلاقته بالتركيب السياسي والاقتصادي والدين والمناخ وحجم السكان والعادات والتقاليد...وغيرها مما يشكل في جوهره فكرة البناء الاجتماعي[3].

ويمكن تحديد الخصائص المميزة للاتجاه الوظيفي فيمايلي[4]:

أ- النظر إلى المجتمع في ضوء مفهومي البناء من ناحية، والوظيفة من ناحية أخرى. على اعتبار أن هذا البناء يتكون من عناصر أو أجزاء كل منها يكون له دور ويطلق على هذا البناء اسم النسق. ويكون لهذا النسق وظيفة عامة يؤديها. ومن هنا جاءت تسميته بالاتجاه البنائي الوظيفي أو اتجاه الأنساق.

ب- وصف الحدود القائمة بين الأنساق الاجتماعية وغيرها من الأنساق الأخرى كالنسق الثقافي والنسق البيولوجي ونسق الشخصية. حيث أن كل منهما يقوم بأداء وظائفه مما يجعلها تتكامل.

ج- التصور أو الوصف المجرد للوحدات البنائية الكبرى في النسق الاجتماعي باعتبارها تكون باستمرار في حالة توازن، وإذا ما تعرض هذا التوازن للتغير سرعان ما تتساند تلك الوحدات أو الأجزاء التي يتكون منها النسق من أجل اعادته إلى حالة التوازن التي كان عليها من قبل.

د- الاهتمام بشروط النسق وتكامله وفاعليته باعتباره نسقاً مجرداً.

هـ- أن لهذا النسق أربعة ملزمات وظيفية هي: تكيف النسق مع غيره من الأنساق الأخرى، وتكيف النسق مع البيئة المحيطة، ثم بلوغ النسق أهدافه، وأخيراً المحافظة على ثبات النسق وتكامله.

والجدير بالذكر أن الاتجاه الوظيفي يمكن أن يساعدنا على إلقاء الضوء على الوظيفة الاجتماعية لظاهرة تبادل الهدايا في تحقيق المزيد من التماسك الاجتماعي وفيما تتمتع به من خاصية الإلزام[1]. فأي عادة اجتماعية يمارسها الناس بصورة جماعية لابد أن يكون لها وظيفة تقوم بها و إلا لما وجدت هذه الظاهرة، فالعادات الاجتماعية ولتكن تقديم الهدايا في عيد الأم، أو للزوجة في المناسبات الأسرية أو لأفراد الأسرة في حالات الزواج له آثار في المجتمع وتتمثل هذه الآثار في تعزيز الترابط بين أفراد المجتمع وتقوية التماسك الاجتماعي.

إن ظهور المدرسة الوظيفية عند بعض رواد علماء الاجتماع الغربيين ما لبث أن انتقل إلى العالم الجديد وبالتحديد إلى المجتمع الأمريكي، حيث عرفت الوظيفية أوج نموها بين العديد من علماء الاجتماع الأمريكي فيما بين الخمسينات 1956، والسبعينات 1975 من القرن العشرين، إذ أصبحت هذه المدرسة تتمتع بسلطة لا تضاهي في هذه الفترة بالذات، أي أنها كانت سيدة الموقف كنظرية سوسيولوجية معاصرة والأكثر انتشاراً.

ويمكننا أن نتعرف على هذا الاتجاه أكثر من خلال رواده وهم:

أ- إيميل دوركايم Emile Durkheim (1858-1917): عالم اجتماع فرنسي من ممثلي المدرسة الوظيفية الفرنسية، بلغت الفكرة الوظيفية ذروتها في تفكيره، وبخاصة في مواجهة موضوع الحقائق الاجتماعية التي تمتاز بعموميتها وقدرتها على الانتقال من جيل لآخر

---

[3]- إسماعيل زكي محمد، **الانثروبولوجيا والفكر الإنساني**، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة 1982، ص 228.

[4]- السيد رشاد غنيم وآخرون، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2008، ص ص 18- 19.

[1]- ابراهيم فتحية، مصطفى الشنواني، **مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان "الانثروبولوجيا"**، دار المريخ للنشر ، الرياض 1988، ص 26.

وقدرتها على فرض نفسها على المجتمع. والنظم الموجودة في المجتمع من سياسية واقتصادية وقانونية وغيرها تؤلف بناء له درجة معينة من الثبات والاستمرار.

ومن اسهامات دوركايم في تأسيس البنيوية الوظيفية:

– إن اهتمام دوركايم بالوقائع الاجتماعية جعله يهتم أيضاً بالأجزاء المكونة للنسق الاجتماعي من جهة وعلاقات الأجزاء ببعضها البعض ومن ثم تأثيرها على المجتمع. ففي حديثه عن الوقائع الاجتماعية وجد نفسه مضطراً لإعطاها أهمية كونها تندرج في إطار في بنى ومؤسسات سعى دوركايم إلى البحث عنها.

– اعتنى دوركايم كثيراً بالبنى والوظائف وعلاقاتها بحاجيات المجتمع. وهذا يعني اهتمامه بالبنية والوظيفة كعنصرين هامين في التحليل السوسيولوجي.

– تمييزه بين مفهومين هما:" السبب الاجتماعي" و "الوظيفة الاجتماعية". إذ أن دراسة السبب الاجتماعي سيعني الاهتمام بمبرارات وجود البنية. أما دراسة "الوظيفة الاجتماعية" فستعني الاهتمام بحاجيات المجتمع الكبيرة وكيفية تلبيتها من طرف بنية معينة.

– رفض دوركايم رفضاً قاطعا ًفكرة اسطورية الدين، وأكد في المقابل على أنه ظاهرة عالمية وبالتالي لابد وأن تكون له وظيفة في المجتمعات البشرية.

– مفهوم الوظيفة عند دوركايم يتمثل في وظيفة العناصر الاجتماعية في مساهمتها في الحفاظ على مجرى الحياة في المجتمع. فالثقافة هي التي تمثل جانباً من العناصر الاجتماعية فتشمل اللغة، العادات، والتقاليد، والعقائد الدينية، القيم الثقافية، وكل هذه العناصر تمثل مؤسسات اجتماعية لها وظيفتها ولا يمكن الاستغناء عنها لأهميتها في مجرى الحياة الاجتماعية ولكونها تشكل العناصر البنيوية في المجتمع.

ب– راد كليف براون Radcliffe-Brown (1881– 1955): عالم انثربولوجي بريطاني يرى أن البناء يتألف من كائنات إنسانية وأن كلمة "بناء" تشير بالضرورة إلى وجود نوع من التنسيق والترتيب بين "الأجزاء" التي تدخل في تكوين "الكل" الذي نسميه "بناء"، وكذلك يوجد روابط معينة تقوم بين هذه "الأجزاء" التي تؤلف "الكل" وتجعل منه بناء متماسك متمايز. وبمقتضى هذا الفهم تكون "الوحدات الجزئية" الداخلة في تكوين "البناء الاجتماعي" هي "الأشخاص" أي أعضاء المجتمع الذي يحتل كل منهم مركزاً معيناً ويؤدي دوراً محدداً في الحياة الاجتماعية. فالفرد لا يعتبر جزءاً مكوناً في البناء ولكن أعضاء المجتمع من حيث هم "أشخاص" يدخلون كوحدات في هذا البناء ويدخلون في شبكة معقدة من العلاقات. فرادكليف براون يستخدم مفهوم البناء الاجتماعي بمعنى واسع لأنه يدخل فيه كل العلاقات الثنائية التي تقوم بين شخص وآخر مثل العلاقة بين الأب والابن أو العلاقة بين الشعب والدولة وغيرها.

ويرى راد كليف براون كذلك أن البناء الاجتماعي ليس إلا مجموعة من "الأنساق الاجتماعية"، والأنساق هي الأجهزة أو النظم التي تتفاعل فيما بينها داخل إطار البناء الكلي الشامل. والنسق عبارة عن عدد من النظم الاجتماعية التي تتشابك وتتضامن فيما بينهما في شكل رتيب منظم. كما أن النظام عبارة عن قاعدة أو عدة قواعد منظمة للسلوك يتفق عليها الأشخاص وتنظمها الجماعة داخل البناء.

ويرى راد كليف براون أن علاقة النظم بالبناء علاقة ذات شطرين:

– علاقة النظام بأفراد الجماعة داخل البناء الاجتماعي.

– علاقة النظام بسائر النظم الأخرى التي تتعلق بالنسق وبالبناء الاجتماعي.

فمثلاً النســـق القرابي يتألف من عدد من النظم المتعلقة به كنظام التوريث والنظام الأبوي والنظام الأموي وهكذا. ومن مجموعة الأنساق القرابية والاقتصادية والسياسية والعقائدية وغيرها يتألف البناء[1].

ج- ايفانز بريتشارد Evans-Pritchard (1902- 1973): انثربولوجي بريطاني من مؤسسي الانثربولوجيا السياسية، يقف موقف المعارضـــة من رادكليف براون ويرى أن العلاقات الاجتماعية التي تتميز بالثبات والاســـتقرار هي التي تدخل في البناء، واســـتبعد العلاقات الثنائية التي ذكرها رادكليف براون. فالعلاقة الثنائية علاقة طارئة مؤقتة قد تنتهي بموت أحد الطرفين. ويستبعد ايفانز برتشارد أيضاً من البناء الزمر الاجتماعية الصـــغيرة مثل الأســـرة التي تتكون من جيلين لأنها لا تلبث أن تختفي كوحدة بنائية متمايزة. أما الذي يدخل في البناء بالنسبة له فهو الجماعات الكبيرة المتماسكة الدائمة كالقبائل والعشائر التي تستمر في الوجود أجيالاً طويلة رغم ما يطرأ على مكوناتها من تغيرات. فالبناء عند ايفانز برتشارد يتألف من العلاقات الدائمة التي تقوم بين جماعات من الأشخاص الذي يرتبطون بعضهم ببعض ارتباطاً وثيقاً منظماً.

يرى راد كليف براون أن فكرة الوظيفة التي تطبق على النظم الاجتماعية تقوم على المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة البيولوجية، فالوظيفة هي الدور الذي يؤديه أي نشاط جزئي في النشاط الكلي الذي ينتمي إليه. وهكذا تكون وظيفة أي نظام اجتماعي هي الدور الذي يلعبه في البناء الاجتماعي الذي يتألف من أفراد الناس الذين يرتبطون ببعضـــهم البعض في كل واحد متماســـك عن طريق علاقات اجتماعية محددة[1].

د- فرديناند تونيز Ferdinand Tönnies (1855- 1936): عالم اجتماع ألماني درس بجامعة ستراسبورغ، اهتم بالفلسفة الاجتماعية والســـياســـية، وبمؤلفات هوبز وماركس وســـبينوزا، واهتم أيضـــاً بدراســـة ما يســـمى بالجماعة Communauté، والعادات Les Coutumes...الخ، من مؤلفاته: العشيرة والمجتمع 1887.

شرح مبدأين مهمين من مبادئ علم الاجتماع هما:

- مبدأ الكمنشافت Gemainschaft، أي مبدأ المجتمع المحلي، الريفي غير تعاقدي.
- مبدأ الكزلشافت Geseslchaft، أي مبدأ المجتمع الحضري التعاقدي.

يحدد تونيز خصـــائص المجتمع المحلي في أنه يقوم على العلاقات الأولية والحياة المشـــتركة التي تجمع بين أفراده معاً، وكذلك الفهم المشترك والمتبادل فيما بينهم جميعاً، فحياة الأسرة تكون على سبيل المثال بمثابة النموذج الأصلي لما يعنيه تونيز بمصطلح المجتمع المحلي، وهي التي تتميز بعلاقات المواجهة المباشـرة، والفهم المتبادل حيث تسـيطر على حياة المجتمع المحلي الريفي علاقات القرابة، ومن ثم ينظر إليه على أن جميع أفراده إنما يشتركون بصفة عامة في هذه الخصائص، أي أن التجمع إنما يقوم على أساس العلاقات العضوية التي تقوم على عواطف تلقائية وطبيعية، وهكذا يســود هذا النوع من المجتمعات قانون التجمع الطبيعي والملكية المشـتركة وقانون العرف العائلي، بينما يقوم المجتمع على علاقات عقلية بين إرادة مفكرة مدبرة ولا يقوم على قانون العواطف والمشـاعر بل بناء على نوع من التعاقد Contrat حيث تسـيطر عليه علاقات أكثر سطحية وغير مباشرة، كما يتميز هذا المجتمع بالفردية[2].

---

[1]- إسماعيل زكي محمد، مرجع سابق، ص 235.

[1]- عاطف وصفي، **الانثروبولوجيا الاجتماعية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1977، ص 47.

[2]- السيد رشاد غنيم وآخرون، مرجع سابق، ص ص 26-27.

هـ- روبرت ميرتون Robert Merton (1910-2003): عالم اجتماع أمريكي، عرف الوظيفة على أنها تلك النتائج أو الآثار التي يمكن ملاحظتها والتي تؤدي إلى تحقيق التكيف والتوافق في نسق معين[3]. والوظيفة قد تكون ظاهرة أو كامنة أي ليس بالضرورة أن يكون لكل ظاهرة وظيفة أو وظائف واضحة أو مقصودة.

قسم ميرتون الوظائف في المجتمع إلى نوعين:

- الوظائف الظاهرة: وهي التي ترمي إلى تحقيقه التنظيمات الاجتماعية. مثلاً بأن تكون الجامعات مخصصة للدراسة والبحث العلمي والخدمة الاجتماعية.
- الوظائف غير الظاهرة: وهي التي لا تأخذ التنظيمات الاجتماعية بالحسبان تحقيقها أو العمل لأجلها، كأن تمارس الجامعة وظائف سياسية أو اقتصادية أو تمثل فضاءات اجتماعية للتسلية والترفيه واضاعة الوقت أو تحقيق مكانات اجتماعية...الخ.

ويعد مقال روبرت ميرتون "Toward the codification of Functional analyes in Sociology" أهم نقد وجه للبنيوية الوظيفية في علم الاجتماع. حيث ينتقد ميرتون ثلاث مسلمات يتصف بها التحليل الوظيفي:

- الوحدة الوظيفية للمجتمع: ترى هذه المسلمة أن كل العقائد والممارسات الثقافية والاجتماعية تؤدي وظيفة واحدة لكل من الأفراد والمجتمع. كما تعتقد أن أجزاء النسق الاجتماعي تتمتع بدرجة عالية من التكامل. وفي هذه النقطة بالذات يشير ميرتون إلى صحتها ولكن بالنسبة للمجتمعات البدائية الصغيرة وليس بالنسبة للمجتمعات الكبيرة المعقدة. لذا ينبغي عدم تعميم هذه المسلمات.
- الوظيفية الشاملة : تعني هذه المسلمة أن كل الأشكال والبنى الثقافية والاجتماعية في المجتمع تقوم بوظائف ايجابية ويرى ميرتون أن هذا قد يكون مخالفاً لواقع الحياة إذ ليس بالضرورة أن تكون كل بنية أو تقليد أوعقيدة تتصف بوظائف ايجابية.
- ضرورة وجود الأجزاء: ترى هذه المسلمة أن الأجزاء المكونة للمجتمع لا تقوم بوظائف ايجابية فحسب بل هي تمثل عناصر ضرورية لعمل المجتمع ككل. وهذا يعني أن البنى الاجتماعية والوظائف ضرورية بالنسبة لمسيرة المجتمع الطبيعية أي أنه ليس هناك بنى ووظائف أخرى قادرة على القيام بمسيرة المجتمع كالوظائف القائمة الآن. وحسب ميرتون المتأثر بأستاذه بارسونز لابد من الاعتراف بوجود عدة بنى ووظائف داخل نفس المجتمع.

و- تالكوت بارسونز Talcott Parsons (1902-1979): عالم اجتماع أمريكي، درس بمدرسة لندن الاقتصادية وبجامعة هيدلبرغ، وكان عضو بكلية جامعة هارفارد من 1927 إلى 1974، وهو من أنصار النظرية الوظيفية وواحد من مؤسسي مدرسة العلاقات الاجتماعية، ومن أشهر مؤلفاته:((بنية الفعل الاجتماعي))، وقد كانت أفكاره السوسيولوجية ترتكز على فكرتين هامتين أولاً النسق الاجتماعي، وثانياً النسق السياسي.

وتجدر الإشارة إلى أن آراء بارسونز السياسية لا يمكن فصلها بسهولة عن أفكاره وتصوراته الاجتماعية أو السوسيولوجية العامة، وخاصة أن بارسونز كان يسعى لوضع نظرية سوسيولوجية شاملة وهي نظرية الأنساق الاجتماعية.

3- نيكولا تيماشيف، **نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها**، ترجمة محمود عودة وآخرون، دار المعارف، دون مكان وسنة النشر، ص 331.

ويعد بارسونز أشهر عالم اجتماعي وظيفي في الولايات المتحدة الامريكية والعالم الغربي على العموم. وعلى امتداد أكثر من نصف قرن من الكتابة والبحث استطاع بارسونز طبع علم الاجتماع بتحليلاته الوظيفية، وأكبر مساهمة جاء بها بارسونز في علم الاجتماع هي تركيزه في التحليل السوسيولوجي على المجتمع ككل. ويرى أن هذا التركيز يساعد عالم الاجتماع على تحاشي الاهتمام بدراسة مواضيع معزولة مثل جنوح الأحداث أو المشاكل العائلية. ويعتقد أنه يجب دراسة تلك القضايا في اطار عمل النسق الاجتماعي ككل. ويلاحظ أن الرؤية الوظيفية تبدأ من الكلي وتتجه نحو الأحداث. فعندما نرى جزئية في المجتمع فإننا سنحاول تفسيرها وليس العكس بأن نفسر المجتمع من خلال جزيئاته. وفي توجهاته النظرية يتشابه بارسونز مع كارل ماركس في هذه النقطة بالذات أي أن كلا منهما يركز تحليله على المجتمع ككل وهذا واضح في كتابات كارل ماركس الذي انطلق من المجتمع في طبيعته، من الناس ومن المجتمع ككل. لذا نرى بارسونز أيضاً يتبنى منهج كارل ماركس الذي انطلق من الكل لتحليل الجزئيات.

ولو أخذنا الأسرة كنموذج لدراساته ووظيفتها في الاستقرار الاجتماعي فسنرى كيف يبين لنا بارسونز أن للأسرة النووية الأمريكية وظيفتين هما:

- التنشئة الاجتماعية للأجيال الجديدة، فلكي يقع دمج هذه الأجيال بالمجتمع الكبير ينبغي عليها أن تتعلم القيم الاجتماعية والثقافية والأنشطة والمهارات الاجتماعية لمجتمعها.
- تعمل الأسرة النووية بنظر بارسونز على تمكين شخصية الكهول من الاستقرار. فالعمل والعلاقات الخارجية عن الأسرة في المجتمع يمكن أن تكون صعبة ومصدراً للضغوطات على الأفراد والكهول ومن ثم يعتقد بارسونز أن وظيفة الأسرة الحديثة تتمثل في التقليل من درجة التوتر الناتج عن المحيط الخارجي للأسرة وهكذا تحافظ الأسرة النووية على توازن واستقرار شخصية الكهول وهو ما لم تعد توفره الأسرة الممتدة في المجتمع الصناعي.

ن- جورج زيمل Georg Simmel (1858- 1918): فيلسوف وعالم اجتماع ألماني، اهتم بدراسة التفاعل الاجتماعي وانعكاساته في حقلي المكروسوسيولوجي، وديناميكية الجماعة، و أهتم بتحليله العلمي للمجتمع، من مؤلفاته: فلسفة النقود 1900، الذي أوضح فيه آثار الاقتصاد النقدي في المجتمع.

اصطنع مدخلاً جديداً لمعالجة طبيعة المجتمع، من مفهومات العلاقة والوظيفة حيث يرى أن المجتمع ذو وظيفة ظاهرة في دينامية العلاقات بين الأفراد وفي التفاعل بين عقولهم. ولذلك عرف المجتمع على أنه عدد من الأفراد يرتبطون فيما بينهم بالتفاعل، أو المجوع الكلي لتلك التفاعلات. أو بمعنى آخر المجتمع عبارة عن مجموع تلك الأشكال من العلاقات التي يتحول الأفراد بفضلها، ولذلك ميز زيمل بين نوعين من المجتمعات هما المجتمع المحلي الريفي، والمجتمع المحلي الحضري من خلال مقارنته بين حياة المدينة وحياة المدينة الكبيرة. أو ما يعرف بالمجتمع المحلي والمجتمع من خلال التحليل الذي قدمه بين الجماعات الصغيرة Small Group وغيرها من الجماعات الكبيرة[1].

وفي هذا الصدد نجد تشابهاً بين تحليل كل من زيمل وتونيز في تأكيدهما على أن علاقات الأفراد في حياة المدينة الصغيرة تكون شخصية في حين أنها غير شخصية في المدينة الأم. وينتهي زيمل من تحليلاته المختلفة إلى أن هناك نوعين من المجتمعات لكل منهما خصائصه التي تميزه

[1]- السيد رشاد غنيم وآخرون، مرجع سابق، ص ص 28- 29.

عن غيره، حيث يتميز المجتمع الأول بالتفاعل المباشر بين أعضائه، والحجم محدداً نسبياً في حين تزداد العلاقات الاجتماعية تعقيداً بين الجماعات الكبيرة.

جاء زيمل **بعلم اجتماع الشكلي**(*)، والذي التزم فيه برؤية تفاعلية عن المجتمع، وعلمي اجتماعه التاريخي والفلسفي وفيهما كان أكثر ميلاً لأن يرى المجتمع كبناء اجتماعي مستقل وقاهر. وفي علمي اجتماعه التاريخي والفلسفي رأى زيميل المجتمع كجزء من العملية الواسعة من تطور الثقافة الموضوعية التي أزعجته. بالرغم من أن الثقافة الموضوعية تعتبر جزءاً من المجال الثقافي، فقد أدخل زيميل نمو البنيات الاجتماعية ا لكبرى كجزء من تلك العملية.

ي- هربرت سبنسر Herbert Spencer (1820-1903): عالم اجتماع انجليزي، بدأ حياته مدرساً ثم مهندساً وبعدها عمل بالأدب والسياسة وشؤون المجتمع، من أهم مؤلفاته: ((الثبات الاجتماعي)) 1850، ((مبادئ علم النفس)) 1872، ((دراسة علم الاجتماع)) 1873.

ظهرت البنائية والوظيفية بصورة واضحة بشكل علمي في كتابات هربرت سبنسر في مجال تشبيه المجتمع بالكائن العضوي. فكان سبنسر يؤكد دائماً وجود التساند الوظيفي والاعتماد المتبادل بين نظم المجتمع في كل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي. والغاية التي كان يهدف إليها هي إيجاد حالة من التوازن تساعد المجتمع على الاستمرار في الوجود. وكان سبنسر أيضاً يتصور المجتمع على أنه جزء من النظام الطبيعي للكون وأنه يدخل في تركيبه ولذا يمكن تصوره كبناء له كيان متماسك. ورأى سبنسر أن المجتمع في أنساق يتشابه مع كثير من الأنساق البيولوجية بل إنه أكثر الرواد الذين شبهوا المجتمع بالانساق البيولوجية، فالكائنات العضوية والانساق الاجتماعية في المجتمع هي كائنات متشابهة من حيث قدرتها على النمو والتطور. إن ازدياد حجم الأنساق الاجتماعية كازدياد الكثافة السكانية - مثلاً- سيؤدي إلى ازدياد إنقسام المجتمع إلى أنساق أكثر تعقيداً وتمايزاً وهذا هو حال الأعضاء البيولوجية أو الكائن الحي.

وقد لاحظ سبنسر أن التمايز التدريجي للبنى في كل الأنساق الاجتماعية والبيولوجية يقترن بتمايز تدريجي في الوظيفة. ولعل أهم ما جاء به سبنسر هو استعماله لمصطلحي "البنية والوظيفة"هاتين الكلمتين بلورهما سبنسر أكثر من كون. وقانون التطور الاجتماعي الذي جاء به سبنسر قد أثر في نظريات التطور عند علماء الاجتماع الوظيفيين الذين جاؤوا بعده وفي طليعتهم تالكوت بارسونز و دوركايم.

نال هذا الاتجاه النصيب الأوفر من الكتابات التي تصدت لموضوع النظرية الاجتماعية. وحتى أواخر الستينات من القرن العشرين ظل هو الاتجاه المهيمن على ساحات علم الاجتماع بل إنه أكثر الاتجاهات انتشاراً وهيمنة. وينبغي الاعتراف بأن البنيوية الوظيفية هي اتجاه كبير وليس صغير، فهو ينطلق من المجتمع ولا يعطي أهمية للفرد، ولكونه اتجاه مجتمعي فهو غير مستوحى من الفرد، مع أنه في أواخر أيامه تعرض لموجة من النقد. فقد قام عالم الاجتماع الامريكي "الفن غولندر" سنة 1970 بتحليل نقدي لعلم الاجتماع الغربي من خلال نقده للبنيوية الوظيفية ذاتها. وثمة من نعتها بأنها الطغيان الامبريالي.

5- الاتجاه الاثنوميثودولوجي:

(*) **علم اجتماع الشكلي**: مدرسة تبحث عن العلاقات الاجتماعية، علاقات الأشخاص بعضهم ببعض، وهي مدرسة تحاول جعل السوسيولوجيا علماً مستقلاً تماماً عن بقية العلوم، حتى ماكان اجتماعياً.

يتصف هذا الاتجاه مثل غيره من الاتجاهات الظاهراتية بموقفه النقدي والرافض للاتجاه الوضعي في علم الاجتماع، وقد ظهر هذا المصطلح (الاثنوميثودولوجيا) في عام 1967 حينما نشر العالم الأمريكي هارولد جارفنكل، كتابه بعنوان:" دراسات في الاثنوميثودولوجيا"، حيث صاغ جارفنكل مصطلح الاثنوميثودولوجي متأثراً بالفلسفة الظاهراتية (فلسفة الظواهر) ومن ثم فقد نهض المنظور الاثنوميثودولوجي على أسس فلسفية وعلى مستوى من التنظير يوصف بأنه ما وراء النظرية[1].

نال جارفنكل الدكتوراة من جامعة هارفارد على يد تالكوت بارسونز، وكان محور اهتمامه التنظيم الاجتماعي وخاصة في الحقل المسمى مناهج بحث الشعوب أو (المنهجية الشعوبية) الذي ساهم فيه مساهمة كبيرة ويعتبر أهم منشوراته العلمية هو كتابه: "دراسات في مناهج بحث الشعوب"[2].

وترجع الجذور الفكرية لمنظور الاثنوميثودولوجي إلى كل من التفاعلية الرمزية والفلسفة الظاهراتية (الفينومينولوجي)، و على الرغم من تأثر هذا المنظور بآراء هاتين المدرستين من مدارس الفكر الاجتماعي، إلا أن هذا المنظور قد اتخذ له وجهة نظر مختلفة عن الواقع أو العالم الاجتماعي، مما أدى إلى ظهوره على اعتبار أنه أحد البدائل النظرية المعاصرة المطروحة في علم الاجتماع الغربي، ويذهب "والاس "إلى أنه يمكن اعتبار المنظور الاثنوميثودولوجي على أنه بمثابة أحد الاتجاهات المعاصرة للتفاعلية الرمزية.

ومن داخل هذا الإطار المتأثر بالتفاعلية الرمزية والفينومينولوجية والاتجاهات النقدية، صاغ عالم الاجتماع الأمريكي "هارولد جارفنكل" مفهومه عن المنظور الاثنوميثودولوجي واستطاع جارفنكل تكوين مدرسة فكرية لتبني هذا المنظور الجديد في جماعة كاليفورنيا حيث كان يزاول مهنة التدريس في مدينة لوس أنجلوس، ثم انتشر هذا المنظور حديثاً في باقي الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وغير ذلك من الدول[3].

ويتكون مصطلح Ethnomethodology من مقطعين ، يتكون المقطع الأول من الكلمة اليونانية Ethno والتي تعني الشعب أو الناس أو القبيلة أو السلالة، أما المقطع الآخر methodology فيشير إلى المنهج أو الطريقة التي يستخدمها الناس في صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية، مما يشير إلى أن المنظور الاثنوميثودولوجي يهتم أساساً بتطوير مناهج للبحث، ويدفعنا إلى البحث عن هذه المناهج المستخدمة في الدراسات الاثنوميثودولوجية.

وقد قام جارفنكل بتعريف مصطلح "الاثنوميثودولوجي" على أنه يعني استقصاء الخصائص العقلية لمجموعة التعبيرات والأفعال العلمية التي تتم أثناء الحياة اليومية وبتعبير آخر، يشير هذا المصطلح إلى دراسة المعاني التي يعطيها الناس لكلماتهم وأنماط سلوكهم. ويهدف المنظور الاثنوميثودولوجي إلى وصف كيفية قيام أعضاء المجتمع أثناء تفاعلهم في الحياة اليومية بصياغة المفاهيم حول المواقف المختلفة وكيفية قيامهم بتشكيل الحقيقة الاجتماعية، ويرى أصحاب هذا المنظور أن تشكيل الحقيقة الاجتماعية تعد عملية مستمرة من التفسير، وذلك نظراً لأن موافقة أعضاء المجتمع حول تعريف مواقف الحياة تعد عملية متغيرة (دينامكية) وغير ثابتة ومن ثم فإن أصحاب المنظور الاثنوميثودولوجي يضيفون إلى الاتجاهات النظرية الأساسية في علم الاجتماع واهتمامهم بدراسة التغير الاجتماعي على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغيرة النطاق.

---

[1]- سمير نعيم أحمد، **النظرية في علم الاجتماع**، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، مصر 1977، ص 245.

[2]- محمد فؤاد حجازي، **النظريات الاجتماعية**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر 1988، ص 219.

[3]- طلعت إبراهيم لطفي، كمال الزيات، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار غريب، القاهرة، مصر 1999، ص ص 143- 145.

ويتضـــح مما ســـبق أن المنظور الاثنوميثودولوجي يؤكد أن الواقع الاجتماعي في حالة تغير دائم وأنه يمكن دراســـة هذا التغير على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغرى دون الوحدات الكبرى، ونجد أن هذا المنظور يحث الأفراد على تغيير ذواتهم بدلاً من تغيير النظام الاجتماعي القائم[1].

إن مصطلح الاثنوميثودولوجي يشير إلى المناهج الشعبية أو الطرق التي تستخدمها الجماعة في صياغة و تشكيل الحقيقة الاجتماعية في حياتهم اليومية، لذلك يرى الباحث ضرورة توضيح المناهج المستخدمة في الدراسات الاثنوميثودولوجية و في هذا الصدد نجد أن جارد فنكل و زملاءه من الباحثين أمثال: آرون سيكوريل، وهاري ساكس، وايمانويل شيجالوف...وغيرهم قد قاموا بإجراء بعض الدراسات الامبيريقية التي تكشـــف عن المناهج المختلفة التي يمكن أن يســـتعين بها الباحث الاثنوميثودولوجي لكي ينفذ إلى مواقف الحياة اليومية ويتعرف على أفكار وقواعد سلوك المبحوث.

وقد انتقد أصـــحاب المنظور الاثنوميثودولوجي طرق وأدوات البحث المســـتخدمة حالياً في علم الاجتماع مثل المســـح الاجتماعي والمقابلات، كما رفضوا استخدام صحيفة الاستبيان كوسيلة لجمع البيانات الكمية التي تتطلبها الدراسات الاثنوميثودولوجية، وذلك على أساس أن مثل هذه الأساليب الكمية تفصل بين الباحث وموضوع دراسته، وتتضمن معرفة سابقة بالواقع يفرضها الباحث فرضاً على أداة بحثه، بالإضافة إلى أن موقف التفاعل بين الباحث و المبحوث يؤثر على حجم ونوعية البيانات التي يتم الحصول عليها.

وقد واجه هذا المنظور العديد من الآراء الناقدة لما حمله من أفكار، حيث يرى عالم الاجتماع الأمريكي "آلفن جولدنر" أن جارفينكل يقدم بفكره بديلاً للعنف في مقاومة الوضع القائم في المجتمع الأمريكي، ذلك أنه يدعو إلى نوع من الفوضوية قد يروق للشباب الساخط على النظام الاجتماعي، فالمنهجية الشعوبية دعوة إلى تغيير الذات بدلاً من تغيير النظام أو هو مواجهة فردية صغيرة ومقاومة غير عنيفة للوضع القائم لا تزيد عن كونها تمرداً رمزياً يستجيب لمشاعر الشباب حتى لا يعبروا عنها بالثورة أو العنف[2]. كما يوجه حجازي في كتابه النظريات الاجتماعية عدة ملاحظات بخصوص هذا المنظور حيث يقول: هناك عدة ملاحظات يمكن أن توجه لهذه النظرية و هي:

- تعتبر المنهجية الشـعوبية وجهة نظر أكثر منها نظرية، خاصـة أنها تكشـف عن كثير من الثغرات النظرية من حيث إفراطها في تبسـيط الحقيقة الاجتماعية.

- نقطة أخرى هامة وهي أن جارفنكل أهمل المحتوى البنائي الذي فيه تنبعث عملية الترشـيد، مثل تأثير خصـائص الجماعات المختلفة في هذه العملية.

- جعل جارفنكل من كل نواحي النسق الاجتماعي وظيفة لعملية التطابق والترشيد وفي هذا افراط في تبسيط ما هو مركب ومعقد ويبدو أن هذه مشكلة دراسات الوحدات الصغرى عندما تتزايد في التصغير[1].

6- الاتجاه الفينومينولوجي (الظاهراتية):

يمكن النظر إلى الاتجاه الفينومولوجي باعتباره رد فعل محافظ لفشل الوضعية والوظيفية مقابل الاتجاهات الراديكالية التي تعتبر رد فعل ثوري لفشل هذه الاتجاهات السابقة الذكر، و يشبه هذا الموقف ذلك الموقف القديم الذي نشأ كرد فعل لفشل الفلسفات الميتافزيقية إبان

---

[1]- المرجع نفسه، ص ص 149- 151.

[2]- سمير نعيم أحمد، مرجع سابق، ص 249.

[1]- محمد فؤاد حجازي، مرجع سابق، ص 222.

عصـــر التنوير[2]. وعندما بدأ علماء الاجتماع يشـــككون في قدرة المناهج الوضـــعية والأمبيريقية على فهم الواقع الاجتماعي فهماً عميقاً دفعهم ذلك إلى طرح بعض البدائل المنهجية كالفهم الفينومينولوجي والتحليل الأثنوميثودولوجي وحينما حققت هذه البدائل المنهجية قدراً من الذيوع والشـهرة، بدأ علم الاجتماع الحديث يشـهد تنوعاً لم يعرفه من قبل. ويقول ادموند هوسـرل أنه من مهمة الظاهرتية هي إعادة الصـلة بين المعرفة العلمية وخبرة الحياة اليومية، واسـتخدمت هذه الحجة ضـد الوظيفية البنائية لأنها تتكلم عن الكل والنسـق، منفصـلة عن نبض الحياة اليومية. وتهتم الظاهراتية بدراسـة الوعي الإنسـاني، مسـلماتها تقول أن العالم الذي نعيش فيه عالم مصـنوع في وعينا مع وجود العالم الخارجي إلا أن هذا العالم الخارجي لا معنى له إلا من خلال وعينا.

ويتعارض الاتجاه الفينومينولوجي مع النزعة الوضـــعية، فيؤكد الفينومينولوجيون صـــعوبة الفصـــل بين العالم الاجتماعي من ناحية وأساليب تفسيره وفهمه من ناحية أخرى. وقد انتقد هوسرل (1859 – 1939) علم الاجتماع بسبب ميله إلى محاكاة العلوم الطبيعية عند النظر إلى الواقع الاجتماعي. لقد افتقد بذلك علماء الاجتماع القدرة على الإحساس بظواهر الوعي.

منطلق هذا الاتجاه هو منهج فلسفي وصفي يتخذ من استخدام المعرفة وأدواتها مجالاً ورئيسًا للاهتمام، ويهدف إلى إدراك الماهيات في الشعور ووضع الأسس العامة له، والفينومينولوجيا ما هي إلا صياغة تصور لبناء فلسفي متكامل وقائم بذاته حيث تنهض عليه كل ميادين المعرفة فشعور الباحث –كما يرى هوسرل – هو الحكم النهائي لرؤية الباحث للعالم ودراسة ظواهره. ويمكن استيضاح هذا من خلال أحد المفاهيم الأساسية التي تستند إليها الفينومينولوجيا والذي أسماه أحد الباحثين (وضع الظاهرة بين قوسين) يعني تعليق الحكم عليها وهي محاولة للحصول على وصف تفصيلي للطريقة التي يتكون فيها العالم الاجتماعي، فالباحث يضع ما يعرفه أعضاء الظاهرة عنها بين قوسين ويتجرد هو عن معرفتهم ويحاول الرؤية بعين جديدة للظاهرة بحيادية، فالفينومينولوجيا مدخل وصفي هدفه الوصول إلى ماهية الشـــيء وجوهره وفهم المواقف الاجتماعية من الداخل كما تبدو للإنســـان الذي يعيشـــها ويندمج فيها والبحث عن أدوات وطرق تمكن الأفراد من الإدراك الحقيقي لمعاني الأشياء والظواهر[1].

ومن مسـاهمات بعض علماء الاتجاه الفينومينولوجي ألفريد شـوتز (1899- 1959): عالم اجتماع نمسـاوي درس في جامعة فينا وحصـــل على إجازة في القانون. لم يكن معروفاً إبان حياته إنما اشـــتهر بين علماء الاجتماع بعد وفاته، حيث انتبه علماء الاجتماع المعاصرون والمحدثون إلى عمله عن الفعل الاجتماعي وأعماله حول "علم الظاهرات".

يرتكز هذا الاتجاه على مفهومه الأكبر "التخلل الذاتي أو الذوات المتداخلة"، والتي تعني إجابات عن التساؤلات الآتية:

- كيف نعرف أفكار الآخرين ؟.
- كيف نعرف أنفسنا ؟.
- كيف يتم تبادل آرؤانا و إدراكاتنا مع الآخرين ؟.
- كيف يحصل التفاهم المشترك بين المتفاعلين ؟.

---

[2]– سمير نعيم أحمد، مرجع سابق، ص ص 233- 234.

[1]– عبد الرحمن بن يحي حيدر الصائغ، **الاتجاه الفينومينولوجي ونظرته للتربية**، بحث مقدم لمادة النظرية في التربية، الفصل الدراسي الثاني 1427- 1428 هـــ، قسم التربية، كلية التربية، جامعة الملك سعود.

- كيف يتصل الفواعل فيما بينهم ؟.

معنى ذلك أن تداخل ذوات الفاعل لا يحصل بشكل منفرد أو من جانب واحد بل يتطلب حضور الآخر أولاً، وطرح أفكار و آراء يتم نقاشها ثانياً وتبادل التفاعل بينهم ثالثاً (ساعتها يحصل تبادل المشاعر بينهم حباً أوكرهاً، وداداً أو بغضاً، إعجاباً أو استعلاء) ومن ثم يحصل تبادل الذوات بين الفاعل والحضور. بتعبير آخر يشترط حضور الآخرين حيوية مفعمة بوساطة نقاشه معهم واستماعهم له ومحادثته إليهم وتفاعلهم معه في فترة زمنية معينة، وبقعة جغرافية معلومة الأبعاد، آنذاك يتبلور التخلل الذاتي.

ويميز شوتز بين المنظور الطبيعي لعضو الجماعة الاجتماعية والمنظور الظاهراتي للملاحظ الخارجي، ويصف مصطلح الطبيعي المدخل الفطري والبديهي الذي يسلم به أعضاء جماعة اجتماعية معينة، وينظر هؤلاء الأعضاء إلى أسلوب حياتهم على أنه عادي وهم بصفة عامة غير واعين بالمدى الذي يعكس به هذا الأسلوب خبراتهم الذاتية فقط، وعلى النقيض من ذلك يسعى الملاحظ الخارجي (الذي يتبنى منظاراً ظاهراتياً) إلى وصف أسلوب حياة جماعة ما، و مع هذا فهو يقوم بهذه المهمة من زاوية الفاعلين لا من زاوية منظور تفسيري خارجي[2].

وكمثال على المنظور الطبيعي لو استخدمناه لتفسير حياة أفراد مجتمع قبيلة قريش حين قالوا:"هذا ما وجدنا عليه آبائنا" فهم ينظرون إلى أسلوب حياتهم من عبادة للأصنام وشرب للخمور ووأد للبنات بأنه عادي، غير مدركين أن هذا الوضع يعكس خبراتهم الذاتية وما تعلموه من خلال التنشئة الاجتماعية، فيما يركز المنظور الظاهراتي على وصف حياة هذه الجماعة حيث يتم استخدام الملاحظة كأداة جمع للبيانات من خلال استخدام المنهج الكيفي، فيتم وصف أسلوب حياة هذه الجماعة كما تبدو ومن زاوية الفاعلين أنفسهم لا من زوايا بنائية أو صراعية قد لا تعكس الواقع المعاش، حيث يتم التركيز على ما يرويه الناس حول عبادة الأصنام أو وأد البنات، ومن ثم تحليل هذه البيانات لتقديم تفسير ملائم للواقع الاجتماعي.

لقد افترض شوتز أن الفاعل دائماً ينجر انجراراً نحو خبراته الماضوية تلقائياً ويرضخ لنماذج صاغها هو في ظروف ولت وبادت لا تعكس ظروفه الحالية، فضلاً عن كون سلوكيات الناس قابلة للتبدل من فترة إلى أخرى، و بالذات الإنسان العصري الذي يفاضل عقله ومنطقه على عاطفته، ناهيك عن تبدل معايير الناس عبر الزمن على ألا ننسى أن الفاعل ذاته يطور ويبدل ويعدل آرؤاه وأحكامه ونمط تفكيره حسب التطورات التي يرتقي إليها والأهداف التي يرنو منها. ويضيف معن خليل عمر قائلاً: "أقول أن شوتز اقتصرت نظريته على نوع واحد من الفواعل وليس معظم أنواع الفواعل". أي اهتم بالفاعل المحدود الأفق وصاحب الذكاء السطحي أو الكسول ذهنياً وترك الطموح والحيوي و المتوقد الذكاء.

كما أن الخبرة الذاتية لا تكون تراكمية دائماً كما يرى شوتز بل قد تأخذ حالة التنافر (كرد فعل)، أما إذا حصل امتداد للخبرة الذاتية، فإن ذلك يعني عدم تنوع خبرات الفاعل بل السير في خط واحد من الخبرة، وهذا نادراً ما يحدث في المجتمع المعاصر المكتنز بالتنوع والتبدل.

ويتساءل معن خليل عمر عن موقف ورؤية نظرية شوتز وأتباعه عن الفاعل دون سن الخامسة عشر (على سبيل المثال لا الحصر) الذي لا يمتلك نماذج خبراتية كثيرة ومتنوعة، بل محدودة بحدود عمره القصير، ويواجه مواقف عديدة ومتباينة، وهو في حالة اكتساب

[2]- مصطفى خلف عبد الجواد، **نظرية علم الاجتماع المعاصر**، دار المسيرة، عمان 2009، ص ص 187- 188.

خبرات ويحولها إلى مخزون في ذاكرته ويستدعيها عند الحاجة، تكون خبرته الاجتماعية هزيلة وقليلة غير ناضجة، فما هو موقفه إذا واجهه موقف أو فاعل ليس له ذخيرة خبراتية في ذلك النوع من المواقف أو الفواعل[1].

لاشك أن هذا الاتجاه يركز على دراسة المعاني والخبرات المشتركة بين الأفراد في المجتمع بوصفها أساساً للحياة الاجتماعية وبإهمال الاختلافات والصراعات الواقعية داخل المجتمع. ويتعارض ذلك تماماً مع التحليل العلمي الواقعي للمجتمع الذي يبين بالأدلة القاطعة أن العالم تمزقه الصراعات على كافة المستويات، وأن القدر المتاح من المعاني والخبرات المشتركة بين الأفراد في المجتمع الواحد أو في مجتمعات العالم أقل بكثير من الاختلافات والصراعات، فهناك صراعات عديدة بين الشباب والشيوخ، النساء والرجال، الأغنياء والفقراء، الأميون والمتعلمون...أي أن المسلمة الأساسية التي تنص عليها التحليلات الفينومينولوجية عن طبيعة الواقع الاجتماعي (الخبرات الفكرية المشتركة) لا تدعمها الأدلة الأمبيريقية بل هناك أدلة تنفيها وقد تجاهل أصحاب الاتجاه الفينومينولوجي مسألة الصراع الطبقي العنيف في مجتمعاتهم ورفضوا حتى أن يروه أو يشيروا إليه أو يفسروه على الرغم من أنه كان يفرض نفسه على الجميع، كما أنهم تجاهلوا الواقع الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع ودرسوا الخبرة اليومية وأسلوب التفكير كما لو كانا منفصلين عن الواقع ولا يتأثران به. ويرى العديد من النقاد بأن الاتجاه الفينومينولوجي اتجاهاً محافظاً من الناحية الأيدولوجية[1].

7- اتجاه الصراع الاجتماعي:

يحدث الصراع الاجتماعي نتيجة لغياب الانسجام والتوازن والنظام والاجماع في محيط اجتماعي معين. ويحدث أيضاً نتيجة لوجود حالات من عدم الرضى حول الموارد المادية مثل: السلطة والدخل والملكية أو كليهما معاً. أما المحيط الاجتماعي المعني بالصراع فيشمل كل الجماعات سواء كانت صغيرة كالجماعات البسيطة أو كبيرة كالعشائر والقبائل والعائلات والتجمعات السكنية في المدن وحتى الشعوب والأمم . والفكرة الأساسية تتجلى في القول أن قضية الصراع بين المجموعات البشرية هي في الواقع ظاهرة عضوية في الحياة الانسانية والعلاقات السائدة بينها. ويمكن إيراد نوعين من الأسباب حول استيطان الصراع الاجتماعي كظاهرة اجتماعية بين المجموعات البشرية:

أ- ثمة ما يسمى بـ:" الرموز الثقافية" وهو نوع من الأسباب التي تؤدي إلى انسجام بين البشر أو إلى خصام. والخصام في هذا السياق قد يتجلى في الاختلاف على مفهوم السلطة المادية. فمن له الحق في السلطة وتملكها ؟، ولماذا ؟ هو سؤال يسمح بنشوب صراع .

ب- ومن وجهة نظر ماركسية فإن قضية العدالة الاجتماعية تعد متغيراً بنيوياً في إثارة الصراعات الاجتماعية طالما أن هناك توزيع غير عادل للثروة.

ويهتم هذا الاتجاه باستكشاف أسباب الصراع الاجتماعي وانعكاساته، ويحاول أن يطرح رؤىً فكرية بخصوص إمكانية نفي المفهوم أو التحكم فيه. أي البحث في استعمال المفهوم وتوظيفه لتبرير غايات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو حتى فلسفية.

إن الفكر النظري حول الصراع الاجتماعي هو فكر قديم جداً ولعل نظرية كارل ماركس حول الصراع الطبقي تمثل حصيلة لتراكم الزاد المعرفي لهذه النظرية. فالصراع الاجتماعي عند ماركس له جذور اقتصادية تشكل الطبقات الاجتماعية أساسه عند المجموعات البشرية. فالصراع الطبقي حسب الماركسية هو القوة المحركة للتاريخ.

---

[1]- معن خليل عمر، **نظريات معاصرة في علم الاجتماع**، دار الشروق ، عمان 1997، ص ص 260- 266.

[1]- سمير نعيم أحمد، مرجع سابق، ص ص 249- 251.

من جهة أخرى يرى البعض كروبرت مالتوس صاحب النظرية الشهيرة في السكان بأن الثروات وقتل الملايين من الأفراد عبر وسائل العنف المتعددة والمتنوعة هي مسألة ضرورية لتقدم البشرية. بعبارة أخرى فالصراع الاجتماعي من هذا المنظور أساسياً وضرورياً لإحداث تغير اجتماعي ايجابي، وكأن فلسفة التقدم والتنمية التي اجتاحت أوروبا في القرن 19م ما كان لها أن تنجح لولا البعد العنفي الكامن فيها. وفي هذا السياق يبدو أن للصراع وظيفة ايجابية. ولابد أن نشير أن من رواد هذا الاتجاه:

– لويس كوزر: وهو عالم اجتماع أمريكي معاصر اهتم بالنظرية الوظيفية وقدم مساهمة في نظرية الصراع الاجتماعي. هذه المساهمة تعرف الصراع بأنه مجابهة حول القيم أو الرغبة في امتلاك الجاه والقوة أو الموارد النادرة. وفي هذا السياق للتعريف فإن الأطراف المتصارعة لا ينحصر اهتمامها بكسب الأشياء المرغوب فيها بل إنها تهدف إلى وضع المناوئين إما في حالة حياد أو أن يقع الأضرار بهم أو القضاء عليهم.

ويعد كتاب لويس كوزر المنشور تحت اسم: "وظائف الصراع الاجتماعي 1950" أول محاولة تنظيرية في هذا الصدد. أي أنه أول محاولة أمريكية تتعامل مع الصراع الاجتماعي انطلاقاً من رؤية البنيوية الوظيفية مما يعني أن كوزر انفرد نوعاً ما بنظرة ايجابية للصراع الاجتماعي.

– رالف داهرادندوف Ralf Dahredof (1929- 2009): عالم اجتماع ألماني يرى بأن الصراع هو حصيلة العلاقات بين الأفراد الذين يشكون من اختلاف في الأحداث. ويرى البعض أن دراسة الصراع الاجتماعي يجب أن يتجاوز الوظائف الاجتماعية الايجابية لهذا الصراع. فما الذي يعنيه هذا البعض ؟. المعنى يكمن في النظرية الماركسية. فلعل أبرز ضعف تشكو منه نظرية الصراع الاجتماعي هو فقدانها لأرضية النظرية الماركسية، ولعل الاستثناء الوحيد في هذا الميدان هو عالم الاجتماع داهرندوف الذي حاول تلقيح نظرية الصراع الاجتماعي بأطروحة الفكر الماركسي فكان كتابه "الطبقة وصراع الطبقات" أهم عمل سوسيولوجي حول نظرية الصراع الاجتماعي.

ومع هذا فإن داهرندوف يكاد يستعمل نفس الاطار التحليلي الذي تبناه علماء الاجتماع الوظيفيون "البنى والتنظيمات الاجتماعية". ومن ناحية أخرى فقد نبه داهرندوف إلى أن عناصر النسق الاجتماعي يمكن أن تعمل معاً متناسقة ويمكن أن تعرف صراعاً وتوترات، فالمجتمعات تتمتع بحركية والصراع هو أحد ملامح هذه الحركية ومثلما أن هناك تناسق اجتماعي فثمة أيضاً مجابهات وتوترات اجتماعية.

وحسب داهرندوف فالنظرية السوسيولوجية ينبغي أن تنقسم إلى قسمين:

أ– نظرية الصراع Conflect Theory: وهذه تهتم بدراسة صراعات المصالح وأشكال القهر التي تحافظ على سلامة المجتمع .

ب– نظرية الوفاق Consens Theory: وهذه تركز على دراسة الدمج في المجتمع مثل "النظرية الوظيفية" وهكذا يعترف داهرندوف أن المجتمع لا يمكن أن يوجد بدون وجود الصراع والوفاق معاً واللذان يكملان بعضهما البعض. ولأن الصراع يحدث في المجتمع الذي يسوده الاتفاق في جميع أجزائه فإن الصراع أيضاً يحدث طالما يولد الحاجة إلى الوفاق.

إن منطلقات داهرندوف التي ظهرت في كتابه الشهير حول نظرية الصراع في المجتمعات الصناعية تتأسس، أولاً وقبل كل شيء، على تعميم عناصر الصراع الموجودة في نظرية كارل ماركس كمنطلق لبناء نظرية صراع كبرى. وهذا يعني أن محاولات داهرندوف تجاوزت المحتوى الماركسي لتبحث عن عوامل صراع جديدة وإلا كيف ينسجم داهرندوف مع نفسه حين يتحدث عن صراع ووفاق وحين يجعل من العلاقات الاجتماعية والقيم موضوعاً لعلم الاجتماع الصراعي ؟.

وحسب داهرندوف المجتمع يتكون من مجموعتين يتحدد موقع كل منهما بما يمتلك من قوة وهما:

أ- المجموعة المهيمنة: تهتم بالمحافظة على الوضع كما هو لأنها تقع في منطقة امتيازات أي مواقع اجتماعية نافذة

ب- المجموعة المهيمن عليها: تهتم بالعمل على تغيير الوضع لصالحها، مثلاً كأن تكافح المرأة لتغيير الوضع القائم لصالحها.

وفي النهاية يمكن النظر إلى نظرية الصراع الاجتماعي على أنها مرحلة عابرة في تاريخ تكون النظرية السوسيولوجية. ويعود فشل تبلورها إلى عدم الاستفادة الكافية من الفكر الماركسي الذي كان انتشاره ضئيلاً قبل الخمسينات في القرن العشرين بين علماء الاجتماع الأمريكان ومع ذلك فالنظرية الصراعية هيأت الظروف المناسبة لقبول الفكر الماركسي بين المثقفين الأمريكان مع مطلع الستينات من نفس القرن.

ومما يؤخذ على نظرية الصراع الاجتماعي أيضاً أنها تركز في تحليلاتها على البنى الاجتماعية مهملة بذلك دور الأفراد وتفكيرهم وسلوكاتهم، فالوظيفية أصلاً لم تعط دوراً للفرد ولا أهمية له.

8- الاتجاه النقدي:

لقد ظهر الاتجاه النقدي في النظرية السوسيولوجية نتيجة لمجموعة من العوامل والظروف المتشابكة فيما بينها، وكان هذا الاتجاه واضح في أعمال "رايت ميلز" و"ألفن جولدنر".

وقد عبر جولدنر في مؤلفه: "الأزمة المقبلة لعلم الاجتماع الغربي" عما تعرضت له النظرية السوسيولوجية متمثلة في اتجاهاتها الأساسية من أزمة أدت إلى ظهور تيارات أخرى بديلة أهمها الاتجاه النقدي أو الراديكالي في علم الاجتماع. وأنه على الرغم من تباين تلك المسميات التي أطلقت على الاتجاهات المعاصرة التي ظهرت حديثاً في نظرية علم الاجتماع، إلا أنها تشترك جميعها في التأكيد على النقد باعتباره عنصراً أساسياً في كتابات معظم أنصارها سواء كان نقداً يتعلق بالأفكار والأيديولوجيات السائدة أو بالنظرية، أو يتصل بنقد المجتمع ذاته، وحتى نقد علماء الاجتماع لأنفسهم. وكانت تهدف في النهاية إلى محاولة تقديم نظريات أخرى بديلة تكون أكثر تطابقاً وملائمة مع الواقع الاجتماعي القائم[1].

أ- ألفن جولدنر A. Gouldnar: أدرك جولدنر ضرورة تغير الفكر السوسيولوجي، فبناء العلم ووضعه داخل المجتمع وصلته بالحركة التاريخية، كل ذلك ينطوي على تناقضات وصراعات قد تؤدي بعلم الاجتماع إلى أزمة، وهذه التناقضات هي:

- رفض الجيل الجديد الثوار اليساريين والسود النظرية السوسيولوجية ومعاداتها والدعوة إلى عدم التعلق بالمعرفة.
- علم الاجتماع علم ديالكتي جدلي يحمل تناقضات بين التيار المحافظ (دوركايم،كونت) والتيار الراديكالي (ماركس).
- أن هذه الوظيفية فيها تناقضات في داخل الوظيفية فهذه الوظيفية عندما تحلل لنا الواقع فهي تأخذنا نحو دولة الرفاهية (الصفوة).
- ظهور تيارات نقدية ضد الوظيفية كبدائل نظرية جديدة.

ويمكن أن نلخص أفكار جولدنر في النقاط التالية:

- يجب أن لا يكون هناك تأثير إيديولوجي على البحوث السوسيولوجية أي الابتعاد عن التحيز الإيديولوجي.
- إن الوظيفية فقدت الاستيعاب على الكثير من الحقائق الاجتماعية نتيجة توجهها المعرفي الإيديولوجي.

---

[1]- السيد رشاد غنيم وآخرون، مرجع سابق، ص ص 92- 93.

- من الصعب القيام بنقد نظرية علم الاجتماع دون نقد المجتمع أو العكس لأن كليهما يؤثر في الآخر.

ب- رايت ميلز Charles Wright Mills: عالم الاجتماع أمريكي من أعلام اليسار الجديد في أمريكا في منتصف القرن العشرين، له العديد من المؤلفات في نقد المجتمع و السياسة و بناء القوة في أمريكا، و منها: ((ذوو الياقات البيضاء: الطبقات الوسطى الأمريكية)) 1951، و((صفوة القوة)) 1956، و((الخيال السوسيولوجي)) 1959.

وتوضح لنا سوسيولوجيا رايت ميلز كيف يتم التعامل مع النظريات السياسية الليبرالية و الديمقراطية بمنظور نقدي لا يكتفي بالاقتصار على الفكر السياسي باعتباره نظرية، بل يتعدى ذلك إلى الفحص السوسيولوجي لكيفية عمل النظرية السياسية في الواقع، والشروط الاجتماعية والاقتصادية التي تمارس في إطارها الديمقراطية الحديثة. ويعد كتابه "ذوو الياقات البيضاء" من أهم مؤلفاته، إذ يتناول أوضاع الطبقة الوسطى الأمريكية في منتصف القرن العشرين. وبتناوله لهذه الأوضاع من كافة النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فهو يقدم نقداً للسياسة الأمريكية في النظرية وفي الممارسة. فإذا اقتصرنا على الفحص النظري للفكر السياسي غرقنا في التفاصيل الداخلية للنظرية السياسية وضعنا وسط التقسيمات والتفريعات النظرية التي لا نهاية لها ولن نستطيع الخروج من الإطار التصوري المجرد، أما التحليل السوسيولوجي الذي يمارسه ميلز فيثبت أن علم الاجتماع لا غنى عنه إذا أردنا نقد النظريات السياسية الغربية.

ومن هنا يمكن اعتبار ميلز الأب المؤسس للاتجاه النقدي، ويتميز هذا التيار بـ:

- معارضته لعلم الاجتماع الأمريكي المرتبط بمشكلة النظام أو ما يسميه المجتمع الأمريكي: الأقلية المزعجة.
- التأثر بالتيارات الفكرية.

وقد رفض ميلز النظرية الكبرى في نظرية بارسونز التي تحمل تعقيد نظري ولغوي حيث رفض الأسلوب اللغوي المعقد. أما الارتباط الإيديولوجي لهذه النظريات، فالاهتمام بالتوجه القيمي هذا يؤدي بنا إلى نقل الأبنية النظامية إلى المستوى الأخلاقي كأننا أمام معاملات أخلاقية وإلغاء القوة كعنصر في صنع القرار والتحكم في الأفراد والسيطرة عليهم.

يرى ميلز أنه لا يمكن فهم الفرد أو تاريخ المجتمع دون فهم الآخر والعلاقة التي تربط بينهما، وليفهم الفرد هذه العلاقة فهو بحاجة إلى مهارات عقلية تمكنه من تكوين فكرة لما يدور حوله وما يحدث له، هذه القدرة العقلية نسميها بالخيال السوسيولوجي، وهو مطلوب لدى الباحثين وكذا الصحفيين والدارسين والفنانين وحتى عامة الناس لأنه عنصر من المجتمع. ويرى أن قدرة الباحث تتجلى في الربط بين مظاهر الاضطراب الشخصي وبين مشاكل البناء الاجتماعي وهنا يظهر الهدف الأساسي للخيال السوسيولوجي يمكن الفرد من اكتساب وعي حقيقي بمشكلته ومشكلة مجتمعه.

ويقول ميلز على الباحث الاجتماعي ضرورة التسلح بما أسماه بالخيال السوسيولوجي فالفرد جزء من البناء الاجتماعي والبناء الاجتماعي جزء من مراحل التاريخ. وهنا يقول ميلز: علينا بطرح الأسئلة التالية:

- ما هو البناء الاجتماعي ؟.
- ما هي مكوناته ؟.
- كيف تتغير هذه المكونات ؟.
- ما هي دلالة كل مكون إجتماعي ؟.
- أين يقع هذا المجتمع من تاريخ الإنسانية ؟.

- ما هي مراحله ؟.
- كيف يؤثر في التاريخ ؟.
- ما نوعية الرجال والنساء في هذا المجتمع ؟.
- هل هناك مميزات بينهما في إطار السلطة ؟.
- ما هي الطبيعة الإنسانية التي تظهر من خلال هذا السلوك ؟.

ج- توماس يوتمر: ركز على الجانب العلمي أو المنهجي الذي قدم تفسير للمجتمع ونقد يوتمر الطبقات والصراع في النظرية الماركسية. ويتساءل: هل الماركسية فلسفة اجتماعية أم يوتوبيا أم إيديولوجيا وعقيدة أم نظرية علمية في تفسير المجتمع ؟. يجيب أن ماركس استعمل المخبر كما استعمله الفيزيائي وكان مخبره إنجلترا للدراسة الرأسمالية كنظام، والنظرية الماركسية إذا كانت إيديولوجية سياسية، فماركس يعتبر ماركسياً، أما إذا كانت في إطار نظرية علمية فماركس يعتبر عالم اجتماع. وهنا يربط ماركس بين القوانين العامة (الصراع الطبقي، النظم الاجتماعية) والقوانين الخاصة (تحول النظام الرأسمالي إلى نظام اشتراكي). ويقول يوتمر: أن المشكل ليس في ماركس لأنه لم يعش في المجتمع المعاصر ولكن المشكل في الماركسيين الذين تبنوا الماركسية كإيديولوجية سياسية وليست كنظرية علمية، وبتالي لم ينجحوا في تفسير الواقع الاجتماعي المعاصر. وهنا علينا الدعوة إلى علم الاجتماع الراديكالي في الفكر وفي المنهج، لأنه ظهرت نظرية جديدة في المجتمع الأمريكي وهذه النظرية هي نظرية الصفوة.

وقد ألف كتاب سماه: (الصفوة والمجتمع)، ويقول: أن الصفوة هو مفهوم أقل تماسكاً من مفهوم الطبقة لأن نظرية الصفوة تعتمد على ما يسمى بـ: القوة أما الطبقة فجاءت عن طريق التكامل والتعاون. أما عن نقده لبارسونز فيقول: أن أفكار بارسونز تفرض عليه عزلة فكرية من خلال تعقيداته وكثرة تجريده. وعدم اهتمام بارسونز بالأمور السياسية والاجتماعية وعدم تكوين رؤية واضحة.

د- جون ريكس: اهتم بنظرية ماركس وماكس فيبر وتأثر بأفكار رايت ميلز، ويؤكد على أهمية الفعل في بعده الخاص (الذاتي)، وضرورة تكامل دافعية الأفراد من خلال اللجوء إلى المعايير الثقافية، وهنا يعطي ملاحظة: أن الأنساق الاجتماعية لا يعني أنها تحقق تكاملاً بواسطة المعايير، كما يقول بارسونز يمكننا التكامل دون معايير.

وقدم جون ريكس نموذج للصراع الذي أهمله بارسونز:

- أن الأنساق الاجتماعية ليست منتظمة حول مجموعة من القيم ولكن تتضمن مواقف صراعية تمتد من المساواة السلبية إلى العنف المدمر.
- لا يؤدي ظهور هذه المواقف إلى مجتمع موحد ولكنه يؤدي إلى مجتمع جماعي به طبقتان أو أكثر ذات مصالح مختلفة.
- ينقسم الموقف الصراعي إلى طبقة حاكمة وطبقة محكومة.
- يتغير موقف القوة لصالح الطبقة بتغير العوامل التي تزيد من إمكانية مقاومة الطبقة المحكومة أو قيامه بالثورة.
- قد تظهر انقسامات جديدة داخل الطبقة الثورية حينما تفرض إرادتها على الطبقة الحاكمة.
- غموض الأهداف لدى الطبقة المحكومة فإنها تسلك المواثيق والمثاليات التي صاغتها قبل الثورة بعد أن تقبض على مقاليد السلطة.
- قد لا يؤدي التغير في ميزان القوة إلى الثورة ولكنه كذلك لا يؤدي إلى الإصلاح.

أما عن نوع الصـــراع عند جون ركس فهو صـــراع على الحكم في مصـــادر القوة وليس أدوات الإنتاج، أي أن جون ركس يتفق مع داهرندروف الذي يقول بالصراع حول السلطة والقوة.

ومن هنا فإن اتجاه جون ريكس النقدي يتميز بخاصيتين:

- الربط بين أفكار ماركس وفيبر.
- ينتقد المجتمع ومتأثر بالراديكالية التي سادت في نهاية الستينات وهذا ما يسميه بالنقد السوسيولوجي النظري.

وينتقد يوتمر دور عالم الاجتماع كباحث متحرر من القيم ويســـعى لتطبيق المعرفة العلمية، فالتحرر من القيمة يعني أن يقوم عالم الاجتماع بدور الخبير ويعمل تحت وصـاية رجال السـياسـة والحكومة، ويقول أن هدف علم الاجتماع النقدي أن يكون راديكالياً ويقدم منهجاً لوصـــف الأبنية الاجتماعية، وتحليل لوظائفها والكشـــف عن الإيديولوجية الســـياســـية التي تعني عند ريكس أســـاطير تخفي الواقع وبالتالي علينا تبني ما يســـمى بالعدمية. ويقول لأن هناك الشـــك في القيم، فعلينا بالعدمية، أي لا نتبنى أي إيديولوجية وبالتالي الاهتمام بالبناء الاجتماعي، من أجل الكشـــف للأفراد العاديين عن همومهم اليومية واكتســـاب قدر من الوعي الذاتي يجعلهم قادريين على الربط بينهم وبين المشـــكلات العامة. وأهم هذه المشـــكلات هي التي يعاني منها النظام الرأسمالي وهي البطالة، الحروب، مشـــكلات المدن، الأسرة...الخ.

هـ- مدرسـة فرانكفورت النقدية: اسـتخدم اسـم مدرسـة فرانكفورت للدلالة على تجسـيد مختلف للنظرية الاجتماعية، تم في معهد البحث الاجتماعي في جامعة فرانكفورت منذ عام 1929، واسـتمر حتى أيامنا هذه. والاسـم عائد لفريق صـغير من الباحثين بعد عام 1933، في المهجر، من الذين حاولوا بناء نظرية نقدية للمجتمع، وذلك انطلاقاً من فيلكس.ج.فآيل وتلميذيه: ماكس هوركهايمر، وفريدريك يولوك[1] .

وتمحورت أبحاث مدرسـة فرانكفورت، في مسـاهمتها لبناء علم الاجتماع، وهي المسـاهمة المبنية على النظر النقدي حول خمسـة محاور هي:

1- إعادة قراءة علم الاجتماع الماركســـي، على هدي الخلافات المتعاظمة بين المادية الديالكتيكية، من حيث هي نظرية، وبين تطبيقاتها العملية.

2- نقد ادعاءات الحرية، والنظرة الآلية لكل من علم الاجتماع الوضعي، وعلم الاجتماع البراغماتي.

3- حاولت النظرية النقدية تحديد الأرضية الاجتماعية والنفسية للتسلط، من خلال محاولتها بناء جسر بين فرويد، وماركس. على الرغم من ضعف الصلة بينه وبين النظرية النقدية.

4- في عام 1940 قام كل من آدورنو، وهوركهايمر، ببعث الإمكانية التي أظهرتها النازية في هذا المجال.

5- هناك صلة بين النظرية النقدية، وبين علم الجمال، وربما كان هذا همو سبب الاندفاع إلى العناية بالنقد الأدبي.

والمؤسس الحقيقي لهذه المدرسة هو ماكس هوركهايمر وزميله تيودور أدولنوا. أما عن هوركهايمر سميت فلسفته بالمنهج النقدي الجدلي، أي توحيد النظرية للوقوف ضد فكرة التسلط والعنف، فالهدف هو سلطة الإنسان وليست سلطة العلم والمعرفة. والنظرية والممارسة، هي

[1]- صلاح الدين شروخ، مدخل في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص148.

أهم العوامل التي أدت إلى نشوء النظرية النقدية. هذه النظرية جاءت بعد الجو الذي كان سائد في ألمانيا وما تركته الحرب العالمية الأولى من أثار سلبية، وما نتج من انقسامات سياسية التي أدت إلى ظهور تيار جديد يسمى بالتيار النقدي ويدور أساساً حول النظرية والممارسة، كما أن فشل الحركات العالمية في أوربا وتحويلها، هذا أدى إلى ما يسمى باللعبة السياسية على حد تعبير هوكهايمر، دفعت إلى وجود يسار جديد يرفض النظام الاقتصادي الرأسمالي وينتقد الماركسية كمفهوم إجتماعي، مما أدى إلى إحياء الماركسية من جديد بفكر نقدي.

ولديه كتاب سماه (كسوف العقل) عالج فيه تحجر المجتمع الصناعي والذي يعكس إيديولوجية العالم الجديد والتي تريد عودة العقل المستقل (العقلانية البراغماتية). ولقد دعا رواد مدرسة فرانكفورت إلى إنقاذ العقل من هيمنة الفلسفة الوضعية التي حولت العقل الغربي إلى عقل أداتي الذي كان نتيجة هذه الأزمات والكوارث البيئية والاستعمارية فتحول العقل إلى آلة للسيطرة وتدهور ما يسمى بالعقل الموضوعي وتحول إلى العقل أداتي من أجل تحقيق المصالح المالية، وهذا العقل الآداتي هو العقل التكنولوجي الذي اختزل الإنسان إلى كائن بيولوجي. وهنا طرح رواد مدرسة فرانكفورت بديل للعقل الأداتي سموه بالعقل النقدي الذي يدرك الطبيعة بين العقل والإنسان.

خاتمة:

من خلال ماسبق يتضح لنا أن علم الاجتماع أو السوسيولوجيا تعني الدراسة المنظمة للعلاقات البشرية، فالباحثون في السوسيولوجيا يركزون على الناس في الجماعة وعلى علاقات أحدهم بالآخر، مثلما يركزون علاقات الجماعات بالجماعات الأخرى، والتي تتضمن الجماعة الأكبر والأشمل التي تسمى المجتمع. فهم يسألون عن كيفية نشوء هذه العلاقات ؟، ولماذا يستمر الناس فيها أو يقطعونها ؟، ويسألون كيف يتغير الناس ؟، وما هي المراحل التي من المفترض أن يمر بها الناس المشتركين في جماعات ؟.

إن جميع التفاعلات البشرية العادية وغير العادية (الشاذة)، اليومية المعتادة أو المثيرة، تشكل الحنطة لطاحونة السوسيولوجيا. فالباحثين فيها يهتمون بغير الصالحين (أو الأشرار) مثلما يهتمون بملكات الجمال، يهتمون بالفاسقين مثلما يهتمون بالأتقياء، يهتمون بربات البيوت المشاغبات من الطبقة الوسطى مثل اهتمامهم بالنساء المحترمات في الفئات الغنية.

ومع ما هو موجود في العالم وبمختلف علاقاته البشرية، فإن الباحثين في السوسيولوجيا لا يمكنهم أن يأملوا بفهمٍ شامل لجميع النظريات في السوسيولوجيا أو أن يحيطوا بجميع المفاهيم أو يتمكنوا من جميع طرق البحث أو يلموا بجميع البيانات ونتاجات فروع هذا العلم. فكل واحدٍ منهم يمكنه اختيار التركيز على نظرية أو مؤسسة اجتماعية محددة مثل المؤسسة الدينية أو القانونية، أو على بعض الجماعات المتماسكة مثل عصابة الأحداث، أو على نوع محدد من علاقات الجماعة، كما هي العلاقات بين جماعات الأقلية وجماعات الأكثرية، أو على بعض المناطق مثل المدينة في أمريكا اللاتينية. فهم على الأغلب يمكنهم الاهتمام بالمشكلات الاجتماعية خصوصاً، ومهما كان تخصصاتهم، فإنهم لا يدرسونها بقصد التعرف عليها فحسب، بل يأملون الإسهام في التنظيرات الأساسية لتنظيم الاجتماعي وعلم النفس الاجتماعي.

المراجع

1- أحمد رأفت عبد الجواد، **مبادئ علم الاجتماع**، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة 1982.

2- أحمد عبد الله اللحلح، مصطفى محمود أبوبكر، **البحث العلمي، تعريفه، خطواته، مناهجه، المفاهيم الإحصائية**، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر 2002.

3- إبراهيم ناصر، **علم الاجتماع التربوي**، دار الجيل، بيروت، مكتبة الرائد، عمان، دون سنة.

4- ابن خلدون، **المقدمة**، الجزء 1، دار القلم، بيروت، لبنان 1879.

5- السيد علي شتا، **نظرية علم الاجتماع**، المكتبة المصرية، مصر 2004.

6- إيان كريب، **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**، ترجمة محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، ع (244)، الكويت 1999.

7- إسماعيل زكي محمد، **الانثروبولوجيا والفكر الإنساني**، شركة مكتبات عكاظ للنشر، جدة 1982.

8- السيد رشاد غنيم وآخرون، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008.

9- ابراهيم فتحية، مصطفى الشنواني، **مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان "الانثروبولوجيا"**، دار المريخ للنشر ، الرياض 1988.

10- جابر عبد الحميد جابر، وآخرون، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر 2002.

11- جورج لابيكا، **السياسة والدين عند ابن خلدون**، ترجمة موسى وهبي، شوقي دويهي، دار الفارابي، بيروت، لبنان 1980.

12- حامد عبد الله الربيع، **مقدمة في العلوم السلوكية**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر 1972.

13- حسن شحاتة سعفان، **تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعية**، دار النهضة العربية، مصر 1976.

14- خالد حامد، **منهج البحث العلمي**، دار ريحانة، القبة، الجزائر، 2003.

15- خالد كبير علال، **أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة**، دار الإمام مالك، الجزائر 2005.

16- دينكن ميتشل، **معجم علم الاجتماع**، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، لبنان 1981.

17- ر. بودون، ف. بوريكو، **المعجم النقدي لعلم الاجتماع**، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، بيروت، لبنان 2007.

18- زهير عبد المالك، **علم الاجتماع لطلاب الفلسفة**، منشورات مكتبة الوحدة العربية، بغداد، العراق 1967.

19- زيدان عبد الباقي، **علم الاجتماع الديني**، مكتبة غريب، بنغازي 1981.

20- زينب الخضير، **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون**، دار الثقافة للطباعة، القاهرة، مصر 1981.

21- سمير نعيم أحمد، **النظرية في علم الاجتماع**، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، مصر 1977.

22- طلعت إبراهيم لطفي، كمال الزيات، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار غريب، القاهرة، مصر 1999.

23- صلاح الدين شروخ، **مدخل في علم الاجتماع**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر 2005.

24- صلاح الدين شروخ، **منهجية البحث العلمي للجامعيين**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر 2004.
25- صلاح مصطفى الفوال، **علم الاجتماع البدوي**، تقديم أحمد محمد خليفة، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر 1974.
26- علي سامي النشار، **نشأة الدين: النظريات التطورية والمؤلهة**، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، مصر 1949.
27- عبد الباسط محمد حسن، **أصول البحث الاجتماعي**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر 1977.
28- عبد الباسط عبد المعطي، **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**، عالم المعرفة، العدد 44، الكويت، 1981.
29- عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات، **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.
30- عبد الكريم اليافي، **تمهيد في علم الاجتماع**، المطبعة العمومية، دمشق، سوريا 1964.
31- عبد الرحمن برقوق، **رواد علم الاجتماع والمسائل الدولية**، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 18، جامعة منتوري، قسنطينة، ديسمبر 2002.
32- علي عبد الرزاق جلبي، **الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1993.
33- عبد العزيز خواجة، **علم الاجتماع المعاصر من الجذور إلى الحرب العالمية الثانية**، دار الألباب، غرداية، الجزائر 2007.
34- عبد العزيز خواجة، **مبادئ في التنشئة الاجتماعية**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر 2005.
35- عاطف وصفي، **الانثروبولوجيا الاجتماعية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1977.
36- عبد الرحمن بن يحي حيدر الصائغ، **الاتجاه الفينومينولوجي ونظرته للتربية**، بحث مقدم لمادة النظرية في التربية، الفصل الدراسي الثاني 1427- 1428 هـ، قسم التربية، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
37- غريب سيد أحمد، **علم الاجتماع الريفي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2000.
38- قباري محمد إسماعيل، **علم الاجتماع والفلسفة**، ج3، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1989.
39- فادية عمر الجولاني، **علم الاجتماع التربوي**، مركز الإسكندرية للكتاب،مصر1997.
40- فاروق مداس، **قاموس مصطلحات علم الاجتماع**، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2003.
41- كاتب الموسوعة، **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، القاهرة، مصر، دون سنة.
42- لاكوست ايف، **ابن خلدون**، ترجمة ميشال سليمان، دار ابن خلدون، ط3، بيروت، لبنان 1982.
43- محمد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2006.
44- محمد أحمد بيومي، **أسس وموضوعات علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دون سنة.
45- محمد أحمد بيومي، **علم الاجتماع الديني**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1982.
46- مصطفى الخشاب، **دراسة المجتمع**، مكتبة الانجلو المصرية، 1974.
47- محمد علي أبو ريان، **تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون**، دار المعرفة الجامعية، ط5، مصر 1973.
48- محمد الجوهري، محسن يوسف، **ابن خلدون انجاز فكري متجدد**، مكتبة الإسكندرية، مصر 2008.

49- محمود صبحي أحمد، **في فلسفة التاريخ**، دار النهضة العربية، ط 4، بيروت، لبنان 1994.
50- محمد أحمد بيومي، **علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الاسلامي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2004.
51- محمد عاطف غيث، **علم الاجتماع**، ج1، دار المعارف، القاهرة، مصر 1966.
52- مديحة محمد سيد إبراهيم، **علم الاجتماع الديني**، دار الفكر العربي، دون سنة، دون مكان نشر.
53- محمود أبو زيد، **أعلام الفكر الاجتماعي والأنثربولوجي الغربي المعاصر**، الجزء 2، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر 2007.
54- محمد فؤاد حجازي، **النظريات الاجتماعية**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر 1988.
55- مصطفى خلف عبد الجواد، **نظرية علم الاجتماع المعاصر**، دار المسيرة، عمان 2009.
56- معن خليل عمر، **نظريات معاصرة في علم الاجتماع**، دار الشروق ، عمان 1997.
57- نيكولا تيماشيف، **نظرية علم الاجتماع**، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر 1974.
58- نيكولا تيماشيف، **نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها**، ترجمة محمود عودة وآخرون، دار المعارف، دون مكان وسنة النشر.
59- و.ا.ب بقردج، **فن البحث العلمي**، ترجمة زكريا فهمي، دار اقرأ، ط4، بيروت، لبنان 1983.
60- عادل بلعمري، **ماكس فيبر: المنهج في العلاقة بين التاريخ وعلم الاجتماع**، موقع الحوار المتمدن: www.ahewar.org، العدد: 2924، 2010/02/21.
61- كتاب **رواد علم الاجتماع**، موقع أستاذ علم الاجتماع د. عمر عبد الجبار محمد أحمد www.3almani.org والذي اعتمد في اعداده على كتاب: Classical Sociological Theory لمؤلفه: George Ritzer.
62- Mavis Hiltunen Biesanz, John Berry Biesanz . **Introduction to Sociology**, (1987).